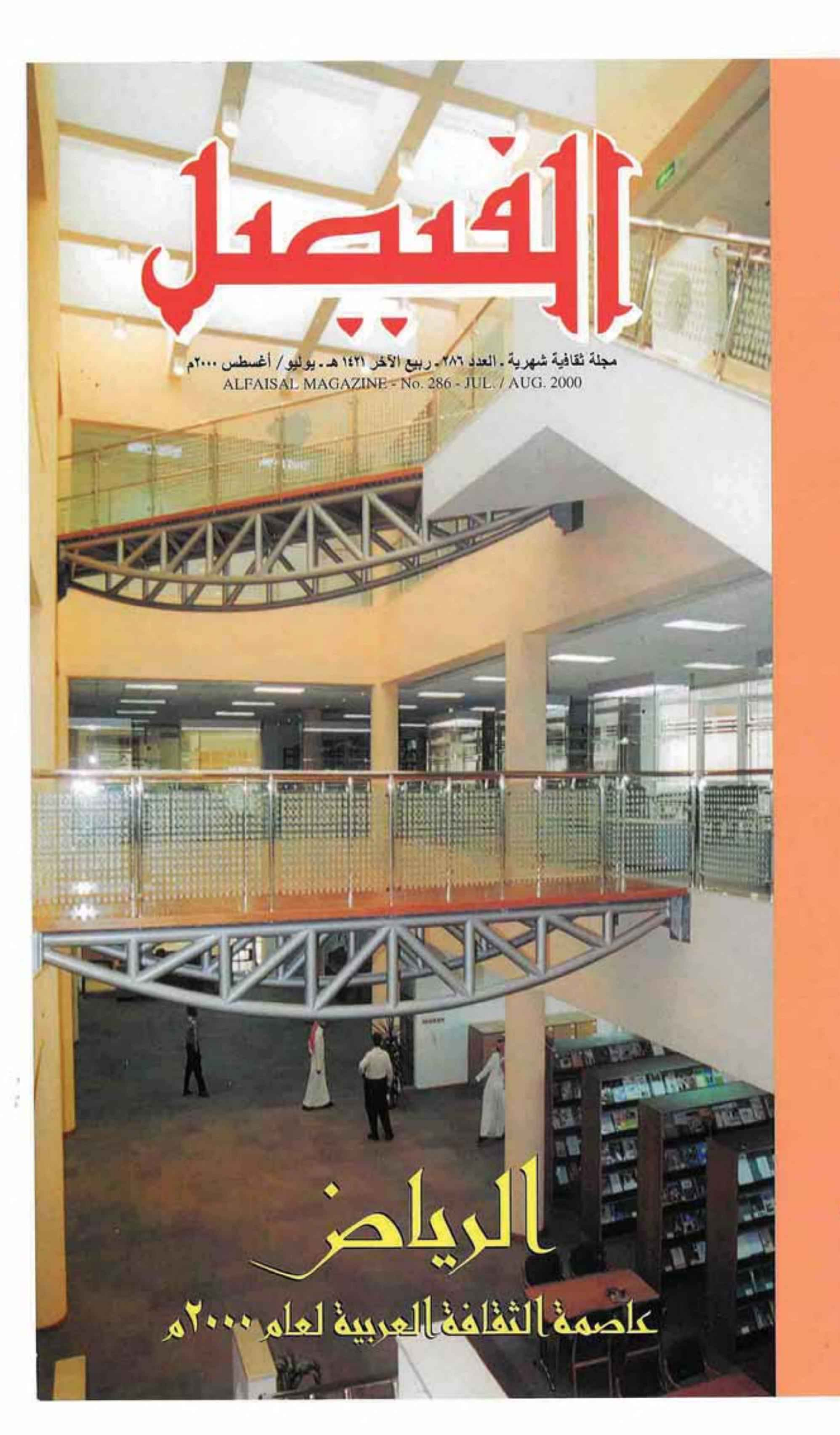


- لو كان الزمن دراهم
- جماليات المكان في الرواية
- الكتابة الخطية في مراقد عاصمة إيالة تونس
- الصراع الحضاري بين مبادئ التعريب وآليات التغريب
- البارانويا: جنون العظمة والاضطهاد
- ريتشارد بورتون: رحلات في بلاد العرب

الفيصل

الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

رسائلكم ٤

نقل ومواصلات

السكك الحديدية من سرعة
الحصان إلى سرعة الطائرة الشافعي منصور محمد حسن ٦

فنون

بول سيزان.. بين
الانطباعية والفن الحديث إليان شكور ١٤

قضايا معاصرة

لو كان الزمن دراهم: ثوب
العروس أغلى من ثمن قصر!! صلاح يحياوي ١٩

حق الجنوب على الشمال
في تنمية الموارد المائية توفيق علي منصور ٢٦

استطلاع

الرياض: عاصمة الثقافة
العربية لعام ٢٠٠٠م محمد المزيني ٣٣

أدب ونقد

جماليات المكان في الرواية أحمد زياد محبك ٥٥

الأندلس في أشعار
مانويل ماتشادو عبدالفتاح عوض ٦٢

آثار وتراث

الكتابة الخطية في مراقد
عاصمة إيالة تونس محمد الصادق عبداللطيف ٦٥

حضارة وتاريخ

نتائج الصراع الحضاري بين
مبادئ التعريب وآليات التغريب محمد ياسين العشاب ٧٤

علوم

البارانويا:
جنون العظمة والاضطهاد عبدالرحمن العيسوي ٨١

أعلام

ريتشارد بورتون:
رحلات في بلاد العرب عبدالرحيم الوهابي ٨٨

رحلة عالم نبات أوربي
في المشرق العربي لطف الله قاري ٩٧

المسابقة ١٠٣

قصائد

مواجد أحمد صالح الصالح ١٠٥

مناخ صوفي راضي صدوق ١٠٦

لحظة هاربة علي مغازي ١٠٨

قصص قصيرة

زوج الطبيبة ناريمان العالم ١٠٨

عقل مشلول شما الكواري ١١٠

قراءات

فصول

من تاريخ ليبيا الثقافي:
عبدالحميد عبدالله الهرامة مراجعة: محمد القاضي ١١٣

قصة ألف يوم ويوم:
بيتي دي لاكروا مراجعة: شاه رستم شاه ١١٦

اليهود والأدب الأمريكي المعاصر:
رمسيس عوض مراجعة: فرج مجاهد عبدالوهاب ١١٨

ردود وتعقيبات

هذه المصطلحات النحوية عبد الناصر إسماعيل عساف ١٢١

الملف الثقافي ١٢٥

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٧٠ ديناراً - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ٨٠ ديناراً - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - هاتف ٤٧٨٣٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٢٠٢٠٠، سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ - ١١ - ٩٦٣٠٠، تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣نهج المغرب - فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ١ - ٢١٦٠٠، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٦٦١٢٨٢ - فاكس ٦٦١٨٦٥ - ٩٧٤٠٠، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢ - ٦ - ٩٦٢٠٠، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١ - ٩٧٣٠٠، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٦٦٥٣٩٤ - فاكس ٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٩٧١٠٠، الجزائر - مؤسسة E.B.D. PRESSE لتوزيع الصحافة، ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ - ٢١٣٠٠، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٩٦٥٠٠، السودان شركة النحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب - ٢٤٥٧٤٥٠ - CAS - SOCHPRESS - CAS CASABLANCA - MOROCO TEL: فاكس ٣٢/٣١ -٤٠٤٠-٢١٢-٠٠، باكستان ٥٦٨٣٤٩٤- PARADIS BOOK STALL - KARACHI 3. PAKI- STAN TEL: - فاكس ٥٦٨٢٧٠٤-٢١-٩٢-٠٠، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ - ٣ - ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٢٢٨، سلطنة عمان - المتحدة لخدمة وسائل الإعلام - ص.ب ٣٣٠٥ روي ١١٢ ت:٧٠٠٨٩٥ / ٧٠٧٩٣٢ - فاكس ٧٠٦٥١٢ - ٩٦٨٠٠.





الرياض
عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م

لم يأت تتويج الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م من فراغ، وإنما جاء نتيجة اعتراف بجهد كبير تمّ بذله على مدى قرن حتى أصبحت المنشآت الثقافية والمعالم الحضارية أهم ما يميزها، ولعل التجول في مفكرة الرياض الثقافية يوضح الأسباب التي كانت وراء هذا التتويج، ويعطي صورة عن هذه المدينة وهي تقتحم القرن الحادي والعشرين بثبات.

(صورة الغلاف منظر داخلي لمكتبة الملك عبد العزيز العامة في المربع)

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ -
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:
١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:
هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ - ٠٢٥٨

تصحيح نسبة بيت إلى قائله

أعتز بقراءة مجلة الفيصل أفضل المجلات الثقافية العربية وذلك منذ العدد ١٠٠ وبشكل شهري تقريباً، وكون ذروة المعرفة الثقافية تكمن في مسابقة المجلة الشهرية فمن الضروري جداً أن تكون الإجابات عن هذه الأسئلة موضع ثقة لدى القراء. ولكن للأسف وفي أثناء متابعتي لأجوبة حل المسابقة للعدد ٢٨٠ لاشتراكي بالمسابقة شهرياً، ورد أن قائل بيت:

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها

فرجت وكنت أظنها لا تفرج

هو إبراهيم بن العباس الصولي بينما القائل هو الإمام الشافعي ورغبة منا في تعزيز الثقة بالمجلة وبمسابقتها نرجو التوضيح. مع فائق الاحترام.

عدنان سليمان الديبان
حمص - سورية

التحرير:

يسرنا أن نفيدك أن أغلب دواوين الشافعي المعروضة في الأسواق غير محقق تحقيقاً علمياً، وليس كل الشعر الموجود في ديوان الشافعي مقطوعاً بنسبته إلى الشافعي، ولذلك لا نستطيع أن نعتمد في نسبة الأبيات على ديوان غير محقق.

بينما نجد البيتين المشار إليهما في الرسالة في ديوان الشاعر المطبوع إبراهيم بن العباس الصولي، وهذا الديوان صنعة ابن أخيه أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، وقد حققه وخرّجه وعارضه بما في مجاميع العلم، وذيّله بزيادات الأستاذ العلامة المحقق الثبت عبدالعزيز الميمني، وقد قدّم للديوان بمقدمة عن حياة الصولي وشعره ونثره وتأليفه وديوانه. وهذا الديوان منشور في كتاب الطرائف الأدبية مع مجموعة من الدواوين الشعرية ص ١١٧ - ١٩٤ بتحقيق الميمني وطبع بدار الكتب العلمية في بيروت - لبنان وخرج الميمني - رحمه الله - البيتين من معجم الأدباء ٢٧١/١، ومن وفيات الأعيان ١٠/١، ومن الفرج بعد الشدة للتنوخي ١٩٤/٢، ومن الفرج لابن قضيب البان ١١٨، ومن أمالي المرتضى ١٣١/٢، ومجموعة المعاني لعدد من الأدباء ١٣٥ وكتب أخرى، وكل هذه المراجع تثبت نسبة البيت إلى الصولي. انظر ديوان الصولي ص ١٧١ في الطرائف الأدبية والحاشية ١٥٩.

«الأقلمة» عند سحب القرعة

يطيب لي وأنا أرسل إلى شخصكم المكرم أولى رسائلي أن أنقل لكم من خلالها تقديري واحترامي على ما تقدمون من جهود في مجلتنا مجلة كل العرب والمسلمين في شتى أصقاع العالم، وإظهارها بالمظهر الطيب والمستوى الجيد ثقافياً. فهي - والحمد لله - توزع بشكل ممتاز في جميع الدول العربية والإسلامية دون إغفال أو إهمال لأي دولة. وأرجو منكم تقبل ملاحظتي، وهي بحد ذاتها مهمة لقراء المجلة، لأنها تتصل بالمسابقة، ولكن يبدو أن لجنة فرز الرسائل واختيار أسماء الفائزين يجهلون هذه الأهمية لأنهم على الأرجح غير سعوديين أو إقليميون.

ولو رجعنا إلى الأعداد السابقة لوجدنا أن الفائزين أغلبهم مصريون أو سوريون وهكذا. أما من الأردن فلا يوجد أحد كأن مجلة الفيصل لا تصل إلى الأردن. لا ندري لماذا هذه الإقليمية في توزيع الجوائز؟ ولماذا لا توزع الجوائز بطريق القرعة على أن يكون من كل دولة فائز واحد وليس اثنين كما تنتهجه لجنة المسابقة حالياً.

والقرعة يجب أن تشمل متسابقي الدول التي توزع فيها المجلة من دون استثناء كأن تجمع كل الرسائل المتضمنة إجابات صحيحة من كل دولة على حدة، وتسحب بالقرعة رسالة واحدة من كل دولة، ويكون أيضاً بالدور يعني على سبيل المثال: إذا فاز متسابق من مصر بالجائزة الأولى، فتتاح الفرصة بالقرعة لفائز من سوريا، وبعد ذلك تكون الجائزة الأولى لفائز من تونس وهلم جرا حتى تكون الجوائز بقيمتها أيضاً توزع على جميع مشاركي الدول دون تحيز و«أقلمة» في الموضوع.

أما على هذا الوضع فنرجو من الأشخاص المشرفين على عملية الفرز أن يتقوا الله في عملهم هذا، وألا يصيبوا القراء بالإحباط واليأس. علماً بأن المجلة كانت في مسابقتها منذ صدورها نزيهة وعادلة في توزيع الجوائز دون تمييز و«أقلمة» لجميع الدول.

كما أقترح أن تكون الجوائز هي جميعها ٢٧٠٠ ريال توزع بالتساوي كما يلي:

الجائزة الأولى ٥٠٠ ريال، والثانية ٥٠٠ ريال، والثالثة ٥٠٠ ريال، والرابعة ٥٠٠ ريال، والخامسة ٥٠٠ ريال، والسادسة اشتراك في المجلة لمدة عام.

هكذا تكون الجوائز موزعة ويكون حظ الفوز أكثر للمتسابقين، علماً بأن المتسابقين يبذلون جهوداً متساوية. لذا يجب أن تكون الجوائز لهم متساوية أيضاً.

أستاذنا المكرم الفاضل: أرجو ألا أكون قد أثقلت عليكم بطلبي واقتراحي هذا علماً بأن هذا مطلب الأغلبية من القراء والمتسابقين. كما أرجو النظر باقتراحي هذا بعين الجد، علماً بأنني متابعة للمجلة منذ صدورها. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

ندى عوني محمد
الأردن

التحرير:

نقول للقارئة الكريمة إننا نقبل أي نقد موضوعي بصدر رحب، وكنا نأمل أن يأتي نقدها بخصوص المسابقة بشكل موضوعي، وعلى أساس المتابعة الدقيقة، ولكن يبدو أنها كتبت رسالتها هذه وهي في حالة إحباط لعدم فوزها بإحدى جوائز المسابقة في الفترة الماضية، ولكن ما في اليد حيلة؛ لأن تحديد الفائزين يتم بالقرعة من دون أي تدخل من أسرة المجلة، ومن غير محاباة أو «أقلمة» حسب تعبير الأخت القارئة. والمفارقة أن يفوز قارئان من الأردن في مسابقة العدد أي قبل أن تصل إلينا رسالة القارئة. وفي العدد السابق له كان هناك قارئ أردني ضمن الفائزين، بل إن هناك قارئاً أردنياً يتصدر أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٢٨٣) والمنشورة في هذا العدد (طالع ص ١٠٣).

وأما بخصوص اقتراحك فقد حاولنا كثيراً أن تكون هناك وسيلة تضمن توزيع الجوائز على أكبر عدد من الدول، ولكن وجدنا أن القرعة هي الوسيلة الوحيدة لضمان العدالة وتساوي الفرص بين جميع القراء من غير النظر إلى جنسياتهم، لذا لا نستبعد أن يأتي

اليوم الذي يكون فيه الفائزون من دولة واحدة، علماً بأن احتمالات فوز القراء من سورية ومصر والسعودية تزيد لكثرة عدد المشاركين من هذه الدول. وفي الوقت نفسه فإن القرعة قد تلعب لعبتها، فنجد أكثر الفائزين من دولة غير هذه الدول الثلاث، كما حدث عندما فاز قارئان من الأردن بجائزتين من الجوائز الأربع، أو كما تتابع فوز الأردنيين في ثلاثة أعداد متتالية.

وإذا لم تكوني قد اقتنعت بما ذكرناه نأمل أن يحالفك الحظ قريباً حتى تسحبي اتهامك لنا «بالأقلمة».

عتاب

آلمني جداً أن تكون رسالتي هذه رسالة عتاب، ولكن أجد نفسي معذوراً، فقد أرسلت الرسالة، تلو الرسالة ولكن كان الجواب في كل مرة هو التجاهل لهذه الرسائل، وأظنها فقط القادمة من الجزائر، فلماذا يا ترى هذا التجاهل؟

كنت أعتقد أننا العرب إخوة، ولكن لا أظن أن الأخ يتجاهل أخاه هكذا، وكنت آمل أن ننمي علاقاتنا نحن الجزائريين بإخواننا العرب بدل غيرهم، ولكن ما العمل إذا كان إخواننا العرب لا يرغبون في ذلك، أو لديهم نظرة أخرى، أكون سعيداً لو عرفت حتى تشفى حيرتي.

في رسائلي السابقة كنت فقط، فقط أريد معرفة طريقة الحصول على مجلتكم التي أسميتها مجلتنا خطأ ربما فعفواً.

أستسمحكم سادتي على قساوة هذه الكلمات، ولكن أملي ألا يكون مصير هذه الرسالة كغيرها، وأن يصلني منكم رد، ولو كان بسيطاً جداً. وشكراً على سعة صدركم.

نور الدين الفد

ص.ب ١١٤ . غربوز ٣٠٠١٠ . ورقلة . الجزائر

التحرير:

يظل العتاب دوماً مقبولاً بين الأخوة والأصدقاء، بل نؤكد . وبشكل دائم . أن آراء القراء تعد بمنزلة الضوء الذي ينير لنا الدرب، ولكن كنا نود أن يكون حكمك علينا مبنياً على أساس من الواقع، ذلك أنه قلما يخلو عدد من أعداد المجلة من رسائل ترد إلينا من الأشقاء في الجزائر الشقيقة، بل أكثر الرسائل الواردة إلينا هي من هذا البلد العزيز. أما أفضل طريقة للحصول على المجلة فهي الاشتراك السنوي الذي يضمن انتظام وصول المجلة إلى القارئ، وسوف نرسل إليك بعض الأعداد للاطلاع على طريقة الاشتراك وقيمته، إلى جانب دعوتك إلى القراءة المتمعنة للمجلة ليتبين لك خطأ استنتاجك، ولك منا كل الود.

ملاحظات

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير للقائمين على مجلتنا الرائدة وأتمنى لهم دوام التوفيق، ولي الملاحظات الآتية على المسابقة:

- صدور المجلة في بداية كل شهر عربي، ولا توزع في بداية الشهر.
- تصل المجلة متأخرة كثيراً في بعض الأقطار العربية، وتكون مدة المسابقة قد أوشكت على الانتهاء حيث لا نستطيع الاشتراك في المسابقة.
- أقترح أن تمدد فترة المسابقة كما كانت سابقاً حتى يتسنى لأكبر عدد الاشتراك في المسابقة.

أحمد علي عامر

رام الله . فلسطين

التحرير:

نشكر لك ملاحظاتك، وسوف نحاول قريباً إن شاء الله حل مشكلة تأخر وصول العدد إلى القراء، أما الاقتراح الخاص بالمسابقة فقد تم تمديد فترة قبول الإجابات لتصبح ٤٥ يوماً بدلاً من شهر.

ردود سريعة

الأخ صالح عبدالكريم الكيال . دمشق . سورية:

الإجابة عن سؤالك حول بيت:

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكنت أظنها لا تفرج

تجدها في الرد على إحدى الرسائل في هذا العدد، وسوف تصل إليك بعض الأعداد التي نقصت من مكتبتك قريباً إن شاء الله، ونأمل تلقي آرائك واقتراحاتك عما حدث من تغيير في المجلة، بخاصة أنك قد غيرت رأيك في هذا التعبير بعد أن كنت تراه في البداية في غير مصلحة المجلة.

الأخ عبدالكبير العوفي بن علي . المدائني . المسيلة . الجزائر:

نشكر لك ما قدمته من قراءة للعدد (٢٨١)، وما أوردته من أوصاف للمجلة، أما طريقة الاشتراك في المجلة فتجدها منشورة في الصفحة الثالثة.

الأخ مهدي أنيس محمد . بريد الحي التجاري . الزرقاء . الأردن:

تقول: إنك فزت مرتين في مسابقة الفيصل، وتسأل عن أحقيتك في المشاركة في أعداد قادمة، فنقول لك: إن تكرار الفوز بالمسابقة لا يمنع من المشاركة فيها، ولعل فوزك مرتين فيه رد على الأخت القارئة الأردنية المنشورة رسالتها في هذا العدد والتي تحتج على عدم فوز الأردنيين، مع تمنياتنا لكل الإخوة القراء بالفوز إن شاء الله.

الأخ بدرالدين هزاع قائد علي . تعز . اليمن:

عدد مجلدات الفيصل يبلغ ٦٠ مجلداً، وهي تضم ١٨٠ عدداً من الأعداد الأولى، وقيمتها ثلاثة آلاف ريال، ونأمل أن تصدر مجلدات جديدة في القريب. وبخصوص المعلومات التي تطلبها عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية نخبرك أن المجلة قد سبق لها أن عرفت بالمركز ودوره في خدمة التراث الإسلامي والإنساني في أكثر من عدد، كما أن هناك تعريفاً بأقسامه كان ينشر على مدى سنوات في باطن الغلاف الأخير، وفي هذا العدد تجد إشارة سريعة إلى المركز ودوره ضمن الاستطلاع المعنون «الرياض: عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م»، وسوف نرسل إليك أعداداً تناولت مؤسسة الملك فيصل الخيرية لتتعرف إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بوصفه جزءاً من هذه المؤسسة التي تتعدد أدوارها.

نقل ومواصلات

السكك الحديدية

من سرعة الحصان إلى سرعة الطائرة

الشافعي منصور محمد حسن
المنصورة - مصر

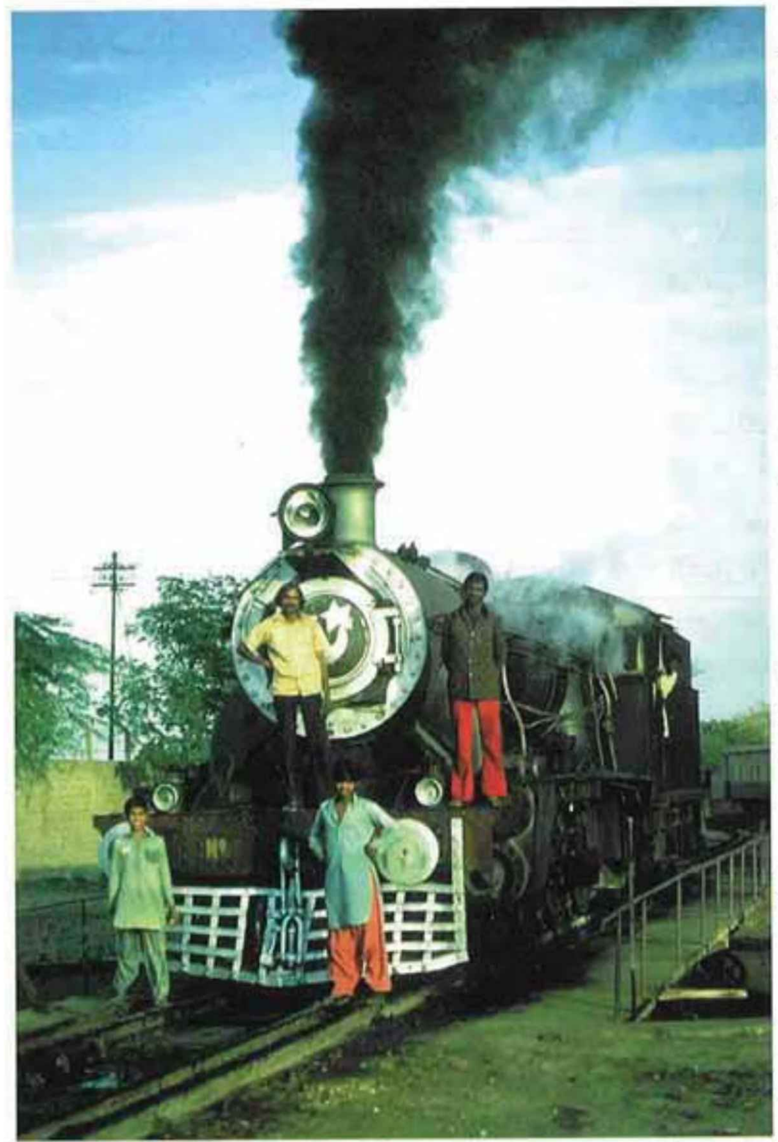
لا يخلو تاريخ السكك الحديدية من إثارة، فمن سرعة الحصان إلى سرعة الطائرة تطورت قدرة القطارات على اجتياح المسافات في أزمنة قياسية، كما تطورت أنواعها من تلك التي تجر بالحصان أو تدفع بالشراع!! إلى تلك التي تدار بالكهرباء والدفع المغناطيسي، ومن قطارات تسير فوق الأرض حاملة الناس والبضائع والبريد إلى تلك التي تسير تحت الأرض في أنفاق. ولقد استخدمت السكك الحديدية في السلم كما استخدمت في الحرب على السواء. وإلى وقت ليس بعيدًا كانت السكك الحديدية - تقريبًا - هي وسيلة الانتقال البري الوحيدة في الأقطار الصناعية في العالم، أما الآن فإنها تواجه أشكالا أخرى من وسائل النقل البري الحديثة كالسيارات وعربات نقل البضائع، كما تواجه النقل الجوي.

قضبان خشبية

إن الصفة الرئيسة للسكك الحديدية أن عرباتها تجري على قضبان وهذا مايجعلها حيوية جدًا فهي لا تتأثر - كوسائل النقل الأخرى - بالفيضانات أو العواصف أو الاضطرابات. وهي في حد ذاتها ليست اختراعًا جديدًا فقد استخدمت منذ بواكر القرن السادس عشر في إنجلترا وألمانيا لربط المناجم والمحاجر بالأنهار والأشياء المائية الأخرى. في البداية كانت العربات الخشبية تدفع باليد على قضبان من الخشب، وفي عام ١٦٩٨م استخدمت الأشرعة لدفع العربات التي كانت تعمل في مناجم ويلز


من أشكال القاطرات (الجرارات) القديمة التي تسحب القطار

بإنجلترا معتمدة على قوة الرياح. استخدمت بعد ذلك العربات التي تقاد بالخيول لنقل الخامات من



استخدام البخار بدلا من الحصان مرحلة من تطور قطارات السكك الحديدية

المناجم إلى الصنادل البحرية المنتظرة أو لنقل القطع الكبيرة من الجرانيت من المحاجر لبناء النصب التذكارية، ولقد كان باستطاعة العربة التي تُجَر بالحصان أن تحمل ما مقداره طنّان من الفحم، ومع مرور الزمن تطورت القضبان الخشبية فَغُطّيت بطبقة من الحديد لإعطاء سطح ناعم مناسب للعجلات، ثم ظهرت القضبان المصنوعة من الحديد كاملا أول مرة عام ١٧٦٧م.

البخار بديلا

وفي بدايات القرن التاسع عشر استخدم المحرك البخاري بدلا من الحصان كقوة دافعة. ويُعرَفُ جورج ستيفنسون بأبي السكك الحديدية لتمكنه من بناء أول سكة حديدية شعبية تستخدم قوة الدفع الميكانيكية. وقد قام جورج مع ولده روبرت ببناء أول قاطرة دفع حقيقية تعمل بالبخار وأسمياها «الصاروخ»، وهي موجودة الآن في متحف العلوم بلندن، وقد سميت الطرازات الأولى من الصاروخ بـ «الآلات اللاهثة»، أو «الخيول الحديدية». وقد كانت السكك الحديدية الواصلة بين بالتيمور وأوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية محلا لمباراة بين حصان حقيقي وحصان حديدي. فقد تمكن «بيتر كوبر» من بناء قاطرة دافعة للحركة أسماها «عقلة الإبهام»؛ وذلك لصغر حجمها. وذات يوم تحدى سائقًا يدعى «كوبر» كان يقود إحدى العربات التي تُجر بالحصان ودعاه إلى مسابقة بين عقلة الإبهام والحصان، وقبل كوبر المباراة. وفي البداية لم يستطع الحصان الحقيقي، أو الحديدي أن يكون في المقدمة؛ ولكن كوبر استخدم مزيداً من البخار بعد ذلك، وحالا أصبح في المقدمة. ولسوء الحظ عندما بدا النصر في حوزة كوبر أفلت سير المحرك فتوقف عن الدفع، وبينما كوبر يستبدل السير جرى الحصان خلفه ووصل إلى خط الهدف سابقًا بذلك منافسه. وقد تزامن ذلك الحادث مع مأساة حدثت في إنجلترا في سبتمبر/أيلول عام ١٨٣٠م عندما كان دوق «ولينجتون» يفتتح أحد

خطوط السكك الحديدية، فصرعت إحدى العربات القادمة من الاتجاه المضاد عضو البرلمان الإنجليزي وليم هاسكيسون.

الولد الكبير

وعلى الرغم من هذه المأساة وذاك الحادث استبدلت المحركات المدفوعة بالخيول، ولاقت السكك الحديدية نجاحًا أكبر مما كان متوقعًا، وقد ساعد على هذا النجاح الارتفاع الهائل في أسعار أعلاف الخيول قرب نهاية حروب نابليون. وعندما كانت تستخدم هذه المحركات البخارية كثيرًا ما كانت تنفجر غلاية البخار، فيكون ذلك دافعًا لمزيد من التحسينات في البناء والدقة في التشغيل. ولقد كانت تصميمات المحرك البخاري كثيرة جدًا، استدعى ذلك استعمال شفرة (ترميز) ثلاثي أو رباعي الأرقام في بعض الأنظمة للدلالة على أنواعها، وتمييز بعضها من بعض؛ فالمحرك البخاري الذي استخدم في أثناء الحرب الأهلية الأمريكية عام (١٨٦١ - ١٨٦٥م) والمعروف باسم «الجنرال» كان تصميمة (٤ - ٤ - صفر) وهذا يعني أنه يحتوي على أربع عجلات أمامية، وأربع عجلات إدارة، ولا يوجد له عجلات خلفية. ويبدو أن الأمريكان مولعون بإيجاد أسماء لما ينتجونه، فالقنبلة الذرية التي أطلقت على مدينة هيروشيما اليابانية في الحرب العالمية الثانية أسموها «الولد الصغير»، بينما تلك التي أطلقت على ناجازاكي كانت أكبر حجمًا، وكانت تسمى «الرجل البدين». لقد كان أكبر ما بني من المحركات البخارية هي التي كان تصميمها (٤ - ٨ - ٨ - ٤) وتسمى «الولد الكبير»؛ إذ كانت ثقيلة جدًا بلغ وزنها ٦٠٠ طن، ومن عيوب القاطرات البخارية أنها تحتاج أولا إلى التزود بكمية كبيرة من الماء، ثم تسخين هذا الماء، وخاصة في الطقس البارد، بالإضافة إلى أنه يجب أن تستمر عملية الاحتراق داخل المحرك في أثناء توقف القطار.



تصميمات المحرك البخاري تعددت أنواعها، وكان (الولد الكبير) أشهرها



دقة التحكم التقني في الطاقة الكهربائية زادت كفاءة القطار

وقد كان هناك نظامٌ آخر استخدم لتسيير السكك الحديدية منذ الحقبة الأولى لنشأتها، وربما يبدو هذا النظام غريباً الآن، فقد كانت قضبان القطار تمتد داخل نفق تحت الأرض على هيئة ماسورة محاطة من الداخل بصمام جلدي مزوّد بشحم حيواني، أما عربة القطار المستخدمة فقد كانت تعمل بمنزلة الغالق الهوائي داخل النفق، وقبل بدء الرحلة تبدأ محطات ضخ الهواء الواقعة على أحد جانبي الخط الحديدي في تفريغ النفق من الهواء مدة خمس دقائق، ثم يتم بعد ذلك دفع القطار إلى الماسورة سواء بتضافر جهود الركاب أو بواسطة نظام للسحب بالكابلات، ومع وجود العربة داخل النفق تغلق الأبواب على المدخل، ويتم دفع الهواء داخل النفق خلف العربة لدفعها إلى الأمام بفرق الضغط، وقد امتاز هذا النظام بالنظافة، وقلة الضوضاء، إلا أن أبرز عيوبه هو صعوبة التحكم فيه.

التحكم الدقيق

ظهرت بعد ذلك محركات الديزل، ثم محركات الديزل الكهربائية في بدايات القرن المنصرم، وحلت محل القاطرات البخارية تمامًا بعد الحرب العالمية الثانية، وفي هذا النوع الأخير لا يرتبط محرك الديزل مباشرة بالعجلات، لكنه يعمل على إدارة مولد كهربائي، ثم يستخدم التيار الكهربائي الناتج في تشغيل محرك كهربائي آخر يدير العجلات. والفائدة الكبيرة لهذا الأسلوب في الدفع هي التحكم الدقيق في سرعة القاطرة؛ وذلك لسهولة التحكم التقني في الطاقة الكهربائية بدلا من التعامل مع محرك الديزل مباشرة، وهذه القاطرات يمكنها السفر مسافة طويلة دون حاجة إلى التزود بالوقود، كما أن كفاءتها عالية وتمتاز حركتها بالنعومة والاتزان مما يقلل تآكل القضبان مع إعطاء كل العناية الخاصة لتصميمها؛ فالخشب أو الحديد الذي يوضع تحت القضبان ذو أهمية بالغة في توزيع وزن القاطرة على مساحة كبيرة، فوزنها قد يصل إلى عشرات الأطنان وربما مئات الأطنان في بعض الأنواع، والصخر الصلب المجروش الذي


تنافس محموم بين الدول على تصميم قطارات أكثر سرعة، ومحطات أجمل بناءً


قطارات الأنفاق سمة المدن الحديثة

ينثر بين وحول القضبان ذو أهمية مزدوجة، فهو يعمل بمنزلة الدثار بالنسبة إلى الطريق، وهو من ناحية أخرى يعمل على إزاحة المياه بعيداً عنه، وتصل سرعة قاطرات الديزل الكهربائية إلى نحو ٢٣٠ كم في الساعة موازنة مع أقصى سرعة وصلت إليها المحركات البخارية، وهي نحو ٢٠٠كم في كل ساعة.

أما قاطرات الجر الكهربائية فتستمد قوتها المحركة من طريق تزويدها بالبطاريات، وقد كانت هذه البطاريات ثقيلة، وتفتقر بصفة دائمة إلى إعادة شحنها، أما اليوم فإن القاطرات الكهربائية تحصل على قوتها الدافعة من طريق أسلاك علوية تمتد على طول الخط الحديدي، أو من طريق قضيب أرضي ثالث، ومن المحتمل أن تخطو عملية تطوير السكك الحديدية الكهربائية خطوات مثيرة في المستقبل؛ وذلك لأسباب عدة، منها: اكتظاظ المدن وازدحامها، وتلوث البيئة والجو بالعوادم، وتناقص الاحتياطي العالمي من البترول.

وقد وصلت سرعة القاطرات الكهربائية إلى نحو ٢٤٠كم في الساعة. وليست هذه السرعة بحد ذاتها هي نهاية المطاف في عالم القطارات، فمنذ فجر القرن العشرين توالت اكتشافات العلماء لنوع من المواد يبين بقوة تأثيراً مغناطيسياً هائلا يكون أشد ضراوة من كل ما عرف من قبل. فهذه المواد تعرف بـ «المواد الفائقة التوصيل للكهرباء» نسبة إلى خاصية إمرارها للكهرباء دون أدنى مقاومة تذكر عند درجات الحرارة المنخفضة، ومن خواص هذه المواد أنها تتنافر بقوة ضارية مع المجال المغناطيسي الناتج من أي مصدر، وقد استخدم اليابانيون هذه الخاصية في تصميم قطار طائر تزيد سرعته على ٥٠٠ كم في الساعة الواحدة، فقد وضعوا ملفات ذات توصيل كهربائي فائق حول محورٍ ممغنط ينتهي بعجلات القطار، وإذا بردت هذه الملفات تنافرت بقوة مع المجال المغناطيسي لمحور العجلات مما يسبب رفع هذه المحاور، ومن ثم العجلات عن القضبان عدة سنتيمترات، ومن هنا تتلاشى



القطارات الكهربائية انطلاق مثير نحو المستقبل

المقاومة التي كان يلاقيها القطار في أثناء سيره، ويسير بقوة هائلة محمولا على وسادة مغناطيسية.

مسارات من الخشب والخرسانة

ويعدّ ظهور مترو الأنفاق قديماً قِدَم السكك الحديدية ذاتها، فقد كانت القضبان الممتدة تحت الأرض في الأنفاق الخاصة بالمناجم هي بداية ظهوره، لكنه عند ظهور السكك الحديدية البخارية اتجهت الأفكار إلى إنشاء سكك حديدية تحت الأرض في المدن لنقل الركاب تجنبًا لازدحام الطرق، واختناقات المرور، وهو الدافع القوي لكل مدينة كبيرة في العالم تعاني هذه المشكلة، وقد أدخلت حديثًا على بعض خطوط المترو الفرنسية قطارات خفيفة الوزن، ذات إطارات هوائية تجري على مسارات من الخشب أو الخرسانة لتقليل الاهتزازات والضجيج، وتوفير الراحة والهدوء؛

ويسير هذا القطار على مسار خاص محدد بواسطة خطين متوازيين على سطح الطريق وهو مخصص للمدن الصغيرة، والأحياء ذات الكثافة السكانية المنخفضة، ويعد أشهر أنفاق القرن الماضي هو ذلك النفق الذي يربط إنجلترا بالقارة الأوربية.

ولم يعد للعبارة التي قالها اللورد راندولف تشرشل بشأن الجزر البريطانية محلّ من الواقع، لقد قال: «حتى اليوم اعتمدت سمعة إنجلترا وشهرتها على موقعها من حيث هي الجزيرة العذراء»، فقد ولت هذه العزلة إلى غير رجعة منذ أن تم إنشاء نفق للقطارات يقتحم تلك العزلة، ويسير تحت بحر «المانش» ويربط بين إنجلترا والقارة الأوربية من طريق فرنسا، فأصبح من الإنجازات الكبرى في القرن العشرين، وبالتحديد

في عام ١٩٩٣م، ونفق المانش - في الحقيقة - وصلة ضخمة حفرت تحت مستوى بحر المانش على عمق يصل إلى ١٢٨م ويبلغ طول المسافة بين محطتي الوصول في إنجلترا - فولكستون - وتلك التي في فرنسا - كوكيل - نحو ٥٠كم، وهو - في الحقيقة - ثلاثة أنفاق فرعية متوازية، نفقان حديديان للعمل، والثالث مخصص للخدمة من أعمال الصيانة والتهوية وأمن الركاب وغيرها.

قطارات وعربات

إن قطارات السكك الحديدية ثلاثة أنواع عامة: قطارات للمسافرين، وقطارات للبضائع، وأخرى

أحد قطارات البضائع

للخدمة والصيانة. وقطارات الركاب المحلية تتحرك في مسارات قصيرة منجزة عدة وقفات لربط أجزاء مدينة بعضها ببعض، بينما تقوم القطارات السريعة بالحركة في مسافة طويلة، وتقف في المدن فقط، وهذه الأخيرة ذات أهمية كبيرة في نقل الشحنات التي تستلزم معالجة خاصة، أو توزيع سريع كالإمدادات الطبية، والبريد، والأشياء ذات القيمة من كل الأنواع، وفي بادئ الأمر كانت هياكل العربات تصنع من الخشب، ثم حلت محلها الهياكل الفولاذية مما أكسب العربة وزنًا هائلا، ثم بعد ذلك تم استخدام سبائك الفولاذ ذات الأوزان الخفيفة والألومينيوم لتقليل وزن الهيكل.

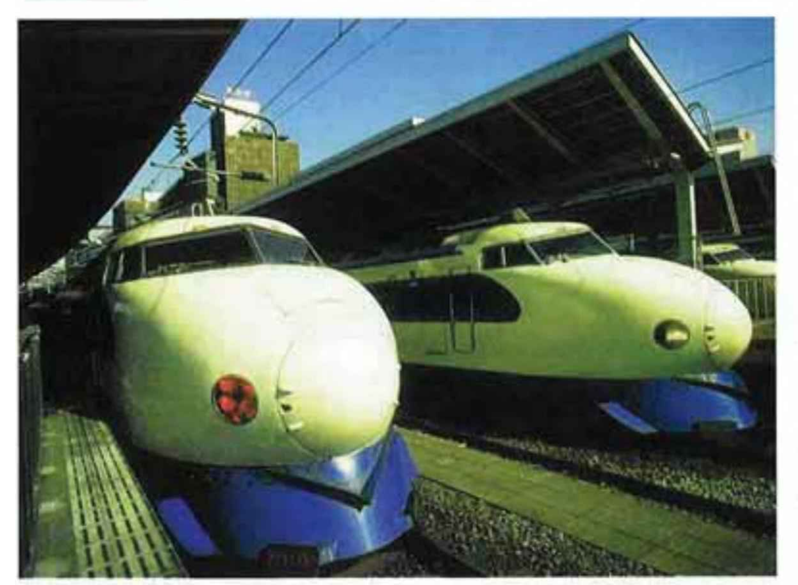
وكانت العربات تضاء أول الأمر بمصابيح زيتية ثم استعملت الأضواء الغازية؛ إذ كانت كل عربة تحمل أسطوانة غاز، وكانت تلك الأسطوانة مبعث خطر داهم عند وقوع أي حادث، وأخيرًا زودت كل عربة بمولد كهربائي (دينامو) يدار تلقائيًا من حركة القطار.

وتتعدد العربات الخاصة بالمسافرين وفقًا لحقاتها، ومتطلبات الراحة فيها، والمسافة التي يقطعها المسافر، فهناك العربات الكبيرة التي تحتوي على صفين من المقاعد، بينما تكون عربات النوم مناسبة للمسافات الشاسعة، وهي تحتوي على أسرة تتكون من طابقين أو ثلاثة طوابق على طول الجدران. وفي بعض عربات النوم الحديثة حجرات شخصية مع كل التسهيلات والإمكانات الخاصة بها مثل مكان للأمتعة ومكان لتغيير الملابس.

وهناك حجرات مخصصة لمجموعة من المسافرين كرجال الأعمال أو الآباء الذين يصطحبون أطفالا. إنها تعدّ حجرة معيشة ذات مقاعد متحركة وأرائك ونوافذ متسعة. يوجد بها أيضًا حمامٌ وإمكانات استخدام المياه في ركن خاص، ومكان لتغيير الملابس، وتمتلك مثل هذه الحجرات مدخلين: واحدًا إلى حجرة الغذاء، والآخر يطل على عربة المشاهدة، وهي العربة الأخيرة من القطار، وتسمح للمسافرين بالتمتع بمشاهدة المناظر الخلابة على امتداد الخط، ولذلك فهي حجرة طويلة ذات قبة زجاجية.

وتختلف عربات قطارات البضائع حسب الغرض الذي تصنع من أجله؛ فبعضها ثلاجات

كبيرة تبرد بالثلج، لكنّ أغلبها ذو تبريد ميكانيكي. ومن هذه العربات ما يعمل ناقلات شحن للمواد الغذائية، وهناك العربات المسطحة لحمل البضائع ذات الأحجام الضخمة، أما عربات الصهاريج فتخصص لحمل المنتجات السائلة، كالبترول، أو الجازولين، أو الكيماويات، وتحمل قطارات البضائع أيضًا منتجات الحديد، أو الفحم، أو الصودا، أو الأملاح ،أو الإسمنت، أو المطاط، أو البوتاس.



جمال التصميم، والسرعة الفائقة من سمات القطارات الحديثة

وتراوح أوزان هذه القطارات بين ٤٠٠٠ و٦٠٠٠ طن، وهو ما يعادل ٨٠ إلى ١٠٠ عربة، وبطول يصل إلى ميل ونصف الميل أو يزيد، وهذه القطارات يمكنها أن تجري مسافة ١٠٠٠ ميل دون توقف.

والنوع الثالث من القطارات هو قطارات الخدمة المسؤولة عن سلامة الخطوط والإمداد، وتحوي عربات على هيئة روافع، (أوناش) وعربات جرّافة وكاسحات جليد، وعربات تموين، وعربات القطر.

وفي الحرب أيضًا

ولم يقتصر استخدام السكك الحديدية على مجال السلم؛ فقد استخدمت في الحرب أيضًا على نطاق واسع في أثناء الحرب الأهلية الأمريكية، وأدّت دورًا حيويًا في نقل الجنود والمعدات والإمدادات.

وقد حدث في تلك الحرب أن قام عملاء سكان الجنوب (الكونفدراليين) باختطاف أحد قطارات سكان الشمال (الاتحاديين) على الرغم من ذيوع شهرة الاتحاديين بكونهم أكثر إفادة وتنظيمًا في استخدام السكك الحديدية، وعندما دبت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر/أيلول ١٩٣٩م تزايدت الحركة المرورية الحديدية بسرعة فقد كانت تحمل إمدادات هائلة من البترول بواسطة حاويات كبيرة، من مناطق الشحن لتزويد القوات بالمؤن. وقد أتاحت السكك الحديدية ربط أجزاء البلدان بعضها ببعض، ممّا يسّر تعبئتها بشكل مشترك لأغراض الحرب، وبذلك ترتبط كل أجزاء المجتمع في شبكة دقيقة تضمن قدرًا كبيرًا من السرعة في عملية تكوين القوة العسكرية، والتوسع في نطاقها بحشد الملايين في ميدان المعركة.

المراجع

1- The book of popular science. Vol. 1;P.179.
2- Colliers Encyclopedia of science and Technology. Vol. 19.P.633.
٣. موسوعة التكنولوجيا، مجلد٤، ص٦١١، ترادكيسم (شركة مساهمة سويسرية)، جنيف، ١٩٨٥م، توزيع الشركة الشرقية للمطبوعات (شركة مساهمة مصرية).
٤. المصدر السابق، مجلد٨، ص١٣٦٢.
٥. المصدر السابق، مجلد١١، ص١٩٠٩.
٦. المصدر السابق، مجلد١٣، ص٢١٦١.
٧. الشافعي منصور، في مملكة العلم والتكنولوجيا، دار إتراك للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
٨. مارتن فان كريفلد، حرب المستقبل، ترجمة: د. السيد عطا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
٩. مجلة العلم والتكنولوجيا، العدد ٢٥، يوليو/تموز ١٩٩١م، ص٨٣.

بول سيزان.. بين الانطباعية والفن الحديث

إليان شكور
اللاذقية - سورية

«أنت تعلم - كما أعلم - أن هناك فنانًا واحدًا في العالم هو أنا».
بول سيزان.. صاحب هذا القول، كان من أكبر المصورين المجددين سنًا، ومع أنه كان أقلهم شهرة في حياته، وأكثر من أسيء فهم أعماله، إلا أنه يعدُّ حاليا من الشخصيات العظيمة في فن التصوير، ويمكن القول: إن سيزان هو أبو الفن الحديث، وذلك لأن أسلوبه كان يمثِّل المرحلة الانتقالية لتغيير كبير طرأ على تاريخ هذا الفن، فقد انتقل فن التصوير بفضل تجاربه من المدرسة الانطباعية التي نشأت في نهاية القرن التاسع عشر إلى المدرسة التجريدية الحديثة التي تكونت في القرن العشرين.



زوجة سيزان «بورتريه»

طفولة رومانتيكية

ولد سيزان عام ١٨٣٩م في مدينة إكس جنوبي فرنسا من عائلة ثرية، وزامل في دراسته الأولى في كلية بوربون الكاتب إميل زولا، ومن ثم صديقه الثاني بانيستين بايل فقد أمضى الأصدقاء الثلاثة أوقاتهم في التجول والسباحة وتسلق الجبال وقراءة الشعر، وقد نظم زولا في هذه الفترة قصائد شعرية كثيرة، كان يقرؤها لصديقيه، وكذلك نظم سيزان الشعر أيضًا في وقت مبكر من حياته، وأحب الموسيقا، وبدأ يتعلم الرسم منذ عام ١٨٥٦م في مدينة إكس، ويقول زولا عن تلك المرحلة: «كنا ثلاثة، وكنا نشعر بمدى عمق مشاعرنا، وكثرة الآمال التي كنا نأمل تحقيقها، كنا متماثلين في الشباب والأحلام» ويضيف زولا متابعًا: «لقد بكينا حين قرأنا ألفريد دي موسيه» وهذا يؤكد الروح الرومانسية التي كانت تسيطر على حياة الشباب في ذلك العصر. وفي عام ١٨٥٩م حصل سيزان على الشهادة الثانوية، وكان زولا قد رحل إلى باريس ليتابع دراسته هناك، وتبادلا رسائل كثيرة خلال أعوام ١٨٥٩ - ١٨٦١م، وهذه الرسائل تكشف لنا شيئًا من تجارب فترة شباب سيزان، إذ إن أهم



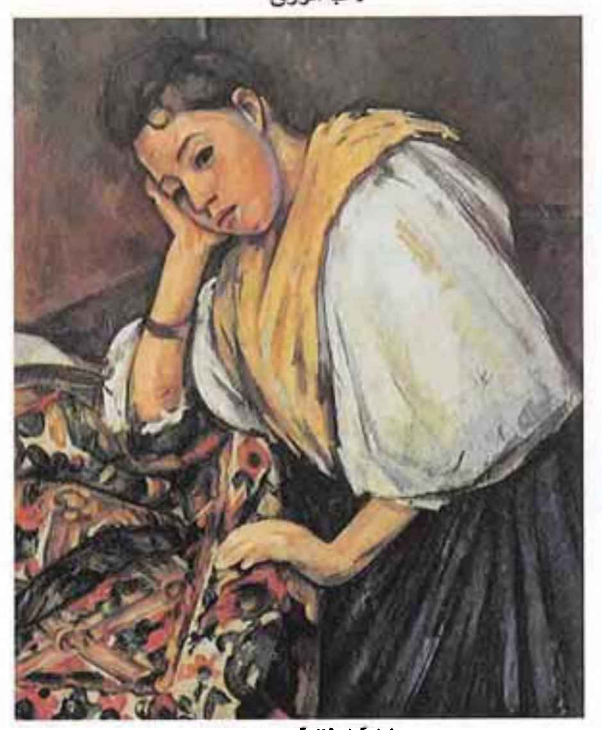
لاعبا الورق

ما ذكره عن حياته في تلك الفترة، قصة حب أفلاطونية وصفها لصديقه زولا بأنها حب نبيل نقي، بعيد كل البعد عن المغامرات الغرامية، ولكنه بعد فترة قصيرة من هذه الحادثة يقول لصديقه زولا: «إنني لم أحب إلا في الأحلام.. ولم أحب حتى في الأحلام». وفي تلك الفترة أيضًا كان سيزان لا يعرف ماذا يفعل؟ أيختار الفن الذي يجذبه بقوة طريقًا نهائيًا، أم يخضع لرغبة والده بدراسة الحقوق؟ وذلك بسبب عدم قناعته بموهبة ابنه وعدم تقديره له، حتى إن سيزان نفسه كان كثير الشكوك، غير واثق من نفسه، وحين يتحدث زولا عن ميزات شخصية صديقه سيزان، وعن الطابع العنيد الذي يغلب عليه، فإن ذلك يعطينا صورة عن شخصية عجيبة لا تخضع لرأي ما لم يكن صادراً عنها، ونتيجة قناعتها به، فيصفه زولا بقوله: «إنه لا يرغب في مناقشة ما يفكر به؛ لأن النقاش يتعبه، كما أن النقاش قد يؤدي إلى تبديل رأيه إذا كان خصمه على حق، وهذا ما لم يكن يحبه سيزان». وكان يحب العزلة في منزل والده الريفي قرب جاز دوبوفان الذي وجده مكاناً هادئاً يقضي فيه أيام عزلته بعيداً عن الناس، وكان كثيراً ما يقول: «إن العزلة هي الشيء الوحيد الذي أصلح له». وفي عام ١٨٦٠م ترك الحقوق نهائياً، ليتفرغ للرسم، وفي عام ١٨٦١م غادر إكس مسافراً إلى باريس.



بين باريس وإكس

وصل سيزان إلى باريس مع زولا، وانطلقا معًا في جولات مختلفة خارج العاصمة الفرنسية، وبدأ يتردد إلى الأكاديمية السويسرية، ويستعد لدخول امتحان كلية الفنون، ولكن مشاعر الضيق والضجر ظلا يلازمانه: «لست مرتاحاً على الإطلاق، إنني لا أغادر الأكاديمية السويسرية منذ الصباح حتى الساعة الحادية عشرة، كنت أظن أن مغادرتي إكس سوف تُذهب عني الضجر، لكني في الحقيقة لم أفعل شيئًا، لقد تركت والديّ، وأصدقائي وعاداتي، ولم أستطع التخلص من هذا الضجر.. إنه ما زال يتبعني..» في هذه المرحلة تعرّف بيسارو الذي كان يتردد إلى الأكاديمية، وكان لهذا اللقاء أثر كبير فيه، وأصبحت صداقتهما متينة جداً، أما أهم أعماله في تلك الفترة فكانت لوحة شخصية لصديقه زولا، ولوحة أخرى رسم نفسه فيها، تبين لنا حالته النفسية تماماً، لقد نقل لوحته عن صورة فوتوغرافية، وبدّل مشهد الصورة كله، لقد جعل خلفية اللوحة أكثر سواداً، مؤكداً نظرته والجو السوداوي اللذين كان يعيشهما، أما لوحة زولا فقد مزقها، بعد أن رسمها؛ لأنها لم تعجبه، أو بالأحرى؛ لأنه لم يكن واثقًا بإمكاناته،



شابة إيطالية «بورتريه»

وكان هذا السلوك يعكس إحساسه بالإخفاق، ولذلك ترك باريس إلى إكس، ليعود إلى العزلة، وينصرف إلى الرسم، بعيداً عن ضوضاء المدينة، وكان يحتاج إلى هذه العزلة ليزيد من خبرته بالرسم.

كانت الفترة التي أمضاها سيزان في جنوب فرنسا بين عامي ١٨٦٧و١٨٦٨م مهمة في مسيرته الفنية، فقد تأثر فيها بفن الباروك، وكانت حصيلة ذلك عدة لوحات مهمة، أكثرها شهرة وأهمية لوحته الأورغي. وكما بدأت لوحاته تُظهر نضجه الفني، أظهرت آراؤه بأشهر الفنانين نضجه النقدي، فيقول عن فيرونيز الذي أثر فيه تأثيراً كبيراً: «إن فيرونيز يرسم كما ترى العين، ودون أي جهد، كما يفعل الراقص الماهر». أما عن دولاكروا فقد قال: «إن دولاكروا هو الفنان الوحيد الذي يستخدم الحجوم في رسومه، منذ عصر الأساتذة العظماء في الفن» وعن مونيه: «إن مونيه مجرد عين، ولكن أي عين»، إن سيزان لم يصبح انطباعياً بالمعنى الدقيق إلا في عام ١٨٧٣م؛ وذلك يرجع إلى أن صلته بالانطباعيين لم تتوطد إلا بعد فترة من الوقت، ولقد كانت سنوات الحرب البروسية دافعاً إلى السفر إلى الاستاك قرب مرسيليا، ومنها إلى أوفر عام ١٨٧٣م، وهناك رسم أولى لوحاته متأثراً بألوان الانطباعيين، وهي لوحة أولمبيا الجديدة، لكن مواضيع اللوحات مازالت أسطورية، ولهذا تعدّ هذه اللوحة تمثيلاً لمرحلة مهمة في انتقاله إلى الانطباعية، ومقدمة للرسم من الطبيعة مباشرة، وبألوان الطبيعة، وبمواضيع منتزعة من البيئة التي كان يعيش فيها، وفي عام ١٨٧٤م اشترك سيزان في معرض الانطباعيين الأول الذي نظمه مونيه.



طبيعة صامتة

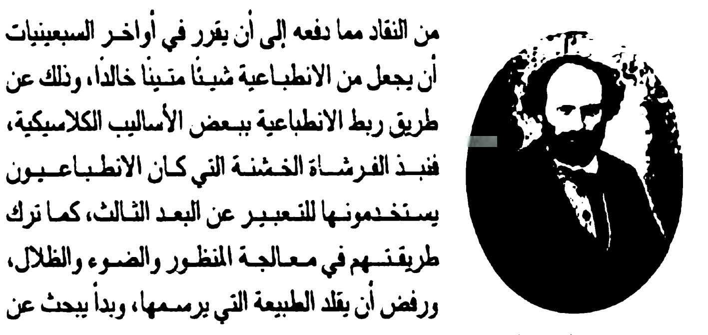


نزهة



إن سيزان الذي صور الأشياء نفسها التي صورها الانطباعيون، ووقف مثلهم أمام الطبيعة قد توصل إلى نتائج مختلفة، فهو يسعى ليعيد بناء الطبيعة؛ لذلك عمل خلافاً للانطباعيين الذين عمدوا إلى تمثيل الانطباعات الأولية المباشرة عن الطبيعة، أما هو فقد سعى إلى تمثيل الأشياء لنفسها محافظاً على مظهرها الحقيقي، وقوة الصورة البصرية، جامعاً بعد ذلك بين البنية الكلاسيكية والعمل على الطبيعة، وهو ما أراده بعبارته المشهورة: «التصوير بأسلوب حي في الهواء الطلق، باللون والضوء، بدلاً من هذه الأعمال المنجزة في المرسم، حيث كل شيء يأخذ لوناً بنياً لضوء النهار الخافت، بعيداً عن انعكاسات السماء»، وسيزان عندما يتحرى اللون فإنما يتحراه كي يحقق الشكل، كما يعبر عن ذلك في إحدى رسائله إلى إميل برنار ؛ إذ يقول: «عندما يكون اللون غنياً يبلغ الشكل كماله، التضادات ونسب اللون، هي سر الرسم والتحجيم». لكن سيزان الذي ابتعد عن الانطباعيين خوفاً من الوقوع تحت تأثيرهم، تعلم منهم حب الطبيعة، كما يقول: «بإدخال ما يكفي من اللون الأزرق إلى ترجرجات الضوء المتمثلة بالأحمر

والأصفر، كي نشعر بالهواء»، وقد عمل في تمثيله للأشياء وتدرجاتها اللونية إلى الطريقة التي كانت الانطباعية قد وضعتها في مرحلتها الأولى، محافظًا على المفهوم القديم للمدى الفضائي، لكنه يصرح بأنه تلمذ لنفسه، وهو عندما وقف أمام الطبيعة، إنما نظر إليها بعين جديدة، فالطبيعة ليست شيئًا آخر غير إدراك الشيء الذي نتمثله من خلال إحساسنا باللون، رافضا التقسيم الكلاسيكي لوجوه الطبيعة المتحولة إلى أشياء رمزية خاصة أو جمالية محددة، ولعل أصالته تكمن في أنه اهتم ببعض المظاهر الجديدة في التجربة البصرية، وبانطلاقه من إحساس مهوس بالطبيعة توصل إلى عزل عدد من العناصر ذات الدلالة، بعيدًا عن قيمها التقليدية، فيقول: «علينا أن نشعر بالطبيعة كشيء خالد»، لكن سيزان الذي أعاد إلى الطبيعة ما فقدته مع الانطباعيين، أي ثقلها ووزنها وأشكالها الجلية، يعد من الممهدين لبعض التيارات الفنية المعاصرة كالتكعيبية، إذ ساهم، إلى حد كبير، في وضع الحلول لبعض المسائل التشكيلية، كما ساهم في نقل مسألة السطوح LES PLANS - كما تركها الانطباعيون - إلى ما أصبحت عليه بعد ذلك. لقد تحول التصوير منذ سيزان، إلى عملية اكتشاف لأجزاء من الطبيعة يعبر فيها الفنان عن نظرته إلى العالم.



سيزان (١٨٧١م)

من النقاد مما دفعه إلى أن يقرر في أواخر السبعينيات أن يجعل من الانطباعية شيئًا متينًا خالدًا، وذلك عن طريق ربط الانطباعية ببعض الأساليب الكلاسيكية، فنبذ الفرشاة الخشنة التي كان الانطباعيون يستخدمونها للتعبير عن البعد الثالث، كما ترك طريقتهم في معالجة المنظور والضوء والظلال، ورفض أن يقلد الطبيعة التي يرسمها، وبدأ يبحث عن حلول جديدة مبتكرة للوصول إلى أهدافه، واستطاع في النهاية أن يرى في العناصر الطبيعية التي يرسمها أشكالاً هندسية، وكان يملأ هذه المساحات بعد ذلك بالألوان. توصل سيزان إلى الحلول التي كان يبحث عنها في أعماله التي بدأت منذ عام ١٨٨٠م، وهي السنة التي تفرقت فيها مجموعة الانطباعيين، وطبق أسلوبه الجديد المتحرر من الانطباعية في اللوحات التي رسمها بعد عودته إلى بلدته إكس عام ١٨٨٢م، وتوافر له ذلك في اللوحات التي صور فيها جبل سان فيكتوار في الفترة بين عام ١٨٨٥ و١٨٨٧م، ويتضح ذلك الأسلوب الجديد في لوحة قمة سان فيكتوار، ونلاحظ في هذه اللوحات الطبيعية أن سيزان بحث في القوانين الهندسية التي تتحكم في تكوينها، ورأى فيها الأسطوانة والكرة والمخروط، وعبر عن ذلك بلمسات قوية بالفرشاة، وفي أثناء نقله لهذه الأشياء كان يعيد تركيبها فيضيف إليها ما يستحق الإضافة، ويبعد عنها ما لا يستحق التسجيل، ولذلك يعتبر سيزان مؤسس مدرسة التصوير الحديث، حيث مهدت نظرياته الطريق إلى ظهور المذهبين: التكعيبي والتجريدي.



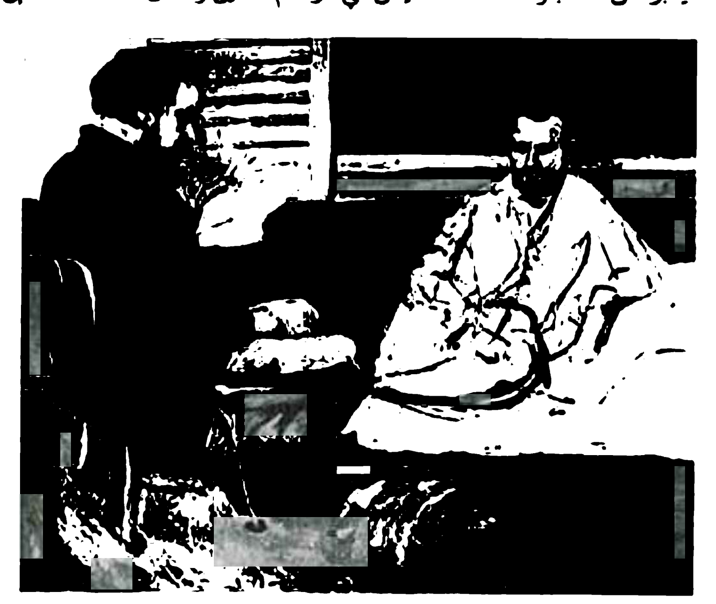
سيزان جالسًا وأمامه يقف الفنان بيسارو

بداية التجربة الجديدة

ظهر تأثير بيسارو في سيزان من خلال نصحه له بدراسة الطبيعة، وترك الألوان القاتمة، واستخدام مجموعة ألوان نقية فاتحة لا تظهر فيها الإضاءة الشمسية، ومن أهم أعماله في هذه الفترة لوحة «المنزل المعلق» التي شارك فيها في معرض الانطباعيين في منزل المصور نادار، ونلاحظ أنه مزج في هذه اللوحة بين أسلوب مرحلته الأولى وأسلوبه الجديد، فنجد، على الرغم من استخدامه للألوان القاتمة، أن لمسات فرشاته صارت قوية، ومع ذلك فقد قوبلت هذه اللوحة بالسخط

يتضح في لوحات سيزان الطبيعية صراع بين البعد الثالث للطبيعة، الذي اهتم به الكلاسيكيون، والبعد الثاني للتصميم

الذي فضله سيزان، ولقد نتج من ذلك التناقض ظهور تعديلات في لوحاته التي رسمها من نقاط نظر مختلفة ومتعددة، كما لم يهتم بالنسب وبعد المنظور، ويمكن ملاحظة ذلك بصفة خاصة في لوحات الطبيعة الساكنة التي أكثر من رسمها، ويتضح ذلك في لوحة طبيعية ساكنة مع سلة فواكه في عامي ١٨٨٩ ـ ١٨٩٠م؛ إذ نرى بعض العناصر فيها وكأنها مرسومة من الأمام، وبعضها من زاوية علوية، كما يبدو سطح المنضدة مائلا عند رسم بعض الأشياء، ومستقيمًا عند رسم أشياء أخرى. في هذه الفترة وصل سيزان إلى قمة رؤيته الجديدة فيعبر عن ذلك بقوله: «هناك شيئان في الرسام: العين والعقل،



سيزان يقرأ على زولا

والاثنان يجب أن يتعاونا معًا، وأن أحدهما يجب أن يساعد الآخر، فالفنان ـ عبر العين ـ يرى الطبيعة الخارجية، ولكنه عن طريق العقل يصل إلى الأحاسيس المنظمة التي تخدم هدف التعبير». كذلك وصل إلى القمة في أسلوبه في الأعمال التي عرضت في المعرض الذي أقامه التاجر فوليار عام ١٨٨٥م، واتضح ذلك في لوحات مجموعة الأشخاص التي اهتم برسمها في آخر حياته، ونلاحظ في تصميم هذه اللوحات أنه راعى صلابة البنيان الهندسي، وحبكة التأليف، وكانت اللوحة تستغرق منه زمنًا طويلاً. ومن أجمل هذه الأعمال مجموعة لوحات «لاعبو الورق» التي رسمها في الفترة بين ١٨٨٥م و١٨٩٠م، وتوضح إحداهما في عام ١٨٩٠م حبكة التصميم الجديد الذي تميز به، وينطبق هذا التماسك في التصميم على لوحة «المستحمات» التي ترجع إلى الفترة ١٨٩٨ ـ ١٩٠٥م. لقد أعجب جماعة الرمزيين بأعمال سيزان، كما أشاد بأعماله التكعيبيون ثم التجريديون بعد مشاهدة المعرض الذي أقيم له عام ١٩٠٧م بعد وفاته، وما إن جاء عام ١٩٢٠م حتى نسي الناس علاقته بالانطباعيين، ونظروا إليه على أنه المصور الذي حطم الشكل الطبيعي، وأعاد صياغته، وبذلك مهد للفن الحديث، فن القرن العشرين.

نهاية الرحلة ـ التجربة

إن عدم فهم تجربة سيزان، وأسلوب الهجوم الذي شُنَّ عليه، وعدم فهم غايته الأساسية، ساهمت جميعها في عزلة سيزان وغربته، ولم ينظم معرض لأعماله إلا في عام ١٨٩٥م، في مخزن فوليار، وكان النقد الفني يتجاهل سيزان على حين كانت أعمال غيره من الانطباعيين تحظى بالاهتمام، وهكذا ازداد عداء سيزان للنقاد، وللناس، وللفنانين، عدا بيسارو، وظل سيزان يحب العزلة، ويبتعد عن الناس، مولعًا بالتجول والرسم في الطبيعة، يحدث سائق العربة التي تُقله إلى الحقول، ويكتب لأصدقائه الرسائل، ويتلقى الأجوبة عنها، ويتحدث عن تجربته الأخيرة التي قضاها منعزلاً: إن الحياة التي أحاطت سيزان بالمرارة واليأس والتجاهل قدمت له أخيرًا الشيء الذي كان يتمناه، الموت الذي حلم به، يوم الجمعة الموافق ١٥ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٠٦م في أثناء عمله في الحقول، حين هاجمته العاصفة، وظل يرسم تحت الأمطار عدة ساعات حتى أغمي عليه، فحُمل على عربة، وأُعيد إلى منزله، وظل مريضًا مدة سبعة أيام، ليفارق بعدها الحياة، وكان آخر ما كتبه رسالة مؤخرة في ٧ أكتوبر/تشرين الأول يطلب فيها من بائع الألوان إرسال بعض الألوان التي كان يحتاج إليها، ومات قبل أن تصل إليه في ٢٢ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٠٦م.

المراجع

١. الشريف طارق، بول سيزان، مطبوعات وزارة الثقافة ١٩٧٥م، ص١٧ ـ ٣٤ و ١٠٩ ـ ١١١.
٢. د. أمهز محمود ـ الفن التشكيلي المعاصر، دار المثلث ١٩٨١م ـ ص ٥٤ ـ ٥٧.
٣. إسماعيل علام نعمت، فنون الغرب في العصور الحديثة، دار المعارف ط٣، ص١٠٣ ـ ١٠٥.

لو كان الزمن دراهم

ثوب العروس أغلى من ثمن قصر!!

صلاح يحياوي
ماديسون - أمريكا

كيف يمكن أن يكون ثمن بضع حبات من الكراميل (السكر المحروق) أغلى من ثمن الطابق (الدور) الأخير في بناء يقع في مركز المدينة؟ إننا نجد أنفسنا أمام أمثال هذه المعادلة المدهشة عند تقرير الأشياء بتبعية استعمالنا لها، ثم بحساب ثمنها هذا لكل ساعة.

يتم تقرير ثمن الأشياء اعتماداً على عوامل كثيرة، ومن بين هذه العوامل العمل الضروري لإنتاجها، وكلفة التقانات المستخدمة، وطلب السوق لها، وأشياء أخرى مماثلة.. ومع ذلك فإن الأكثر أهمية للمشتري هو أخذه في الحسبان الفائدة من الشيء، أي الأسلوب الذي يتم فيه تأمين الحاجات، ومدة الزمن الذي يستغرقه ذلك.

إن أحد الأمور الرئيسة التي يصر عليها الاقتصاديون وعلماء الاجتماع، هو معرفة الكيفية التي يتخذ فيها المستهلك قراراته؛ وذلك بغية التنبؤ بسلوكه، أو لمساعدته على جعل طلباته في حدها الأمثل.

فإذا كانت لدينا كمية محدودة من المال، وكنا في حيرة من أمرنا أمام سلسلة من المنتجات المتشابهة، والمتماثلة في قيمها، فإن الأمر سهل نسبياً، وهو في نهاية المطاف قرار تقليدي حول أية سيارة تنال المزيد من إعجابنا، أو أي شريط سينمائي يروق لنا أكثر من غيره، إلا أن القرارات الاقتصادية ليست بهذه البساطة.. لنتساءل أيهما أكثر ملاءمة لنا؟ أهو شراء ساعة بمبلغ ٦٢٥٠ دولار أم شراء عشرين حبة من الكراميل بمبلغ دولار وربع الدولار؟ إن ذلك - عموماً - تقويم يتم بالعين المجردة، فهل يمكن القيام به علمياً؟



فرحة العروس وهي بثوب العرس..كم تساوي؟!

شراء شيئين مختلفي القيمة تماماً

قد يكفي من حيث المبدأ عنصران: ثمن الشيء بالدراهم - على أن يكون ذلك دائماً في نطاق إمكاننا -، والدرجة التي تؤمن فيها حاجاتنا. إلا أن تقدير هذه الدرجة بأسلوب موضوعي أمر مستحيل تقريباً.

إن إحدى طرائق التقويم موضوعياً - وإن كان ذلك جزئياً - هي الأخذ في الحسبان الزمن الذي يستخدم فيه

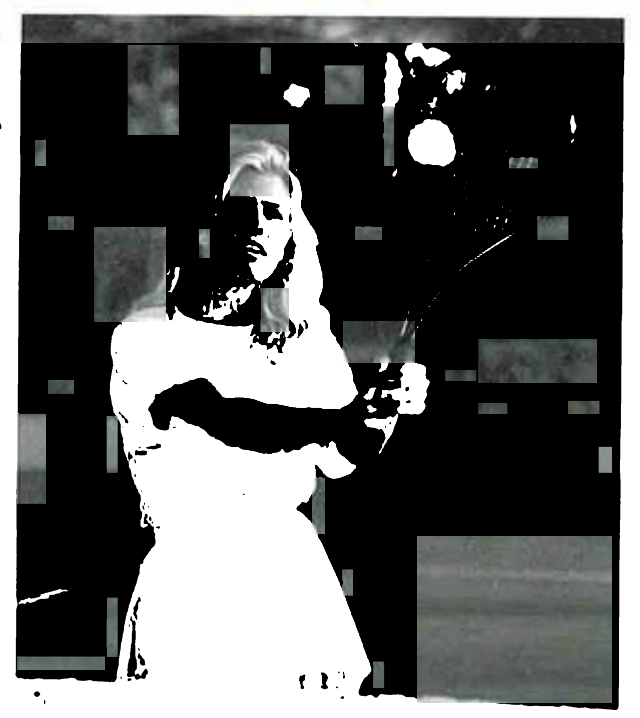
الشيء؛ إذ من غير الممكن قياس ما الذي يسبب لنا مزيداً من السرور في الوقت الذي نكون فيه أقل قدرة على حساب ما يرضينا خلال مزيد من الوقت بتبعية ثمنه.

يعاني جميع ما تمتلك من أشياء استهلاكية نقصاً في القيمة بمرور الزمن، لأن هذه الأشياء تُستهلك، أو لأنها تتلف، أو تنفد، أو لبطلان زيها.

فإذا ما استخدمنا الشيء استخداماً جيداً قبل أن يبيد لسبب ما، فيكون الثمن الذي دفعناه فيه قد كافأ فائدتنا منه، أو كما يقول الاقتصاديون «قد استهلك توظيفنا».

وتتم معرفة ذلك بقسمة ثمن الشيء على عدد ساعات استخدامه، وبذلك نحصل على الكلفة الساعيّة. فنكتشف - من وجهة النظر هذه - أن قيم الأشياء قد ثُورت على نحو ما. فهكذا نجد أن ثمن ثوب العروس - على سبيل المثال - قد يبلغ أكثر من ثمن قصْر؛ ومن المفروض أن يتجاوز السرور الذي ينتاب العروس وهي مرتدية ثوبها هذا مدة ساعة كلفة العيش ساعة في الطابق الأخير ذي الشرفة الواسعة المطلة على شارع في بناء.. غير أن هذا هو أمر يختلف في تقويمه كل منا.

إذا كنت تبالغ في قيادة سيارتك، فإن ثمن سيارتك هذه يعادل ما تدفعه لشراء شطيرة (سندويشة) وقارورة من المياه الغازية



ست ساعات من اللعب أسبوعيًا لتقليل الكلفة الساعية لملعب كرة المضرب

٢٠ حبة من الكراميل = طابقًا في مركز المدينة

إن بإمكان أبناء أحفاد من دفع ثمن طابق علوي مشرف على حديقة عامة في بناء يقع في مركز المدينة التمتع بالعيش في ذلك الطابق.

يعد المسكن مثالاً ذا شأن بين أمثلة الأشياء التي تبدو في منتهى الغلاء. غير أنها لا تكون غالية جداً؛ فيما بعد؛ لأنها تكون قد استهلكت ثمنها نتيجة لاستخدامها الممتد جداً. فعلى سبيل المثال من يدفع ٧٥٠٠٠ دولار مقابل امتلاك طابق واسع مطل على الحديقة العامة في مركز المدينة، سيدفع ثمن الاستخدام في وقت أدنى مما لو اشترى علبتين من حبات الكراميل من كشك العم أحمد.

إن لهذا النمط من دفع الأثمان الضخمة فوائد كثيرة؛ إذ يمكن إعادة تقويم المسكن بمرور الزمن، والمسكن لا يبطل زيه، ويتم استهلاك ثمنه على مدى طويل جداً، زد على ذلك أن هناك - دائماً - احتمال إعادة بيع العقار أو رهنه.

إن قيام المشتري بإصلاح الطابق وصيانته على نحو جيد يتيح له أن يتركه في المستقبل ليكون بيت أبنائه وأحفاده وحتى أبناء أحفاده. وعند الأخذ في الحسبان مدة استخدام المسكن خلال قرن ونصف القرن من الزمان فإن الكلفة الساعية تغدو ٩٥ر٠ من الدولار، وهذا هو بعينه - تقريباً - ثمن علبة من حبات الكراميل ذات المحتوى الذي يُستهلك عند تناوله من دون انقطاع خلال ساعة واحدة من الزمن تقريباً.

عشاء واحد في مطعم = سيارة واحدة

إذا كنت تبالغ في قيادة سيارتك، فإن ثمن سيارتك

هذه يعادل ما تدفعه لشراء شطيرة (سندويشة) وقارورة من المياه الغازية.

يمثل شراء سيارة وصيانتها إحدى النفقات الأكثر أهمية لدى معظم سائقي السيارات؛ ولهذا جرت العادة أن يعتقد الناس أن السيارات مرتفعة الثمن جداً. فهل هذا الظن في محلّه إذا ما أخذنا في الحسبان زمن الاستخدام؟

لنفترض أنك بعت كل ما تملك واشتريت سيارة مرسيدس كلفتك ثمناً باهظاً قدره ٧٥٠٠٠ دولار.. فإذا كنت لا تخرج السيارة من المرآب إلا أقل من ساعة كلَّ يوم؛ لأن التباهي ليس من شيمك وإذا ما تعبت منها بعد عشر سنوات، وتخلصت منها، فتكون الكلفة الساعية الفعلية لكل ساعة استخدمت فيها السيارة مماثلة لكلفة عشاء في مطعم أقل ترفاً بكثير من السيارة، ولنقل ٢٠ دولاراً، ولكن هذا الأمر نسبي!.. لأنك إن كنت كثير السفر، وتستخدم سيارتك هذه ست ساعات وسطياً في اليوم، فإن الكلفة الساعية لها تغدو مماثلة لثمن شطيرة مع قارورة من المياه الغازية في مقهى.

وفي الحالة التي نقنع فيها بسيارة سياحية ثمنها ١٢٥٠٠ دولار نقودها كل يوم مدة ساعتين فلا تتجاوز الكلفة الساعية دولاراً واثنين وسبعين سنتاً، أي ما يعادل تقريباً كلفة رحلتين في الحافلة (الأوتوبيس)، وينبغي أن نضيف إلى ذلك مصاريف الصيانة والإصلاح والبنزين (الغازولين) التي تتفاوت كثيراً جداً وفق طراز السيارة. ومن هنا ينبغي لنا أن نأخذ في الحسبان الساعات التي سنستخدم فيها السيارة؛ لذلك يجدر بنا شراء سيارة أقل استهلاكاً - وإن كانت أغلى ثمناً بكثير - أو شراء سيارة مرتفعة الثمن جداً، ولكنها لا تستلزم إلا القليل من الإصلاحات، والتي، زيادة على ذلك، تكون أسهل تسديداً للثمن ببيعها - فيما بعد - بثمن جيد.

٤ أجهزة موسيقية متكاملة = كتاباً واحداً

أتفضل أن تقضي عشر ساعات في القراءة، أم ٨٢٥ر١ ساعة في الاستماع إلى الموسيقى؟ إن الخيار لك لأن الكلفة هي نفسها.

مثل هذا الحصن يتضاءل ثمنه أمام ثوب عروس!!

من الطبيعي أن نقرأ الكتاب عندما نشتريه، ولنفترض أننا قمنا بذلك؛ وأننا بعد قراءتنا للكتاب قد وضعناه على الرف في مكتبتنا دون العودة إلى تصفحه مطلقاً. فإذا أخذنا في الحسبان زمن استمتاعنا، فيكون ثمن الكتاب مرتفعاً جداً. فإذا كان ١٤ دولاراً هو الثمن الوسطي لكتاب عدد صفحاته ٣٠ صفحة، ويتيح لنا عشر ساعات في القراءة، فتكون الكلفة الساعية في قراءته دولاراً واحداً وأربعين سنتاً، وعند موازنة هذا الرقم بعنصر مماثل من قطاع ملء الفراغ نجد أن الكلفة الساعية لقراءة الكتاب هي أعلى أربع مرات من الكلفة الساعية لأربعة أجهزة موسيقية متكاملة قيمتها ٦٢٥ دولار تصاحبنا في المنزل ساعة واحدة في اليوم خلال خمس سنوات.

وعلينا أن نأخذ في الحسبان أمراً آخر هو: أية متعة هي أكثر شدة؟ أو أيتها هي أكثر إغناء لنا؟ علماً بأن هذه التقويمات هي تقويمات شخصية؛ ومن الواضح أنها تتوقف على الكتاب الذي نقرؤه، وعلى الموسيقى التي ننصت لها. كما يختلف الأمر إذا كان الكتاب معداً

للدراسة، أو إذا كنا معتادين إعادة قراءة الكتاب، أو إعارته إلى الأصدقاء.

كسارة الجوز = ١٣٠ ثلاجة

يكلفنا كسر الجوز ٦٢٥ر٠ من الدولار في الساعة، إذا ضمنّا عدم فقدان الأداة.

إن المثال على الأشياء المنخفضة الثمن جداً مع كونها قليلة الاستخدام جداً، والتي تفوق كلفتها الساعية حتماً ما قد يتصور المرء هو مثال كسارة الجوز.

إن شراءنا لكسارة جوز من السوق يفترض أن ندفع ما يعادل ٦ دولارات، ولكن ما كلفتها الحقيقية إذا ما استخدمناها خلال ساعة واحدة في العام، وحرصنا على عدم ضياعها خلال عشر سنوات؟ ناهيك عن أن هذا النمط من الأشياء قد لا يكون في متناول أيدينا تماماً في ذلك اليوم الوحيد عند الحاجة إليه؟.. ستكون كلفتها الساعية ٦٢٥ر. من الدولار، أي نحو ١٣٠ مرة أكثر من الكلفة الساعية لثلاجة ثمنها ٤٣٧ دولار تعمل دون انقطاع خلال عشر سنوات.. إلا إذا كان الجوز يستهوينا كثيراً جداً!..

نصف سيجارة = زوجاً من الأحذية

بإحصائنا عدد الساعات يتبين لنا أن التدخين مرتفع الثمن جداً حاله حال انتعال حذاء أو ارتداء ألبسة؛ ذلك لأن تدخين السيجارة يتم خلال دقائق في اليوم، بينما نلبس الثياب طوال الزمن كله تقريباً.

ويتبين من معطيات نشرت حديثاً أن التبغ يستهوي ثلث السكان الراشدين في العالم تقريباً؛ ويدخن نصف هؤلاء تقريباً في اليوم الواحد ما يراوح بين نصف علبة سجائر وعلبة سجائر واحدة تحتوي على عشرين سيجارة.

ويترتب على من يستهلك علبة واحدة من التبغ الأمريكي يومياً أن يدفع دولارين ونصف الدولار ثمناً لها. وتكون الكلفة الساعية للاستمتاع الفعلي دولاراً ونصف الدولار؛ ذلك أن تدخين السيجارة الواحدة يستغرق نحو خمس دقائق تقريباً، فيكون الزمن الحقيقي الذي يستغرقه تدخين ٢٠ سيجارة هو ١٠٠ دقيقة، أي أقل من ساعتين. أي إن المدخن يستهلك ١٢٥ر. من الدولار أي ٥ر١٢ سنتاً تقريباً كلما أطفأ سيجارة. وهذا يفترض مصروفاً أعلى بمرتين ونصف المرة من المصروف الساعي الفعلي عند أغلب الناس في شراء الألبسة والحذاء، أي ٥ر. من الدولار (أو خمسة سنتات).

وعلى نحو عام عندما نذهب لشراء منتج ما فإننا نتطلع إلى أن يستمر طويلاً ما أمكن، كشراء حذاء جيد، أو ساعة، أو مجموعة أساسية من الثياب. إن من المستحسن دفع مبلغ أعلى بعض الشيء في مقابل زيادة في الجودة، لأن استمتاعنا يزداد بالشيء الأكثر جودة في كل مرة نستخدمه فيها، بينما توزع الزيادة في الثمن على عدد كبير من ساعات عمر ذلك الشيء.

الآلة الموسيقية والكتاب.. أي وجه للموازنة؟!

معطف من الجلد = حفاظ طفل

يحتاج الطفل خلال السنة الأولى من حياته إلى ١٥٠٠ حفاظ، وهذا يكلف والديه ٥٤٨ دولار، أي إن النفقة الساعية تزيد على ٢٥ر٦ سنتات. بينما هذه النفقة

تماثل النفقة الساعية الناجمة عن شراء معطف من الجلد ثمنه ٤٠٦٣ دولار، علماً بأنك لا تُخرج المعطف إلا ثلاثة أشهر كل عام، فكيف يكون ذلك؟ والجواب هو أن كل حفاض - وإن كان ثمنه أقل من ٣٧ سنتاً - لا يدوم سوى ساعات محدودة، أما المعطف فيمكن أن يصاحبك خلال ٣٠ عاماً.

رحلة واحدة على الأفعوانية = ٢٠ رحلة في زورق سياحي

يكلف اجتياز البحر الأبيض المتوسط أقل مما تكلف التسلية في مدينة للملاهي.

عندما تركب المصعد ليحملك إلى قمة الأفعوانية يكون آخر ما تفكر فيه - على وجه التأكيد - هو كلفة الرحلة التي لا تتجاوز دولارين ونصف الدولار. ومع ذلك فإن هذه الكلفة هي في غاية الارتفاع بالموازنة مع الزمن الذي لا يكاد يبلغ الدقيقة الواحدة التي تدومها الرحلة؛ ذلك أن الكلفة الساعية ترتفع إلى ١٥٠ دولار، أي أعلى بعشرين مرة من كلفة رحلة على زورق من الدرجة الراقية مدة أسبوعين في البحر الأبيض المتوسط، والتي يدفع فيها ٢٥٠٠ دولار.

من الواضح أنه ليس هناك من يرغب في قضاء ١٤ يوماً على الأفعوانية، وبالمثل ليس هناك من يرغب في قضاء عطلة مدتها ٦٠ ثانية في البحر!..

مظلة = ١٧٦ ساعة

بإحصاء عدد الساعات يكون استئجار مظلة على شاطئ البحر أغلى بكثير من ثمن ساعة من الذهب مع أن هناك أشياء صغيرة تكلف الكثير، إلا أن العكس صحيح أيضاً. وعلى سبيل المثال تبلغ قيمة ساعة ذهبية ثمينة جداً ٦٢٥٠ دولار. فإذا ما تم الاعتناء بهذه الساعة فإنه من الممكن أن يتوارثها الأبناء عن الآباء خلال ١٢٥ سنة. ولن تكون كلفتها الساعية خلال هذا الدور إلا ٥٣ر٠ سنتاً، وهذا الرقم هو أقل بـ ١٧٦ مرة من الكلفة الساعية لاستئجار مظلة على شاطئ البحر في شهر آب/أغسطس، وأقل من ثلثي ثمن مُلاءة (شراشف) السرير التي ينام عليها الزوجان خلال خمسة أعوام



شراء حصان أم استئجاره.. أيهما أجدى؟!

بواقع ثماني ساعات في اليوم خلال ١٠٠ يوم في السنة.

ثوب العروس = ٣ حصون

إن ثوب العروس هو أحد التوظيفات الرديئة في حياتنا إلا إذا كنا مصممين على الزواج عدة مرات.

إن ثوب العروس هو من المشتريات الأقل ملاءمة فيما يتعلق بالنسبة إلى (زمن الاستخدام/ الثمن)؛ ذلك لأن ثمنه مرتفع، وتكاد العروس لا تلبسه إلا مرة واحدة، وخلال ساعات معدودة. فعلى زوجة المستقبل كي تحقق حلمها أن تدفع ٣٣٤ دولار في الساعة، وهو مبلغ يزيدُ ٤٠ مرة على الكلفة الساعية لرحلة العروسين خلال أسبوعين إلى جزر الكاريبي في أمريكا الوسطى بدفع ٢٨٠٠ دولار، ويزيد ثلاث مرات على الكلفة الساعية لاستئجار حصن من حصون العصر الوسيط.

زد على ذلك أن الاستفادة من ثوب العروس أمر صعب؛ لأنه مصنوع على القياس، ولا يمكن استعماله ثانية - حاله حال ثوب العريس - إلا إذا أعدنا تصليحه كي تستعمله الابنة أو كي تعود إلى لبسه في زواج آخر!..

بطاقة الدخول إلى دار السينما = ٣ غسالات كهربائية

تكون بطاقة الدخول إلى دار السينما أكثر مردوداً إذا

كنا نذهب لمشاهدة شريط سينمائي طويل كفيلم تايتانيك TITANIC.

يكلف الدخول من أجل مشاهدة شريط سينمائي يعرض للمرة الأولى نحو أربعة دولارات وسبعين سنتًا، وهو مبلغ في متناول الكثيرين على ما يبدو. ولكن إذا ما فكرنا في الكلفة الفعلية للخدمة في علاقتها بمدة الاستخدام نستكشف أن الجلوس أمام الشاشة الكبيرة يكون أكبر من الكلفة الساعية للغسالة بـ ١٨ مرة. وبالفعل.. مع أن هذه الغسالة الكهربائية أغلى ثمنًا بكثير، إلا أن استخدامها مرتين في الأسبوع طوال عقد من الزمان يجعل كلفتها الساعية ٢٦ر٠ من الدولار بالموازنة مع ٧ر٣ دولارات كلفة الاستمتاع بمشاهدة الفن السابع.

إحدى طرائق التقويم موضوعيًا هي الأخذ في الحسبان الزمن الذي يستخدم فيه الشيء؛ فجميع ما تمتلك من أشياء استهلاكية تعاني نقصًا في القيمة بمرور الزمن، لأن هذه الأشياء تُستهلك، أو لأنها تتلف، أو تَنفد، أو لبطلان زيها

أعلى اللحظات وأدناها كلفة

تعد الممتلكات السريعة الاستهلاك جدًا أعلى الممتلكات كلفةً ساعيّة؛ إذ يكاد لا يكون هناك زمن لاستهلاكها. وهناك في الجانب الآخر أشياء، مع أنها يفترض أن يُدفع فيها ثمن أكثر ارتفاعًا، إلا أنها ترافقنا خلال حياتنا، لا بل ترافق حياة خلفنا.

التحليق في الهواء بعد القفز من الطائرة:

من الصعب تصور تسلية أغلى ثمنًا بالنسبة إلى الزمن الذي تستغرقه، مع أنها لا تكلف كثيرًا (نحو ٣٠ دولارًا للمرة الواحدة)، إذ تبلغ الكلفة الساعية لهذه المتعة التي لا تستغرق إلا مدة قصيرة جدًا ألف ضعف من كلفة المرة الواحدة.

الرحلة في الفضاء:

غدا من الممكن القيام بدورة في الفضاء بثمن معتدل قدره ٣٧٥٠٠ دولار في الساعة أي ٩٣٧٥٠ دولار لتمضية ساعتين ونصف الساعة على مدار حول الأرض.



التحليق في الهواء التسلية الأغلى ثمنًا

الحاسوب:

إذا كنا نستعمل الحاسوب في عملنا ٤٠ ساعة في الأسبوع خلال خمس سنوات، فيكون الثمن الساعي للحاسوب نحو ١٦ سنتًا، وهذا هو - تقريبًا - ما ندفعه للاتصال عن طريق الإنترنت INTERNET خلال الوقت نفسه.

الفراش:

يجدر في هذا المجال شراء فراش من النوع الجيد؛ ذلك لأننا نقضي ثلث حياتنا عليه، ويبلغ عمره الوسطي ١٢سنة. فإذا افترضنا أننا نصرف ٤٣٧ دولار ثمنًا لفراش فإن الكلفة الفعلية ستكون أقل بعض الشيء من ٢٥ر١ سنت في الساعة.

المجلة:

عند حساب الكلفة الساعية لنشرة ما ينبغي الأخذ في الحسبان الزمن الذي يتمُّ فيه استمتاع من يقرؤونها بها، وقد جرت العادة أن يكون عدد هؤلاء أربعة أشخاص أو خمسة، زد على ذلك إمكان الاحتفاظ بها، والعودة إليها ومراجعتها عدة مرات أخرى.

الشراء أم الاستئجار؟

يتساءل المرء أحيانًا: أيهما أكثر ملاءمة، استئجار الشيء أم شراؤه؟ والجواب هو: يتوقف ذلك على الإمكانات الاقتصادية، ولكن هناك أيضًا عوامل أخرى كالاستخدام الذي سيخضع له الشيء. وإليكم بعض الأمثلة:

الزلاقات وأحذية التزلق على الثلج:

إن شراء معدات تزلق (٤٤٠ دولاراً وسطياً) لتستخدم خلال خمس سنوات أمر يلائم من يتزلق أكثر من سبعة أيام في السنة. ففي الحالة التي تستخدم فيها عدة أيام فقط في أسبوع التثلج، وخلال ثماني ساعات في اليوم، تكون الكلفة الساعية لامتلاك هذه المعدات دولاراً وستة وستين سنتاً، وهذا أعلى من كلفة الاستئجار الساعية (٢٦ر١ دولار)؛ ذلك أن كلفة الاستئجار اليومية هي ١٠ دولارات في اليوم.

إن أكثر ما ينصح به هو استئجار معدات حتى إتمام التدرب، ثم شراء معدات بعد ذلك، هذا إذا لم يخذلنا الثلج، فلا يسقط في العام الذي نقرر فيه القيام بالتزلق.

الحصان:

قد يتطلب شراء حصان من أجل ألعاب الفروسية مبلغاً قدره ٢٦٠٠ دولار، علماً بأنه ينبغي أن يضاف إلى ذلك كلفة إيواء الحصان، والقيام بأوده، والتي تبلغ ٢٠٠ دولار في الشهر. فإذا ما احتفظنا بالحصان عشر ساعات فعلينا امتطاؤه ٣ ساعات في الأسبوع على الأقل (وهكذا تكون الكلفة الساعية الفعلية ١ر١٧ دولاراً)، لذلك يعد استئجار حصان بـ ٢٠ دولاراً في الساعة أمراً أكثر ملاءمة.

القارب الشراعي:

يكلف استئجار يخت شراعي بطول ١٠ أمتار في الموسم السياحي مبلغ ٢٠٠ دولار ويمكن استعمال هذا اليخت خلال ٢٠٠ ساعة، ومن ثم الكلفة الساعية للإبحار ١٠ دولارات. أما شراء المركب نفسه بمبلغ ٠٠٠ر١٠٠ دولار فلا يكون مناسباً إلا إذا استخدم على الأقل ستة أسابيع في العام خلال عشر سنوات (حيث تبلغ الكلفة الساعية ٩٢ر٩ دولارات).

ملعب كرة المضرب:

كي تمارس لعبة كرة المضرب عليك أن تدفع ٨ دولارات لاستئجار ملعب الكرة. أما بناء ملعب فقد يكلف ٢٣٣٠٠ دولار، فهل هذا يلائمك؟ فإن كان الأمر



ننصح باستئجار الزلاقات حتى إتمام التدرب

كذلك فعليك استخدامه أكثر من ست ساعات في الأسبوع خلال عشر سنوات لتكون الكلفة الساعية ٤٥ر٧ دولارات.

جهاز الفيديو:

يكلف شراء جهاز عرض فيديو ٣٣٥ دولار، أما استئجاره ليوم واحد فيكلف دولارين وسبعة وستين سنتاً لعرض شريط سينمائي يدوم ساعتين (الكلفة الساعية ٣٤ر١). وهنا يكون شراء الجهاز أكثر ملاءمة لعرض ٢٥٠ شريط، أي أكثر بعض الشيء من شريط واحد في الأسبوع مدة ٤ سنوات.

الهوامش

• الأفعوانية Roller Coaster هي سكة حديد مرتفعة في مدينة الملاهي تعلو وتهبط، وتجري فوق قضبانها عربات صغيرة.

حق الجنوب على الشمال في تنمية الموارد المائية

توفيق علي منصور
القاهرة - مصر

منذ قديم الزمان والإنسان الذي يعيش في الجنوب يدرك أهمية المياه العذبة في استدامة الحياة؛ ففي الملحمة الشعرية الهندية القديمة ماها باهارتا Mahabaharta يقول أحد الحكماء في السياسة، ويدعى ريشي نارادا Rishi Narada عندما كان يحيي ملك الباندافا، ويدعى يوريسثرا Yudhisthra(١):

أتمنى أن تكون لمملكتك خزانات كبيرة
ملأى بالمياه ومنتشرة في أنحاء كثيرة
كي تجنبك الخضوع بزراعاتك الوفيرة
لنزوات الملائكة وسحاباتهم المطيرة

وفي الملحمة الهندية المسماة آرثازاسترا Arthasas-tra (أي ملحمة العلوم السياسية والإدارية) التي نظمها الشاعر السياسي الهندي قوتيليا Koutilya في حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، يوضح فيها العلاقة الوثيقة بين المياه والإدارة الحازمة في الجنوب. فقد نظم قوتيليا شبكة لقياس كميات مياه الأمطار في بقاع متفرقة من البلاد، وقام بجمع البيانات التي حصل عليها. وربما كانت هذه المعلومات هي أول محاولة لدراسة نظم توزيع مياه الأمطار، وتضمنت الملحمة فصلا بعنوان: «الإشراف على الزراعة»(٢)، وقد وجه قوتيليا اهتمامه إلى قياس كميات الأمطار لسببين: أولهما: أن الضرائب العقارية التي كانت تفرض على الأراضي الزراعية كانت تقدر بحجم الأمطار التي تسقط عليها كل عام، فالأمطار مقياس لتقويم الإنتاجية الزراعية، أو لتقدير الدخل.

وثانيهما، أن الإشراف على الزراعة يحتم الإدراك العميق لنماذج الأمطار لكي تؤتي الزراعة أعلى ما يمكن من المحاصيل، أو لتنظيم الدورات الزراعية، ونوعيات المحاصيل بناء على توقيتات مواسم الأمطار وكمياتها المتوقعة.

الجنوب سبق الشمال في تنظيم الموارد المائية

ومن الجدير بالذكر أن دول الشمال لم تجر حصراً لكميات الأمطار قبل أن يجريه بينديتي كاستيللي Bandetti Castelli؛ إذ أجرى عدة تجارب متفرقة في أنحاء إيطاليا في عام ١٦٣٩م، أي: بعد أكثر من ألفي عام من تجارب العالم الهندي قوتيليا.

ففي الشمال ينظر الناس إلى الماء على أنه قضية مسلم بها، فلا مشكلات تدور حولها إلا في حالات القحط الشديد.

وهناك فرق كبير بين الدول المتقدمة (دول الشمال) والدول النامية (دول الجنوب) في نظرة كل منها إلى المياه؛ إذ تعتني جميع دول الجنوب بإنشاء وزارة ذات نشاط بارز للموارد المائية، أو وزارة للري؛ بينما لا تخصص دول الشمال إلا إدارة محدودة لتنظيم الموارد المائية؛ وتداول قضايا المياه. ففي كندا على سبيل المثال تدير شؤون المياه إدارة صغيرة ضمن وزارة البيئة التي تعد من أصغر الوزارات.

وفي دول الجنوب تعد فترات القحط الطويلة مسألة



مشكلة المياه مسألة حياة أو موت بالنسبة إلى مصر

حياة أو موت. فالجفاف له آثار عميقة مدمرة في الإنتاجية الزراعية يبلغ فيها نقص المحاصيل حد المجاعة، فيتضور الناس جوعاً، وتنفق (تموت) قطعان الماشية، وتتراجع خطط التنمية. أما في الشمال فلا تحدث فترات القحط إلا نادراً وفترات وجيزة؛ فضلا عن أن دول الشمال المتقدمة تعتمد على الاقتصاد المرن ذي الموارد المتنوعة. ولهذا فاقتصادها المرن أقدر على الالتئام عند زوال أسباب القحط، وليست للمجاعات آثار تذكر في هذه الأيام في الشمال، وإذا حدث قحط فسرعان ما تتلاشى آثاره فور سقوط الأمطار.

صنع القرار في تدبير المياه العذبة

بعض الدول النامية لا تشرك الحكومات الفرعية (سواء أكانت محافظة أم دولة) مع الحكومة المركزية في صنع القرار المتعلق بتدبير المياه وتصريفها، ومن هذه الدول: مصر، وكينيا اللتان تتخذان قرارات الري على النطاق المركزي.

وعلى الرغم من القرارات الفردية التي تتخذها بعض الدول النامية في قضية المياه؛ فإن المنظمات الدولية والمؤسسات والهيئات والاتحادات ذات الاهتمام المشترك المتعلق بالمياه تشارك في عملية اتخاذ القرار في مسارين:

أحدهما: عدم قدرة معظم الدول النامية على تمويل مشروعات تنمية الموارد المائية بالإمكانات الذاتية. فالتمويل الخارجي الذي يراوح بين ١٠٪ و ٩٠٪ من جملة التكلفة مطلوب تدبيره إما على شكل تقدير نسبي للمصالح المشتركة، وإما على شكل منح لا ترد. ومن هذه المنظمات البنك الدولي World Bank (WB) ومنظمة الغذاء والزراعة Food and Agriculture Organization (FAO) وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة United Nations Environmental

Programme (UNEP)، وهذه المنظمات والبرامج تناقش قضايا الأنهار الدولية والزراعة وأمور البيئة.

وثانيهما: أن نصف دول العالم تقريباً تقع على أنهار أو بحيرات عذبة مشتركة. فنحو ٦٠٪ منها يقع في إفريقية وأمريكا الجنوبية، بينما يقع ٤٠٪ تقريباً في أمريكا الشمالية والوسطى، وبمعنى آخر، فإن ٤٤ دولة - منها ٢٠ في إفريقية و٧ في آسيا و١٣ في أوربا و٤ في أمريكا اللاتينية - تشكل ٨٠٪ من إجمالي المساحات التي تشترك في أحواض الأنهار والبحيرات العالمية.

وهناك ثماني دول تشترك في مياه نهر النيل وهي: السودان، وإثيوبيا، ومصر وأوغندا، وتانزانيا، وزائير، ورواندا، وبوروندي. وهذه الدول تنظم علاقاتها في نطاق الاتفاقيات الدولية. وعلى الرغم من أن المنظمات المعنية بشؤون تطوير المياه الدولية وإدارتها سوف تواجه تحديات كثيرة في العقود القادمة، فإن التشريعات الدولية المتعلقة بالمياه لا تزال من المشكلات المعقدة غير المستقرة في القانون الدولي حتى الآن(٣).

القانون الدولي وموقف المنظمات الدولية من مشكلات المياه العذبة

يعد الميثاق الذي تعمل بموجبه محكمة العدل الدولية The Statute of the International Court of Justice نقطة الانطلاق عند النظر في القضايا الدولية المتعلقة بمياه الأنهار والبحيرات والمياه الجوفية. وتنص المادة ٣٨ منه على أن تلتزم المحكمة الالتجاء إلى الخبراء، وإلى القياس على الأحكام المماثلة، وإلى المعاهدات والاتفاقيات التي صادقت عليها الحكومات، وإلى الأعراف والمبادئ العامة المعمول بها، وأخيراً إلى الأحكام القضائية وآراء رجال القانون.

وهناك هيئات قانونية دولية متنوعة؛ مثل لجنة القانون الدولي في الأمم المتحدةInternational Law Commission of the United Nations، واتحاد القانون الدولي International Law Association، واللجنة الاستشارية القانونية الآسيوية الإفريقية The Asian-African Legal Consultative Committeeوهذه الهيئات وتلك اللجان والاتحادات لها جهود واضحة في هذا المجال.

تعتني جميع دول الجنوب بإنشاء وزارة ذات نشاط بارز للموارد المائية، أو وزارة للري؛ بينما لا تخصص دول الشمال إلا إدارة محدودة لتنظيم الموارد المائية

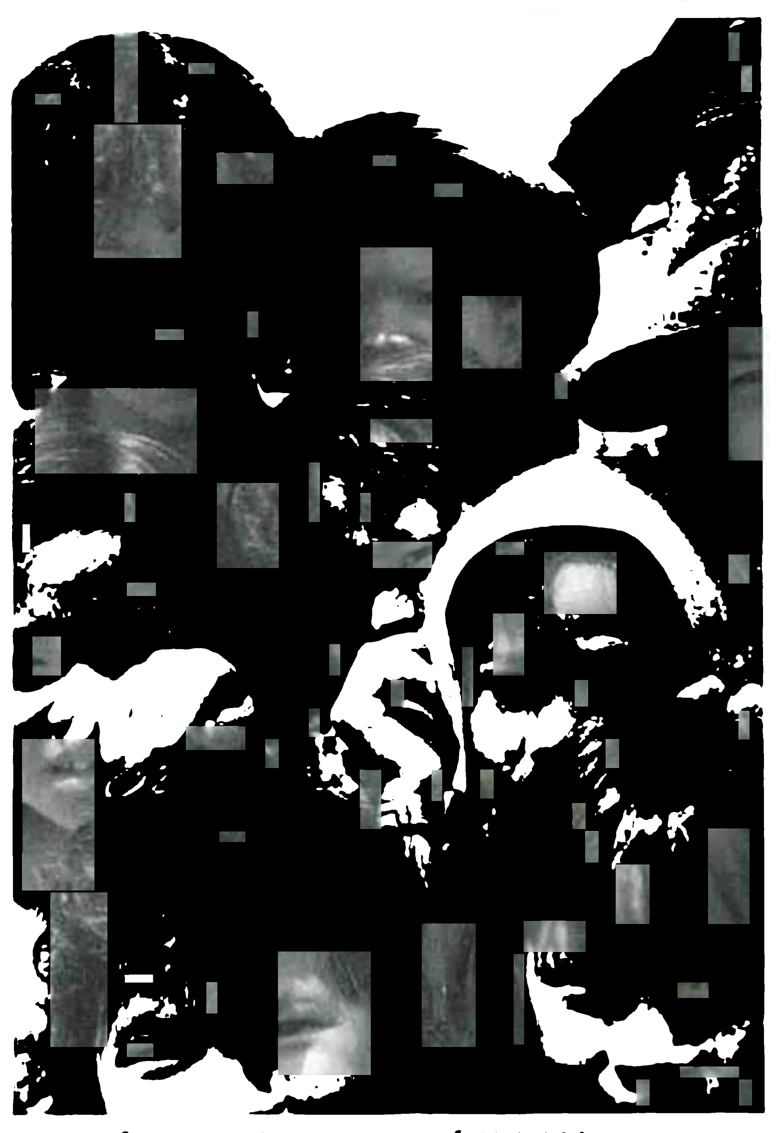
وتشير الدراسات إلى أن الدول المتنازعة على المياه لم تلجأ إلى الاسترشاد بأحكام محكمة العدل الدولية في هذا الشأن، ولكنّ هناك اعتبارين لقيا قبولا واسعاً بين الأطراف المعنية، أولهما: أنه لا يجوز لأية دولة أن تلحق أضراراً بأية دولة أخرى، سواء أكان هذا الضرر ناجماً عن تلويث هذا الماء أم عن أي إجراء آخر - وكذلك لا يجوز أن تحرمها من حقها في المياه. وثانيهما: أن أية دولة تشارك في الانتفاع بمياه النهر - أي تقع أراضيها عليه - يكون لها الحق في نصيب عادل من مياهه تقبله الأطراف الأخرى.

وبما أنه ليست هناك سيطرة حازمة على الهيئات المختصة بالمياه الدولية، وليست هناك نية في السيطرة على هذه الأنظمة الدولية؛ لذلك لا يستلزم الأمر تحسين كفاءة الاستثمار بصفة عامة بقيام منظمات المياه الدولية بتشجيع بعض الشركاء في حوض النهر على إنشاء حوار فيما بينها جميعاً، مع قيام هذه المنظمات بإمداد الشركاء بالمشورة المخلصة، وتحديد الأهداف النبيلة، وبذل الخبرة التقنية، وتقديم الأموال المطلوبة، وعرض البيانات اللازمة لتمويل المشروعات وتطويرها عندما يتوصل الطرفان إلى اتفاق فيما بينهما، ويقومان بالتوقيع على معاهدة تنظم استغلال المياه.

ويتعين على هذه المنظمات الدولية أن تعمل على فض المنازعات التي تنشأ مستقبلا بالطرق السلمية.

علاقة البيئة بمشروعات تنمية الموارد المائية

أما بالنسبة إلى قضايا البيئة المتعلقة بموارد المياه، فيظل معظمها يناقش في نطاق محلي، وذلك لعدم قدرة المنظمات الدولية على التدخل في شؤون تتعلق بالسيادة المكفولة للدولة على إقليمها، وتحاول المنظمات الدولية أن تؤدي دوراً في تنمية الموارد المائية للدول النامية. فالمنظمات الكبرى مثل البنك الدولي، وبنك التنمية الإقليمي The Regional Development Bank (RDB)، وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية United Nations Development Programme (UNDP) تصر على إجراء تقويم دقيق لتأثير البيئة في أي مشروع تنموي قبل الإقدام على تمويله. وبما أن معظم الدول النامية لا تتوافر لديها الأموال الكافية لتنفيذ المشروعات الكبرى لتنمية الموارد المائية، فلا بد لها من أن تطلب الدعم من المنظمات الخارجية. وليس أمام الدول المتلقية للدعم خيار إلا الإذعان لشروط المنظمات المانحة. وهذه الشروط بالنسبة إلى الدول النامية تعد عنصراً مؤثراً في توفير المزيد من الحماية للبيئة(٤).



نظرة الدول النامية إلى المياه تختلف عن نظرة الدول المتقدمة

وكذلك كان للمنظمات الدولية أثر فعال في إثارة الوعي لدى الدول النامية بأثر البيئة في مشروعات التنمية ذات النطاق الواسع بما فيها مشروعات المياه. فبرنامج الأمم المتحدة للبيئة لا يزال يعمل بنشاط ملحوظ في هذا المجال. أما بالنسبة إلى مشروعات تنمية الموارد المائية بالذات فكان أثر برنامج الأمم المتحدة في البيئة واضحاً في برنامج الترشيد السليم للبيئة عند استغلال المياه الإقليمية Programme for Environmentally Sound Management of Inland Waters (EMINWA) وأدركت الدول في النهاية أهمية دراسة آثار البيئة في المشروعات المقترحة إقامتها منذ بدء التخطيط؛ ولذلك سارعت إدارة برنامج الأمم المتحدة للبيئة إلى إنجاز هذه المشروعات.

وتؤدي الهيئات الدولية دوراً ثالثاً في حل المشكلات

الناجمة عن تنمية الموارد المائية؛ وإن كان هذا الدور لم يظهر في العقود الماضية. فمن المسلم به أن النشاط البشري في أعالي النهر ربما يؤثر سلبًا أو إيجابًا في الموارد المائية لدول المصب في ذلك النهر الذي لا يعرف للدول حدودًا، وعندئذ لا تدخل مشكلة البيئة التي تنشأ بين دول الأعالي ودول المصب في نطاق مشكلات البيئة الدولية.

الضغوط الدولية وأثرها في تغيير مسار مشروعات تنمية الموارد المائية

تختلف درجات الإلحاح من دولة إلى أخرى عند تقدير احتياجات الدول المشتركة في أحد الموارد المائية مثل الأنهار، والبحيرات العذبة باختلاف ظروف كل دولة؛ فحاجة مصر من مياه نهر النيل مثلا أكثر إلحاحًا من حاجة أي دولة أخرى مثل إثيوبيا؛ التي لا تقيم وزنًا كبيرًا لموارد هذا النهر المائية، وذلك لغزارة الأمطار التي تهطل عليها، بينما تعد حاجة كل من سورية والعراق إلى المياه أشد إلحاحًا من حاجة تركيا التي تنبع منها مياه دجلة والفرات؛ وخاصة بعد أن تنشئ سد أتاتورك على نهر الفرات. وعندما تنشأ خلافات على تلك التقديرات والمخصصات من المياه لا تتدخل المنظمات الدولية إلا إذا طلبت منها ذلك الدول المعنية بالأمر.

كان للمنظمات الدولية أثر فعال في إثارة الوعي لدى الدول النامية بأثر البيئة في مشروعات التنمية ذات النطاق الواسع بما فيها مشروعات المياه

وربما كانت للضغوط الدولية الموجهة بطريق مباشر أو غير مباشر آثار في عدول بعض الدول عن قراراتها فيما يتعلق بمشكلة المياه؛ فقد سبق أن ألغت الهند مشروع الوادي الصامت The silent Valley Project نتيجة للضغوط الدولية. وأجرت الصين تعديلات على خزان ثري جورجيز Three Gorges Dam وكذلك على مشروع وادي نارمادا Narmada Valley Project بناء على التدخلات الدولية(٥).

وربما كانت دراسة هذه النماذج وغيرها تفيد كلا من سورية والعراق لتأكيد حاجتهما الملحة إلى مياه نهر الفرات.

وترى دول الجنوب النامية أن السيطرة الدولية على الموارد المائية غير ممكنة وغير مرغوب فيها، ولكن المنظمات الدولية ودول الشمال المتقدمة تؤدي دورًا رئيسًا في تنمية الموارد المائية وإدارتها في الدول النامية بما تقدمه من قروض ومنح.

وهذا الدور قد يكون إيجابيًا، وقد يكون سلبيًا، ويوصي الخبراء الدوليون في شؤون المياه العذبة الدولية بأن تزيد الدول المانحة للقروض والمعونات من مشاركاتها في مشروعات تنمية الموارد المائية بالتطبيق الفعلي. فإذا استقرت الدراسة على أحد المشروعات فلا مناص من الإسراع في وضعه موضع التنفيذ.

تنمية الموارد المائية لنهر النيل

في الدراسة التي أعدها جينا دي جولوبيف Genady Golubev عن مدى تيسير موارد المياه العذبة بأنواعها - من وجهة نظر الشمال - تحدث عن بعض القضايا المهمة، ومنها قضية نهر النيل، تلك القضية التي يرى أنها متطرفة في مجال الحصول على الموارد المائية. يقول فيها:

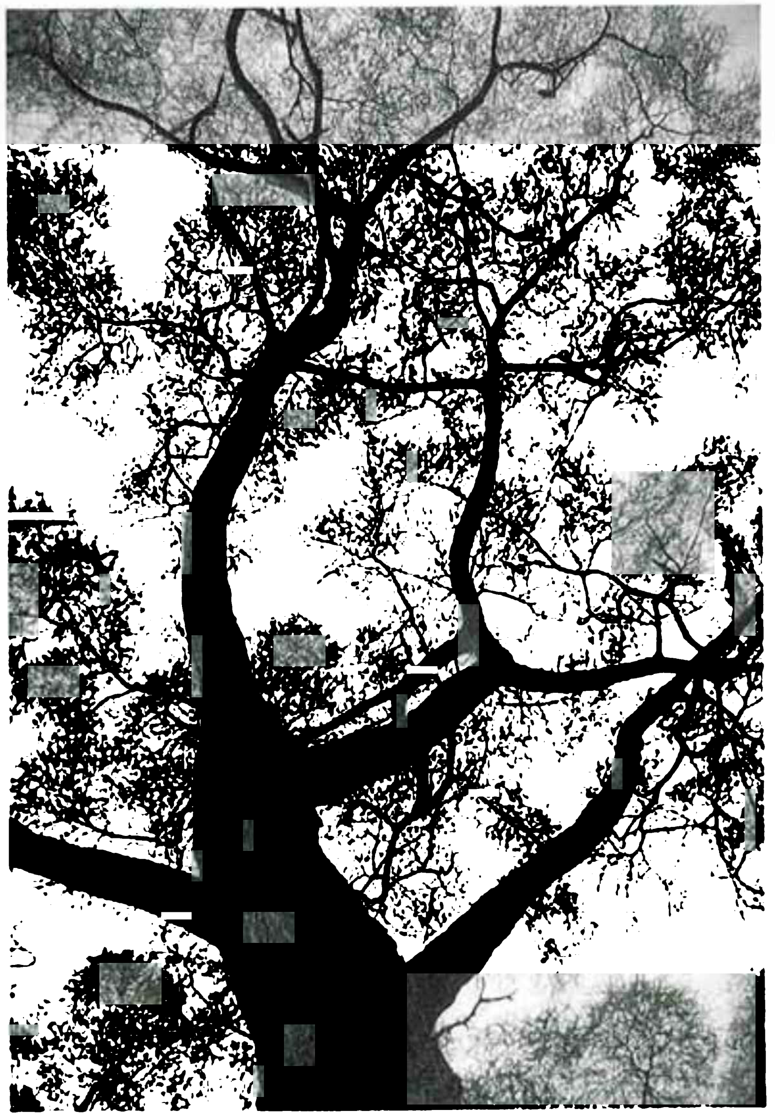
«يخضع نهر النيل - ثاني أنهار العالم طولا - لسيطرة تسع دول، يبلغ تعدادها ١٤٠ مليون نسمة تقريبًا. فمصر التي تقع في نهايته عند المصب والتي تعد أكثر هذه الدول تقدمًا، تعتمد اعتمادًا كليًا على مياه النيل. وتستغل مصر كل مياه النيل التي تصل إليها، ويندر أن يهدر منها ما يفيض عن طاقة تخزينها، وتحرص مصر على أن توازن بين العرض من المياه والطلب عليها(٦). والتذبذب الطبيعي في موارد النهر يؤثر تأثيرًا مباشرًا في اقتصادها. ولولا وجود السد العالي في أسوان لتعرضت مصر للخراب في السنوات التسع التي انخفض فيها منسوب المياه

الواردة في مجرى النهر في العقد الثامن من القرن العشرين.

فإذا ربطنا المعدل العالي للنمو السكاني في مصر باقتصادها المتوقف تماماً على موارد النيل المائية أدركنا مدى تأثر مصر بالسياسات التي تنتهجها دول أعالي النيل. وحتى التغيرات المحدودة في الموارد المائية التي تجريها دول أعالي النيل، يمكن أن تثير المتاعب لمصر، مما يضاعف من خطورة الموقف، ولاسيما عند مضاعفة الطلب للماء في كل مكان في حوض النيل(٧).

ويعد الترشيد الداخلي لاستخدام المياه وسيلة محلية لحل مشكلات المياه. وتقوم مصر بترشيد الاستهلاك عن طريق رفع كفاءة الاستغلال المائي في الزراعة، حتى في حالة وجود الفائض المخزون. وتنظيم الموارد المائية مطلب يمكن تحقيقه، ولكنه يحتاج إلى التنسيق مع الدول الأخرى المعنية بالمياه. وتتعاون مصر مع السودان في توزيع مياه النيل؛ أما بقية الدول السبع الأخرى فلا تبدي اهتماماً بالمشاركة في أية اتفاقيات دولية. ويعد موقف إثيوبيا أكثر حرجاً؛ فعلى الرغم من أن ٨٥٪ من مياه النيل ترد منها فهي لا تستغل منها شيئاً. فهل يحق لإثيوبيا البدء في استغلال هذا الماء، حتى ولو كان ذلك على حساب الاستقرار الاقتصادي لمصر.

وهذا السؤال الذي يسهل توجيهه، تصعب الإجابة عنه. فيجب البحث عن جواب من شأنه أن يضاعف الأرباح، ويقلل الخسائر. فمصر هي الطرف المعني بهذا الأمر، ولذلك فهي التي تمسك بزمام المبادرة في البحث عن حلول تنأى عن استخدام القوات المسلحة.



اهتمام عالمي بزراعة الغابات من أجل بيئة صحية

التعاون المثمر بين دول حوض النيل

في مجال التعاون بين الدول المشتركة في موارد المياه العذبة عموماً يقول السير مارتين هولدجيت Martin Holdgate:

«المطلوب من هذه الدول تحسين نظم المعلومات المتيسرة عن استغلال المياه العذبة، وتوجيه التعليم إلى تنمية البيانات الخاصة بالتوعية بقضايا ترشيد استهلاك المياه، والارتقاء بمستوى التعاون المشترك في البحوث، وتبادل المعلومات عن المياه العذبة

وأنظمة البيئة المترتبة عليها، والتدريب على تنظيم المطالب البشرية ومواجهة الضغوط المتزايدة على المياه، لضمان الاستغلال العادل لأنصبة الدول المشاركة في الموارد المائية، ولتمكن المجتمعات الإقليمية من السيطرة على مخصصاتها من الموارد المائية، وتنمية قدراتها على استغلالها الاستغلال الأمثل»(٨).

يوصي الخبراء الدوليون في شؤون المياه بأن تزيد الدول المانحة للقروض والمعونات مشاركاتها في مشروعات تنمية الموارد المائية بالتطبيق الفعلي

وفي دول حوض النيل يجري التعاون المستمر، وتعقد المؤتمرات الدورية على مستوى وزراء الري والزراعة، ويتم التنسيق المستمر، والتشاور البناء فيما يتعلق بتنمية الموارد المائية للنهر.

وعلى الرغم من قلة اعتماد الدول الأخرى - بخلاف مصر والسودان - على موارد نهر النيل المائية في الزراعة، وتوليد الطاقة الكهربية، وتنمية الثروة السمكية والحيوانية، وغيرها، فقد بدأت هذه الدول في استغلال مياه النيل في الأغراض المختلفة.

حق دول حوض النيل في تنمية الموارد المائية

بما أن مشكلة المياه تعد بالنسبة إلى مصر مسألة حياة أو موت، أو مسألة حرب أو سلام في حوض النيل، فلابد أن ينعكس أثرها في دول الشمال (الدول المتقدمة). واقتداء بالصندوق الخاص الذي أنشئ في لندن في يوليو/حزيران عام ١٩٩٠م لمساعدة الدول النامية في تنفيذ اتفاقية طبقة الأوزون والبروتوكولات المتعلقة بها، يجب أن ينشأ صندوق خاص مماثل يتعلق بقضية نهر النيل لتعويض الأطراف المشتركة عما يلحق بها من خسائر. وللمتاعب الاقتصادية التي تواجه دول حوض النيل، يجب على الدول المتقدمة في الشمال أن تقوم بتمويل هذا الصندوق الخاص. فإذا كان صندوق لندن يخدم البيئة؛ فصندوق النيل المقترح يخدم البيئة بقدر أوفى؛ إذ تنتشر به الرقعة الخضراء تعويضاً عن التصحر وقطع الغابات، وتلويث البيئة، وغيرها من عناصر العبث المخربة للبيئة التي تنبعث من دول الشمال المتقدمة.

يقول السير مارتين هولدجيت:

هناك اهتمام زائد اليوم بزراعة الغابات بصفتها وسيلة لتعويض ثاني أكسيد الكربون المنبعث في الغلاف الجوي للكرة الأرضية نتيجة حرق الوقود في آلات الاحتراق الذاتي. وتدعي بعض الشركات في الولايات المتحدة أنها ستعمل على تحييد الآثار الضارة بالبيئة نتيجة لإنشاء محطات توليد القوى، وذلك بزراعة مساحات من الغابات في مناطق متفرقة من الدول النامية. ولكن هذا الإجراء - إذا قدمت الشركات على تنفيذه - لا يحقق إلا أثراً هامشياً في المشكلة.

فلكي يتم تحقيق التوازن المنبعث من ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الخارجي بفعل الإنسان، يجب أن تتم زراعة الغابات في مساحة تعادل مساحة أوربا، أي من المحيط الأطلنطي إلى جبال الأورال(٩)؛ إذ إن العدالة تتطلب أن نوازن الآن بين ما ادعته شركات الشمال وما جنته أراضي الجنوب!!.

المراجع

1- Oran R.young, George J.Demko and Kilaparti Ramakrishna, (edo) Global Environmental Change and International Governance, (Hanover: University Press of New England, 1996) , P.95
2- Asit K.Biswas, History of Hydrology, (Amsterdam: Horth-Holland and Elsevier, 1970), P.336.
3- Young, Op.cit., PP.97,98.
4- Ibid, P.102.
5- Ibid, P.104
6- M.M. Gasser and Mohamed Ibrahim Abdou, "Nile Water Management and the Aswan High Dam," Water Resources Development 5 (March 1989), P.36.
7- Genady N.Golubev, "Availability and Quality of Freshwater Resources: A Perspective from the North," Global Environmental Change..., PP.116-17.
8- Martin Holdgate, from Care to Action: Making a sustainable World, (Washington: The World conservation Union,1996), PP.86,87.
9- Holdgate, Op.Cit., P.203.

استطلاع

الرياض
عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م

محمد المزيني
الرياض - السعودية



الأمير سلمان بن عبد العزيز يرعى حفل تخريج طلاب جامعة الملك سعود

تعيش الرياض هذه السنة حالة ثقافية خاصة، تتجسد من خلالها إنجازات مئة عام منصرمة، بعدما اختيرت لأن تكون عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، ولم يأت هذا التتويج محاباة أو مجاملة هضمت فيه استحقاقات العواصم العربية الأخرى الأهلة بمقومات الترشيح، من مؤسسات تعليمية عريقة، ودور فكر وأندية أدبية وثقافية، ومكتبات عامة وخاصة مزدهرة تدب في أوصالها حركة ثقافية وتعليمية عارمة، يجعلها أيضًا مؤهلة لأن تتوج بشرف الاختيار عاصمة ثقافية. فالرياض - عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م تحظى أيضًا - وتمتاز بما يؤهلها - استحقاقًا - بالمؤسسات التعليمية المختلفة، ودور الفكر والأدب المتنوعة، وإن لم تكن بالعراقة نفسها التي تتميز بها بعض العواصم العربية الأخرى، تقف في صفوف المقارنات معها على مستوى الإنجاز والكفاءة، في الوقت الذي تأخذ فيه المنعطف الآخر المؤدي إلى قرن آخر يَعُدّ الثاني من عمرها التأسيسي.

ونحن نعيش الانطلاقة لهذا القرن المتزامن قدراً مع القرن الثاني من عمر المملكة العربية السعودية، والمتزامن أيضاً مع مناسبة اختيار الرياض عاصمة عربية لعام ٢٠٠٠م، ندرك مدى الحفاوة الخاصة التي تحظى بها الرياض مما يدفعنا إلى التجول في مفكرة الرياض الثقافية ورصد بعض ملامحها البارزة مستلهمين هذا الحدث من خلال المحصلة النهائية لإنجازات الوطن ممثلة بعاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م.

المؤسسات التعليمية

تحفل الرياض بعدد زاخر من المؤسسات التعليمية الجامعية التي تعد ركيزة للبناء الثقافي من خلال ما تقدمه من برامج تعليمية وأنشطة ثقافية، وهذه المؤسسات هي:

جامعة الملك سعود:

في الجزء الغربي من مدينة الرياض تقبع واحدة من أجمل المدن الجامعية، ولا نتجاوز عين الحقيقة إذا قلنا: إنها واحدة من أكبرها؛ إذ تُعَدُّ المدينة الجامعية لجامعة الملك سعود بالرياض نموذجاً لأحدث المدن الجامعية في العالم، وقد تم افتتاحها في ١٣ربيع الأول سنة ١٤٠٥هـ على مساحة تقدر بتسعة ملايين متر مربع، وهي تضم عدة وحدات رئيسة منها: المجمع الطبي، ومجمع الخدمات الرئيسة، والمنطقة الأكاديمية، والإسكان الجامعي.

كما تُعَدُّ جامعة الملك سعود من أوائل المؤسسات التعليمية الكبيرة التي أنشئت في المملكة العربية



معرض المخطوطات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



مبنى إدارة جامعة الملك سعود



الأمير عبدالله بن عبدالعزيز يشارك في العرضة عند اختتام أحد احتفالات الجنادرية

السعودية، إذ أنشئت سنة ١٣٧٧هـ، وقد كانت البداية بإنشاء كلية واحدة هي كلية الآداب، تضم ثلاثة أقسام أكاديمية، ثم توالى افتتاح الكليات حتى باتت تضم اليوم ما مجموعه سبع عشرة كلية تقدم ما يقرب من مئة وعشرين تخصصاً علمياً في مجالات العلوم الصحية والهندسية، والعلوم الطبيعية والزراعية، ومجالات الدراسات الاجتماعية والإنسانية والتربية والتعليم، إضافة إلى إتاحة الفرصة للشباب الجامعيين المؤهلين لاستكمال دراستهم؛ وذلك عن طريق كلية خاصة بالدراسات العليا تشتمل على معظم التخصصات المتوافرة في المرحلة الجامعية. ويقدر عدد الطلاب في الجامعة بنحو ٣٧ ألفاً و ١٤٤ طالباً وطالبة. وتتميماً لدور الجامعة في تأهيل طلبتها علمياً ولا سيما المتفوقين منهم، فهي تتيح فرصة الابتعاث للراغبين باستكمال دراساتهم العليا في الخارج.

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

وعلى بُعد مرمى غير بعيد من جامعة الملك سعود وفي الاتجاه الشمالي من الرياض العاصمة الثقافية يقع حرم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ويمتاز هذا المعلم الحضاري بموقعه المتميز؛ إذ لا مندوحة لكل زائر لمدينة الرياض من القادمين جواً عن طريق مطار الملك خالد الدولي من مشاهدته والاستمتاع بجماليات التصاميم والزخارف الإسلامية فيه.

تقع الجامعة على مساحة تقدر بـ (٣.٨٠٠.٠٠٠) متر مربع تضم سكن الطلاب وأعضاء هيئة التدريس والعاملين بالجامعة، إلى جانب المباني الأكاديمية، والمرافق العامة والمركزية. وتتسع منطقة إسكان الطلاب لأكثر من أربعة آلاف طالب، وتضم نادياً للطلاب، ومراكز رياضية وصحية. وبالعودة إلى الوراء، وتحديداً إلى تاريخ إنشاء الجامعة نجد أنه يعود إلى سنة ١٣٧٣هـ عندما أنشئت كلية الشريعة بالرياض، بيد أن التاريخ الفعلي لإنشاء الجامعة بشكلها الحالي يعود إلى سنة ١٣٩٤هـ بموجب المرسوم الملكي رقم م/٥٠ وتاريخ ١٣٩٤/٨/٢٣هـ. ويرتبط بالجامعة المعهد العالي للقضاء، وهو أول معهد للدراسات العليا بالمملكة، إذ

أنشئ سنة ١٣٨٥هـ. ويمنح المعهد درجتي الماجستير والدكتوراه، ويتبع الجامعة خارج المملكة ستة معاهد عربية إسلامية لنشر اللغة العربية والعلوم الإسلامية، بالإضافة إلى المعاهد العلمية التي تشرف عليها الجامعة داخل المملكة وعددها أربعة وخمسون معهداً تحتضن الرياض أربعة منها موزعة على جهاتها الأربع. وتضم الجامعة حالياً ثلاث عشرة كلية تركز في معظم تخصصاتها على الدراسات الإسلامية واللغة العربية، وتتميز هذه الجامعة بعمق أبحاثها ودراساتها في هذين المجالين. ويبلغ عدد أقسامها ٥٩ قسماً، ويصل عدد الطلاب والطالبات فيها إلى نحو ٢٩ ألفاً و٧٦٨ طالباً وطالبة.

معاهد ومؤسسات تعليمية أخرى:

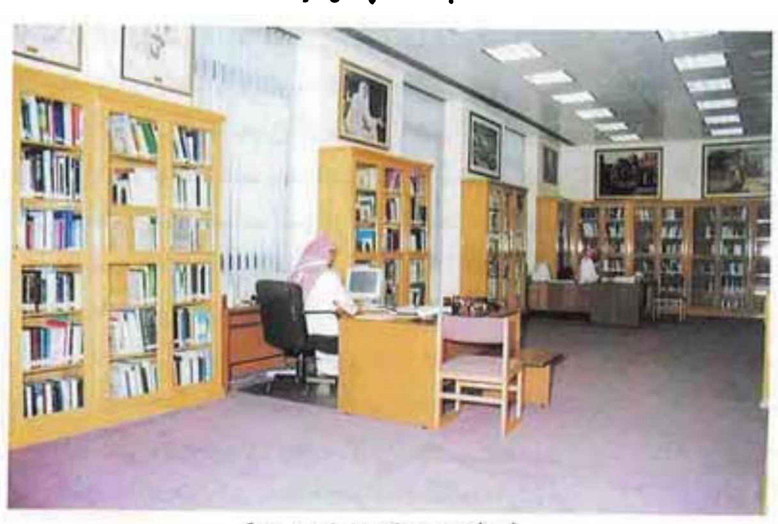
وكذلك يقع في الرياض معهد الإدارة العامة الذي يتولى تدريب موظفي الدولة في دورات منتظمة ترمي إلى رفع مستوى الأداء لدى الموظفين. وهناك مجموعة أخرى من الكليات التي تتبع وزارة المعارف هي: كلية إعداد المعلمين، وكلية التربية الرياضية، وكلية التربية الفنية. وتتبع وزارة الصحة كلية التمريض، والكلية التقنية التابعة للمؤسسة العامة للتدريب الفني والتعليم المهني. ومن الكليات الأخرى هناك كلية الملك خالد العسكرية، وتتبع الرئاسة العامة للحرس الوطني، وكلية الملك عبدالعزيز الحربية، وكلية الملك فيصل الجوية، وكلية القيادة والأركان، وتتبع وزارة الدفاع، وكلية الملك فهد الأمنية، وتتبع وزارة الداخلية، إضافة إلى ذلك هناك عشرات المعاهد الخاصة التي تنظم دورات شهرية، وتقدم برامج سنوية.

كليات البنات:

مرة أخرى، وفي رحاب الرياض العاصمة الثقافية لعام ٢٠٠٠م، أسست النواة الأولى لكليات البنات الجامعية، وكانت أولى تلك الكليات كلية التربية للبنات، التي افتتحت سنة ١٣٩٠هـ في مدينة الرياض، وكانت نواة التكاثر، إذ أعقبها افتتاح كليات البنات في مختلف مناطق المملكة، كان من بينها كلية الخدمة المدنية الاجتماعية بالرياض التي افتتحت في سنة ١٣٩٥هـ، ثم تتابع افتتاح الكليات، ليصبح عددها في مدينة الرياض وحدها، إضافة إلى الكليتين السابقتين، ست كليات هي على التوالي: كلية التربية - الأقسام الأدبية، وكلية التربية - الأقسام العلمية، وكلية التربية الاقتصادية، وكلية الآداب، وكلية التربية لإعداد المعلمات، وكلية الخدمة الاجتماعية.



مكتبة الملك فهد الوطنية



أحد أقسام مكتبة الملك فهد الوطنية



الأمير سلمان بن عبدالعزيز في إحدى مناسبات مؤسسة اليمامة الصحفية وإلى جواره الشيخ حمد الجاسر

ولكي تنظم جميع الكليات في عقد ورباط بينهـا، وتكون الحل الناجح للمشكلات التي تعاني منها الطالبات في عاصمة الثقافة التي كانت دائماً سباقة إلى إنشاء الجامعات والمعاهد والمدارس، استقر الرأي مؤخراً على إيجاد مكان ملائم ومجهز يتواكب مع النهضة الثقافية والتعليمية التي تشهدها الرياض؛ وذلك من خلال ما أطلق عليه مشروع المدينة الأكاديمية لكليات البنات بالرياض، الذي وضع صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء حجر الأساس له في يوم السبت ٩ ذي القعدة ١٤١٨هـ.

ويقع المشروع على الأرض المخصصة لكليات البنات والواقعة في شمال الرياض على مساحة تبلغ مليون متر مربع، تحيط بها الشوارع من الجهات الأربع.

ويوفر المشروع المتطلبات الأساسية المهمة التي لا غنى للتعليم الجامعي عنها من معامل مجهزة وقاعات محاضرات ومكتبات وفصول ذات سعة مناسبة.

وندرك الحاجة الماسة لهذا المشروع متى علمنا باستخدام التنبؤ الإحصائي لأعداد الطالبات بكليات البنات المتوسطة والجامعية خلال أربع سنوات قادمة، وفي ضوء متوسط النسبة المئوية للزيادة يتوقع زيادة عدد الطالبات إلى ١٤٧٣٩٢ طالبة في سنة ١٤٢١/٢٠هـ وفي سنة ١٤٢٢/٢١هـ يتوقع أن يبلغ عددهن ١٧٠٩٠٠ طالبة. أما في سنة ١٤٢٣/٢٢هـ فقد يصل العدد إلى ١٩٨٥٥٥ منهن ١٤٥٦٠٥ طالبة في كليات البنات التابعة للوكالة.

المكتبات ومراكز المعلومات

تزخر الرياض بمجموعة من المكتبات ومراكز المعلومات التي تقدم خدماتها للقراء والباحثين، أغلبها مجهز بأحدث التجهيزات الآلية، وتتوافر فيها أوعية المعلومات بأنواعها المختلفة، ولعل مجموع ما تحتوي عليه هذه المكتبات يتجاوز ثلاثة ملايين وعاء، من بينها الكتب والدوريات والمخطوطات، والوسائل السمعية والبصرية، إضافة إلى توافر الوثائق التي تعد بمئات الآلاف والتي تتوزع في دارة الملك عبدالعزيز ومكتبة الملك فهد الوطنية ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة، وفيما يخص التوزيع النوعي لهذه المكتبات فإن من بينها مكتبات عامة تتبع وزارة المعارف مثل مكتبة الرياض العامة، والمكتبة العامة في المربع، والمكتبة العامة في النسيم، ومكتبة الرياض السعودية التابعة للإدارة العامة للإفتاء.

إضافة إلى هذه المكتبات العامة التي تخدم روّادها على مستوى المناطق التي تقع فيها، تضم الرياض المكتبة الوطنية للمملكة التي سنخصها ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة ومكتبة معهد الإدارة العامة ومكتبات الكليات ومكتبة جامعة الملك سعود ومكتبة جامعة الإمام بحديث مطول.

مكتبة الملك فهد الوطنية:

نبعت فكرة المشروع في سنة ١٤٠٣هـ بمناسبة الاحتفال بتولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز مهام الحكم، وتبلورت إلى أن أصبحت واقعاً مشاهداً للعيان في غضون سبع سنوات، فقد انتقلت مكتبة الملك فهد الوطنية إلى مقرها الجديد والمصمم بما يتلاءم مع مسؤوليات المكتبة. ولم تمض سنتان على الانتقال

حتى صدر نظام الإيداع بالمرسوم الملكي رقم م/٢٦ وتاريخ ٧رمضان١٤١٢هـ.

ومنذ ذلك الحين والمكتبة الوطنية تمارس دورها بكفاءة ابتداءً من إلزام الناشر بإيداع نسختين من إصداراته، وقد بلغ عدد أوعية المعلومات المودعة في المكتبة ١٠٣٢٣٦وعاء، ومروراً بخدمة الباحثين المتميزة إذ تعتمد المكتبة الوطنية نظام الأرفف المفتوحة، وتعمل من خلال أنظمة حاسوبية متطورة تمكّن من الوصول إلى أوعية المعلومات بسهولة، باستخدام بعض الأبدال البحثية، أو ما يطلق عليه إستراتيجية البحث التي بواسطتها يستطيع الباحث الوصول إلى مبتغاه من أوعية المعلومات دون أن يكلف نفسه عناء البحث بين الأرفف والأدراج، وقد خصص لذلك موظفون أكفاء لديهم القدرة على فهم متطلبات الباحث بواسطة نماذج مخصصة ليقوم الموظف المختص بترجمتها إلى لغة الحاسب.

وتحتوي المكتبة على أكثر من نصف مليون مادة تتوزع على الكتب والمخطوطات والدوريات والمصغرات الفيلمية والأسطوانات المدمجة والشرائط السمعية والبصرية، وتمتاز بامتلاكها مجموعة كبيرة من نوادر المطبوعات العربية المطبوعة في أوربا، وأوائل ما أصدرته المطابع في تركيا والهند والبلاد العربية من مثل مطبوعات المطبعة الميدنشية في روما (القرن السادس عشر الميلادي) ومطبوعات إبراهيم متفرقة (القرن الثامن عشر الميلادي)، كما تضم مجموعة كبيرة من الوثائق المحلية المهمة التي تركز على الجوانب الثقافية والاجتماعية، من مثل وثائق الشيخ محمد المانع، ووثائق أسرة أبي صابر، ووثائق قصر إبراهيم، ووثائق الوجه وضبا، وهي جميعها منظمة حالياً وميسرة للاستخدام.

ولعل من أبرز الأنشطة التي تقوم بها المكتبة، إصدارها للببليوجرافية الوطنية. حيث أصدرت منذ سنة ١٤١٦هـ ثلاثة عشر جزءاً من الفهرسة (الببليوجرافية) السعودية تضمنت ٢٤٨٧٨ تسجيلاً لأوعية المعلومات التي اقتنتها المكتبة من المنشورات السعودية الصادرة باللغة العربية



مبنى مكتبة الملك عبدالعزيز العامة



بهو مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ويبدو ركن المطالعة

ابتداءً من دخول الطباعة في المملكة العربية السعودية سنة ١٣٠١هـ، وفي سنة ١٤١٣هـ أصدرت المكتبة الجزء الرابع عشر.

وللمكتبة نشاط متميز في النشر، إذ نشرت مجموعة من الكتب المتخصصة في المكتبات والمعلومات والآثار والإعلام، ولعلها أكبر ناشر في مجال المكتبات على المستوى العربي.

وبمناسبة الاحتفال باختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م فقد أُعدت فيها مجموعة من الأنشطة، منها: معرض الصور التاريخية والمقام حالياً في بهو المكتبة الرئيسة، وسيستمر إلى نهاية شهر ربيع الآخر من العام الحالي. كما ستشارك المكتبة أيضاً بإصدار كتاب ببليوجرافي عن مصادر الأدب السعودي، إضافة إلى بعض الملصقات التي تحث على القراءة واقتناء الكتب والعناية بها.

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة:

وهي من مكتبات عاصمة الثقافة العربية التي أغنت



جانب من مكتبة الطفل بمكتبة الملك عبدالعزيز العامة

الحياة الفكرية والأدبية من خلال نشاطاتها الثقافية المختلفة من محاضرات وندوات ومؤتمرات، وذلك بسبب الدعم الذي تلقاه من صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني؛ لأن هذه المكتبة تتبع للرئاسة العامة للحرس الوطني. وقد عرف الباحث طريقه إلى مكتبة الملك عبدالعزيز العامة لما يلاقيه فيها من خدمة ممتازة.

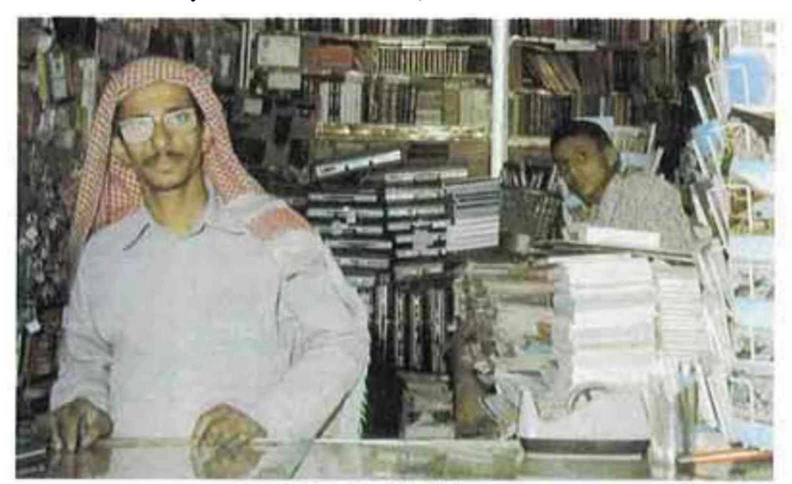
ومما تتميز به مكتبة الملك عبدالعزيز العامة عنايتها الخاصة بالمخطوطات، فقد بلغ حجم المخطوطات التي تضمها المكتبة ٣٠٠٠ مخطوطة، فضلاً عن المخطوطات المصورة البالغة أضعاف هذا الرقم.

كما تهتم مكتبة الملك عبدالعزيز بالنشر، فبالإضافة إلى نشر الكتب، فإنها تصدر مجلة فصلية تهتم بقضايا الكتاب والأطروحات الثقافية، كما تسهم مع مجلة «عالم الكتب» بإصدار ملحق محكم نصف سنوي يُعنَى بالمخطوطات والنوادر عنوانه «عالم المخطوطات والنوادر» وهو نصف سنوي. وامتداداً لمناشط مكتبة الملك عبدالعزيز العامة وتوسيعاً لها فقد أنشئ فرع لها في منطقة المربع بالرياض، جهز وفق أحدث التقنيات المتبعة في خدمات المكتبات والمعلومات للباحثين والمرتادين بما يحقق أهداف المكتبة، ويبرز دورها الفاعل في المسيرة العلمية والثقافية بالمملكة؛ فقد استفادت من التقنيات الحديثة بما يوفر مرونة كبيرة في حركة تداول الكتب وأوعية المعلومات المختلفة بين مكتبة الرجال والنساء. كما توفر الخدمة الأساسية وتخصص مداخل لكل مكتبة. وتبلغ القدرة الاستيعابية للمكتبة نحو ٥٠٠.٠٠٠ مجلد، كما يمكنها استقبال ألف مرتاد يومياً من الرجال والنساء والأطفال. وتقدر أوعية المعلومات في فرع مكتبة الملك عبدالعزيز الواقع بالمربع بنحو ٢٠٠ ألف مجلد. كما تتضمن المكتبة مجموعة متميزة من الوثائق والكتب النادرة مما له علاقة مباشرة بتاريخ المملكة، وتاريخ الملك عبدالعزيز، والوثائق الخاصة بالمستشرق الأمريكي جورج رينتز، ووثائق خير الدين الزركلي، ووثائق قرية المويلح، ومجموعة الوثائق

العثمانية المتعلقة بأوقاف الحرمين الشريفين، إضافة إلى الوثائق العثمانية المتعلقة بالجزيرة العربية، وتقتني المكتبة - إضافة إلى مجموعاتها - ما مقداره ٥٠٠٠ صورة فوتوغرافية التقطها أشهر مصوري الشرق منذ بدايات التصوير الشمسي عام ١٨٤٠م. كما تقتني مجموعة من الخرائط النادرة تبلغ ١٤٠٠ خريطة. وتقتني أيضًا ما يقارب ٣٥٠٠ قطعة عملة نادرة.

وللمكتبة أنشطة مختلفة على مدار السنة، وبمناسبة الاحتفال باختيار الرياض عاصمة ثقافية عربية لعام

من داخل مكتبة العبيكان إحدى المكتبات التجارية الكبيرة في الرياض



محل لبيع الكتب المستعملة

٢٠٠٠م عبرت المكتبة عن احتفائها بهذه المناسبة من خلال برنامج حافل بالأنشطة الثقافية، كما يعبر الأستاذ فيصل المعمر بقوله: «الحدث قلما يتكرر، ولابد من استثمار هذه المناسبة بالتحضير والإعداد لإقامة العديد من الفعاليات».

وقد جاء البرنامج مصادقًا على قوله باحتوائه عددًا من الموضوعات منها: الثقافة في المملكة وموقعها من الثقافة العربية، وأثر وسائل الاتصال الحديثة في مستقبل الثقافة العربية ، وسبل تطوير هذه الثقافة. كما يشتمل البرنامج على ندوة كبرى عن مستقبل الثقافة في البلدان العربية في القرن المقبل، وسيشارك في فعاليات الندوة عدد من المفكرين، والمثقفين العرب من ذوي الاختصاص من داخل المملكة وخارجها.

وبهذه المناسبة أيضًا تعكف المكتبة على إصدار مجموعة من الكتب التي تخدم هذه المناسبة من بينها:

- كتاب يرصد مسيرة البناء الثقافي في المملكة العربية السعودية من خلال استعراض لأبرز المساهمين في دعم الحركة الثقافية منذ تأسيسها سنة ١٣١٩هـ على يد الملك عبدالعزيز، يرحمه الله.

كما تشارك ببرنامج نسائي وبرنامج خاص بالطفل، يشتمل على عدد من المحاضرات والندوات واللقاءات الثقافية والأنشطة المسرحية الخاصة بالأطفال.

أما عن المعارض فتعكف مكتبة الملك عبدالعزيز العامة على دراسة تفعيل المعارض التالية: معرض صور من شمال المملكة وغربها، ومعرض لوحات المصور العالمي همبرتو ديسلفيرا، ومعرض عن الأزياء السعودية، ومعرض التوحيد، ويشتمل هذا المعرض على عدة لوحات تحمل مجموعة من المواقع الأثرية رسمها الفنان هيجرهارت ليمبان والتقطتها عدسة الفنان المصور همبرتو ديسلفيرا في المملكة، وصور نادرة عن الحرمين الشريفين، ومعرض نافذة على بلاد الشام، ومعرض نافذة على وادي النيل، ومعرض نافذة على الجزيرة العربية، ومعرض نافذة على المغرب العربي، ومعرض عن

الخرائط القديمة، ومعرض أوائل الدوريات العربية، ومعرض المسكوكات والعملات الإسلامية والقطع النحاسية النادرة، ومعرض نماذج عن المصاحف النادرة.

المكتبات الجامعية والمدرسية:

الحديث عن المكتبات الجامعية يمتد بعددها، فلا تخلو جامعة أو كلية أو معهد أو مدرسة من مكتبة تحقق من خلالها متطلبات الطلاب والطالبات، وتوائم بين المقرر المدرسي والكتاب وارتباطه به.

وتعد مكتبة جامعة الملك سعود من كبريات المكتبات الجامعية في عاصمة الثقافة العربية بأدوارها المتعددة. وقد اهتم المسؤولون بالجامعة بتوفير المتطلبات اللازمة والوسائل الفنية والتقنية والإمكانات المادية والبشرية لتكون قادرة على تلبية احتياجات الطلاب البحثية، وهي مكتملة في مجموعاتها.

وتحتوي هذه المكتبة على نحو ٥٥٦ ألف كتاب، و٢٦٤ ألف دورية، و٢٠٠ ألف مخطوطة، و ١٠٦ ألف وثيقة، و١١٩ ألف مادة سمعبصرية، إلى جانب نحو ٤٨ ألف مادة أخرى، وهي تقدم خدماتها لأكثر من ٣٧ ألف طالب وطالبة، وتعد من أكبر المكتبات على المستوى العربي، وهي مبنية على مساحة تغطي ٥٢ ألف متر مربع وتتكون من خمسة طوابق مزودة بأحدث التجهيزات الآلية، وتوفر الخدمات لطلاب الجامعة وللباحثين الآخرين.

ومن المكتبات الجامعية المعروفة، مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بما تقدمه من خدمات طيبة ربطت بشبكة معلوماتية داخلية تمكن الباحث من الحصول على أوعية المعلومات المتوافرة بشكل سهل وميسر.

وهي تتميز بموقعها الذي يتوسط الكليات داخل الحرم الجامعي، ولا ننسى أيضاً مكتبة معهد الإدارة العامة التي تعد دعامة رئيسة لا غنى عنها للعملية التدريبية والبحثية والاستشارية، وتعد هذه المكتبة أكبر مكتبة متخصصة في مجال العلوم الإدارية والعلوم الأخرى. وتتألف المكتبة المركزية من أقسام ووحدات إدارية مكلفة بمهام وإجراءات محددة لخدمة أهداف المكتبة. وتحتل المكتبة مساحة تقدر بـ «٢٥٠٠» متر مربع، وتقع في الدور الأول من المبنى الرئيس للمعهد. وقد وزعت خدماتها على خمسة طوابق، وبلغ مجموع مقتنياتها ٣٢٤.٦٦٣ مادة معلوماتية. ومن أهم مصادر المعلومات في مكتبة معهد الإدارة، قاعدة فهرس المكتبة «ابن النديم» وهو نظام فهرسة واسترجاع آلي لمحتويات المكتبة، وقاعدة الوثائق الحكومية، وشبكة الأقراص الضوئية، وقواعد المعلومات الفردية، وشبكة مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، ونظام ديالوج، وخدمة الإنترنت.



جمهور من المثقفين يتابع إحدى المحاضرات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

المكتبات العامة:

وبالإضافة إلى مكتبة الملك عبدالعزيز العامة تتفوق العاصمة الثقافية على سائر مدن المملكة بعدد المكتبات العامة، إذ يبلغ عددها خمس مكتبات عامة ترتبط مباشرة بوزارة المعارف، وتضم عدداً من القاعات والأقسام. ولاشك أنها في حاجة إلى مزيد من العناية وتخصيص ميزانية أكبر لتتمكن من أداء أدوارها بفعالية، مع التركيز على مراجعة مجموعاتها ودعمها بالوسائل التقنية، ثم يأتي الدور الآخر المتمثل بإدخالها ضمن المنهج الدراسي

جدول بأهم مكتبات مدينة الرياض

اسم المكتبة	الجهة التابعة لها
مكتبة الملك فهد الوطنية	ديوان رئاسة مجلس الوزراء
مكتبة الملك عبدالعزيز العامة	مؤسسة تابعة للأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد
المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ عمادة شؤون المكتبات
المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود ـ عمادة شؤون المكتبات
المكتبة العامة بشارع الملك فيصل	وزارة المعارف
مكتبة وزارة التخطيط	الوكيل المساعد للشؤون المالية والإدارية ـ وزارة التخطيط
مركز البحث العلمي	مؤسسة الحرمين الخيرية
مركز الملك عبدالعزيز للمعلومات والوثائق	دارة الملك عبدالعزيز
مكتبة إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة	وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة
مكتبة البريد المركزية بالرياض	المديرية العامة للبريد ـ إدارة التطوير الإداري
مكتبة الدار السعودية للخدمات الاستشارية	الدار السعودية للخدمات الاستشارية
مكتبة كلية الملك خالد العسكرية	كلية الملك خالد العسكرية بالحرس الوطني
مكتبة المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية	إدار العلاقات العامة بالمؤسسة
مكتبة مؤسسة النقد العربي السعودي	إدارة الأبحاث الاقتصادية والإحصاء
مكتبة مجلس الشورى	معالي الأمين العام للمجلس
مكتبة مركز المعهد المصرفي	المعهد المصرفي
مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية	مؤسسة الملك فيصل الخيرية
المكتبة المركزية بقيادة القوات الجوية	إدارة الشؤون الدينية ـ قيادة القوات الجوية
مكتبة مستشفى الملك عبدالعزيز	جامعة الملك سعود ـ عمادة شؤون المكتبات
مكتبة مصلحة الجمارك	مصلحة الجمارك

لطلاب المدارس وتعويدهم على زيارتها والإفادة من خدماتها.

ومن المكتبات العامة التي هي في طور التأسيس مكتبة مركز سعود البابطين الثقافي وهي مكتبة عامة كبيرة تحتوي على نوادر المطبوعات والمخطوطات يعمل على تجميعها منذ وقت طويل الشيخ عبداللطيف البابطين.

وهناك مجموعة كبيرة من المكتبات التي تتبع جهات حكومية ومؤسسات خاصة، وتضم عدداً كبيراً من الكتب وأوعية المعلومات الأخرى.

مكتبات الأطفال:

وحديثنا عن مكتبات الأطفال بمدينة الرياض يأخذ بعداً مختلفاً لكونها أحد الروافد المهمة لتكوين شخصية الطفل بتلبية احتياجاتها المعلوماتية على الرغم مما يعانيه الكتاب المخصص للطفل في العالم العربي؛ إلا أن ثمة بوادر خيرة تحملت جزءاً من المسؤولية تجاه الطفل في عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، ولعل مؤسسة الملك فيصل الخيرية النموذج الحي؛ إذ تحتل مكتبة الطفل بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية جناحاً خاصاً ومستقلاً بالدور الأرضي من مبنى المؤسسة. وقد روعي في تصميمها أن تكون مخصصة للأطفال وبعيدة عن الضوضاء، وهي تضم أكثر من ١٩ ألف كتاب للأطفال، ومجموعة كبيرة من

عدد المقتنيات	عدد المستفيدين سنويًا
٤٥٧٠٨١ كتابًا/ ١٥٨١٠ دوريات/ ٣٠٠٠مخطوطة/ ١١٠٠٥٠٠ وثيقة/ ٢٣١٧٦ تسجيلة سمعبصرية/ ٢٢٥٧٠٢ مادة أخرى	١٤٤٦٦
٧٨٠٠٠ كتاب/١٠١٥ دورية/١٨٠٠٠ مخطوطة/ ٧٠٠٠٠ وثيقة/ ٣٠٠٠ تسجيلة سمعبصرية/٣٠٠٠ مادة أخرى	٥٠٠٠٠
١٣٨٦٧٣ كتابًا/ ١١٧٩ دورية/ ٢٠٩٥٠مخطوطة/ ٦٤٢٨ تسجيلة سمعبصرية	–
٥٥٥٨٥٧ كتابًا/ ٢٦٣٩٠٤ دوريات/ ٢٠٠٠٨ مخطوطات/ ١٠٦٤١٩ وثيقة/ ١٩٤٧٢ تسجيلة سمعبصرية/٤٨٢٥٩ مادة أخرى	٤٠٠٠٠
٥٦٠٠٠ كتاب/ ٢٥ دورية	٤٠٠٠
٥٠٧٠٠ كتاب/ ٣٥٠ دورية/ ٩٥ تسجيلة سمعبصرية/ ٦٣ مادة أخرى	١٠٠٠٠
٤٠٠٠ كتاب	١٠٠٠
٣١١٠٠ كتاب/ ٥٧ دورية/ ١٥٥٠ مخطوطة/ ٨٠٠٠ وثيقة/ ٨ تسجيلات سمعبصرية	٢٢٤٠٠
٦٠٣٠٦ كتب/ ١٧٠ دورية/ ٥٠ تسجيلة سمعبصرية	٢٠٠
١٣١٨٠ كتابًا/ ٢٢ دورية/ ١٦١٩ مادة أخرى	–
١٢٠٠٠ كتاب/ ٢٢٠ دورية/ ٥٠٠ مادة أخرى	٣٦٥
٤٤٠٠٠ كتاب/ ٥١ دورية	١١٠٠
١٠٣٥٠ كتابًا/ ١٨٠ دورية/ ٢٢٨وثيقة	١٥٠٠
١٤٠٠٠ كتاب/ ٢٢٣ دورية/ ٢٠٠٠٠ وثيقة/ ٧٥٠ مادة أخرى	–
١٠٢٠٣ كتب/ ١٨٠ دورية/ ٤٩٠٠ وثيقة/ ١٧٧ تسجيلة سمعبصرية	٦٠٠
٣٥٠٠ كتاب/ ١٠٠ دورية/ ١٠٠ تسجيلة سمعبصرية	٤٠٠٠
١٠٣١٦٧ كتابًا/ ٣٥٢٥ دورية/ ١١٧٨٢ تسجيلة سمعبصرية	٩٤٦٥١
٦١١٥ كتابًا/ ٢٥ دورية/ ٣٨٠٠ تسجيلة سمعبصرية	٢٢٢٠
٨٦٦٢ كتابًا/ ١٥٠ دورية	١٢٠٠
٣٨٥٠ كتابًا/ ١٥ دورية/ ١٥٠ تسجيلة سمعبصرية	١٢٠٠

مجلات الأطفال وتقدم خدماتها المختلفة مثل الاطلاع الداخلي، والخدمات المرجعية، ومساعدتهم على التكيّف المدرسي وتدريبهم على استخدام المكتبة، ويوجد فيها ركن خاص للهوايات كالرسم والتلوين والخط العربي وألعاب الفيديو والكمبيوتر بهدف إثارة اهتمام الأطفال وتنمية مواهبهم وإبراز قدراتهم الذهنية ومهاراتهم المختلفة.

وتوجد في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة قاعة مخصصة للأطفال «ركن الطفل» وهي مكتبة صغيرة مصممة على شكل قسم من أقسام المكتبة الأم. وتقع في الدور الأرضي من المكتبة، وتفتح أبوابها للأطفال من الجنسين يوميًا.

ولعل في مكتبة الطفل بمعهد العاصمة النموذجي، ومكتبة الطفل في مدارس الرياض صورة واضحة عن اهتمام الإدارة المدرسية بشأن تثقيف الطفل وربطه بالمكتبة إلى جانب المنهج. ولا تخلو المدارس الأخرى في مدينة الرياض من مكتبة أو ركن مخصص للطفل.

وللطفل المعاق في مدينة الرياض ما يلبي احتياجاته المعرفية؛ وذلك من خلال الجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأطفال المعاقين التي أقامت مراكز لرعاية الطفل المعاق وتأهيله. ويحتوي المركز على مكتبة تلبي احتياجاته



نشاط كبير لحركة النشر في الرياض

التثقيفية والمعرفية أطلق عليها «المكتبة المرئية والسمعية لأطفال المركز» وتفتح المكتبة أبوابها للأطفال بشكل يومي.

النشر ومكتبات البيع

تعد الرياض أهم مركز للنشر على مستوى منطقة الخليج، بل هي من أهم المراكز على المستوى العربي، حيث تنتشر فيها دور النشر التجارية، ودور النشر التابعة للهيئات العلمية والمؤسسات الحكومية. ووفقًا لدليل الناشرين الصادر عن مكتبة الملك فهد الوطنية فإن عدد دور النشر في مدينة الرياض يصل إلى ٢٦٦ دار نشر، وتصدر عن هذه الدور الكتب التراثية المحققة والكتب العلمية والمرجعية والأعمال الإبداعية والمؤلفات التاريخية والدينية. وقد بلغ عدد ما صدر من كتب في مدينة الرياض في عام ١٤٢٠هـ نحو ألفي عنوان في موضوعات متنوعة والكثير منها على درجة جيدة في المحتوى والإخراج الطباعي.

وقد انتشرت في السنوات الأخيرة ظاهرة محلات بيع الكتاب المستعمل التي كانت نواتها كما يذكر أحد الباعة، الحراجات العامة والميادين ليستقر بها المطاف بعدما شهدت إقبالاً متزايدًا من لدن المشترين في محلات لا تكاد تميزها، من حيث الموقع والتأثيث، عن المكتبات الأخرى؛ وقد بلغ عددها نحو تسعة محلات هي مكتبات كلاس، وقيس، والأطروحة، والخزانة، والموسوعة، واليوسف، والمنهاج، والمشعل.

وقد ابتدر هذه المهنة الشاقة والشائقة في آن واحد عدد من الطلاب، ومما يذكره أحد أبرز المشتغلين بتجارة الكتب النادرة والمستعملة أنه قلما حط به عصا التسيار، متنقلاً بين المكتبات القديمة؛

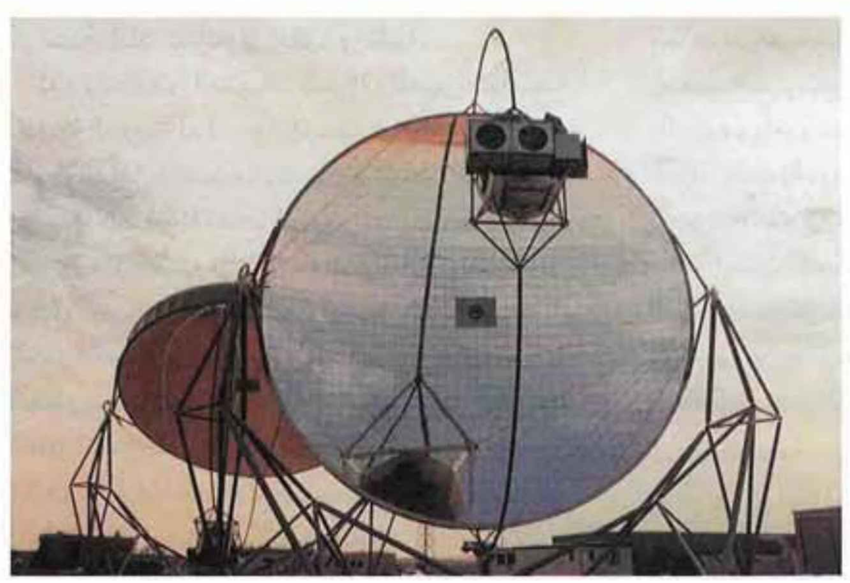
جدول بأهم الدوريات المحكمة

اسم الدورية	الجهة التي تصدر عنها
عالم الكتب	دار ثقيف للنشر والتأليف
مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية	مكتبة الملك فهد الوطنية
عالم المخطوطات والنوادر	دار ثقيف للنشر والتأليف
مجلة البحوث الإسلامية	إدارة البحوث العلمية والإفتاء
مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
مجلة البحوث الفقهية المعاصرة	عبدالرحمن بن حسن النفيسة
مجلة التوعية الإسلامية	الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
التعاون	الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية
الإدارة	معهد الإدارة العامة
الأمن	الإدارة العامة للعلاقات والتوجيه بوزارة الداخلية
رسالة الخليج العربي	مكتب التربية العربي لدول الخليج
مجلة الدراسات اللغوية	مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
أدماتو	مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية
الدرعية	أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري
مجلة جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
الدارة	دارة الملك عبد العزيز
أطلال	وزارة المعارف

الخاصة منها والعامة، وبين حراجات الكتب العالمية بحثاً وتنقيباً عن كتاب نادر أو مخطوط ولم يجن من خلاله مالاً كبيراً.

الصحف والمجلات

وتصدر في الرياض مجموعة كبيرة من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية، وهي تتوزع على مجلات ثقافية عامة، وأخرى متخصصة، تعد في مجملها نوافذ مشرعة على الثقافة العربية والإسلامية والعالمية. وبشكل عام فإن الصحف التي تصدر في الرياض، هي: الرياض والجزيرة والرياض ديلي باللغة الإنجليزية وجريدة الرياضية والمسائية، أما المجلات الأسبوعية فمنها اليمامة والدعوة، والشهرية كثيرة منها: الفيصل، والمجلة العربية. أما الدوريات المحكمة فتبلغ أكثر من أربع عشرة دورية، نذكر منها: عالم الكتب، وعالم المخطوطات والنوادر، والدارة، ومجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، والدرعية، والإدارة العامة ومجلة البحوث العلمية، ومجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ومجلة التوعية الإسلامية، والأمن، ورسالة الخليج العربي، ومجلة الدراسات اللغوية، وأدماتو، كما أن من المجلات ذات التوجه البحثي الدارة، وقوافل، ومجلات جامعة الملك سعود التي تتوزع حسب التخصصات العلمية، وكذلك مجلات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وغيرها.



أحد الأطباق الشمسية في القرية الشمسية بمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية

وهناك دوريات ونشرات تصدر عن هيئات ومؤسسات حكومية مثل «الخطوة» التي تصدر عن جمعية الأطفال المعاقين، والمكافحة التي تصدر عن اللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات بالتعاون مع الإدارة العامة لمكافحة المخدرات، وأحوال المعرفة التي تصدر عن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، وأخبار المكتبة وتصدرها مكتبة الملك فهد الوطنية، والتوباد وتصدرها الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.

ولا شك أن مجموع هذه الصحف والمجلات يؤكد تميز الرياض، ودورها الثقافي العربي الذي لا يقف على العطاء المحلي، بل يتجاوز ذلك إلى رحاب العالم العربي بأكمله؛ فأغلب الدوريات التي تصدر في الرياض يكتب فيها كتاب من البلاد العربية المختلفة. كما أنها توزع في العواصم والمدن العربية، وتحظى باهتمام القارئ العربي وإعجابه في المشرق والمغرب.

ولك أن تتعرف مقدار هذه الحركة من خلال عدد الدوريات سواء أكانت أسبوعية، أم فصلية، ومن حيث عدد المنشورات أو الصحف اليومية والمجلات، والأدلة والتقارير وسلاسل الكتب. هذا ما كشف عنه دليل الدوريات السعودية الصادر عن مكتبة الملك فهد الوطنية، فقد بلغ مجموعها في مدينة الرياض وحدها ٣٣٨ دورية مقسمة على النحو التالي: ٢٦٤ للدوريات الصادرة باللغة العربية، و ٣٢ للدوريات الصادرة بلغات أجنبية، و٤٢ سلاسل كتب.

مؤسسات علمية ومراكز بحثية

وتحفل الرياض أيضاً بمجموعة من المؤسسات والمراكز البحثية المتطورة من بينها:

مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية:

تعد واحدة من العلامات الفارقة والمميزة لعاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م. تتركز أهدافها في دعم البحث العلمي وتشجيعه وتنفيذه للأغراض التطبيقية، وتنسيق النشاط المتعدد لمؤسسات البحوث العلمية ومراكزها، وتحديد الأولويات والسياسات الوطنية، في مجال العلوم والتقنية، إضافة إلى دعم البرامج للبحوث المشتركة بين المملكة والمؤسسات العلمية الدولية لمواكبة التطور العلمي العالمي. ويتم دعم البحوث العلمية التطبيقية من خلال برامج منح بحثية متعددة تشمل المجالات الهندسية، والطبية، والزراعية، والأغذية، والعلوم الأساسية، والبتروكيماويات، والتلوث وحماية البيئة، والثروات الطبيعية، ومصادر المياه، رصدت لها مئات الملايين من الريالات.

قامت المدينة بإعداد مشروع «الخطة الوطنية الشاملة للعلوم والتقنية البعيدة المدى حتى سنة ١٤٤٠هـ» بالتعاون مع وزارة التخطيط والجهات ذات العلاقة في القطاعين الحكومي والخاص، وفي مؤسسات التعليم ومراكز البحث والتطوير. ويعد هذا المشروع أول جهد تخطيطي علمي كبير تشارك فيه نخبة من العلماء والأساتذة والخبراء السعوديين في شتى مجالات المعرفة لتعرّف إمكانات المملكة وقدراتها العلمية والتقنية في حاضرها واستشراف مستقبلها، كما تقوم مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بدعم المشاريع والبحوث المؤثرة في المجتمع، كما توجد أواصر تعاون مع عدد من المؤسسات العلمية العربية والإسلامية والدولية.

أما الحقول المعلوماتية فتوفرها المدينة للباحثين من خلال قواعد المعلومات العربية والإنجليزية. ولا ننسى مسؤوليتها عن تمثيل المملكة بالإنترنت، وما يتبع ذلك من مراقبة الخدمات اللازمة وتوفيرها. وتحتضن المدينة سبعة معاهد متخصصة تتمثل في الحاسب والإليكترونيات، ومعهد البحوث والطاقة الذرية، ومعهد بحوث الفلك والجيوفيزياء، ومعهد أبحاث الفضاء، ومعهد بحوث الطاقة الشمسية، ومعهد بحوث الموارد الطبيعية والبيئية.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية:

هو إحدى الهيئات التابعة لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، ويركز على توفير المعلومات وإتاحة القراءة للراغبين من خلال مكتبة رئيسة وقاعة للنساء ومكتبة للأطفال، وتضم المكتبة قاعة للمخطوطات تحتوي على نحو خمسة وعشرين ألف مخطوطة أصلية، ومثلها من المخطوطات المصورة من أنحاء العالم، ويتبع المركز وحدة ترميم تضم أجهزة فنية وفنيين على مستوى عال من الكفاية العلمية والخبرة.



الأمير سطام بن عبد العزيز والأمير تركي الفيصل وجولة في معرض الكتاب الإلكتروني الذي نظمه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

وتتبع المركز إدارة للبحوث والدراسات تقوم على متابعة قضايا النشر، وتعمل على تكليف باحثين بإجراء دراسات في موضوعات تخص قضايا العالم الإسلامي المعاصر، كما إنه يعد من أهم الجهات التي تقوم بنشر الكتب ذات الصلة بالقضايا الإسلامية أو التي تعد جزءاً من التراث الإسلامي.

ويتميز مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات

الإسلامية باهتمامه البالغ بالأنشطة الثقافية، إذ عقد في المركز ما يقارب ثمانين محاضرة وندوة ومؤتمراً خلال السنوات العشر المنصرمة.

وقد دشن المركز نشاطه الثقافي احتفاءً باختيار الرياض عاصمة ثقافية لعام ٢٠٠٠م بمعرض للنشر الإلكتروني خلال الشهر الفائت، ألقي على هامشه عدد من المحاضرات، كما سينظم المركز للمناسبة نفسها مجموعة معارض من بينها: معرض الكتب الدينية المطبوعة في الهند، ومعرض المصاحف المخطوطة والمطبوعة والمحفوظة في مكتبة المركز، ومعرض الأفلام الوثائقية.

ومن الأمور التي ستتم في الفترة القادمة - وهي جزء من الاحتفاء بالمناسبة - افتتاح متحف التراث الإسلامي الذي سيكون نافذة يطل من خلالها على نماذج من التحف والآثار الإسلامية النادرة التي جمعت من مختلف أنحاء العالم.

ومن احتفالات المركز باختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٠م تنظيم عدد من المحاضرات التي شارك فيها الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية في هذا العام.

دارة الملك عبدالعزيز:

من المعالم البارزة على خارطة الثقافة السعودية في مدينة الرياض دارة الملك عبدالعزيز التي تم انتقالها مؤخراً إلى مبناها الجديد لتصبح جزءاً من مركز الملك عبدالعزيز التاريخي الذي يقع في قلب العاصمة الثقافية، وتحديداً في منطقة المربع. وتمتد أقسام الدارة ومرافقها على أرض مساحتها سبعة آلاف متر مربع، وتبلغ مساحة مبانيها ١٢ ألف متر مربع. وقد أقيمت في موقع القصر السكني للملك عبدالعزيز، ويضم مبنى الدارة مركز الملك عبدالعزيز للمعلومات والوثائق، وقسماً آخر لمجلة الدارة، وقاعة الملك عبدالعزيز التذكارية، ومكتبة الملك عبدالعزيز الخاصة.

يحتفظ مركز الملك عبدالعزيز للمعلومات والوثائق بمجموعة كبيرة من الوثائق المحلية الأصلية والمصورة التي تشمل مراسلات تاريخية وصكوكاً، وملكيات، ووقفيات، ونصائح، وخطابات رسمية، وقرارات، وبيانات، وتقارير، وغيرها.

وتغطي هذه الوثائق البالغة ٥٠ ألف وثيقة فترة زمنية طويلة من التاريخ. كما توجد مجموعة أخرى من الوثائق التاريخية العربية تتعلق بالمملكة العربية السعودية. ويضم المركز ١٥ ألف وثيقة مصورة من محفوظات



جانب من مباني مركز الملك عبدالعزيز التاريخي

«الأرشيفات الألمانية»، كما يحتوي المركز على أكثر من ٣٠ ألف نسخة مصورة من الوثائق الأمريكية المحفوظة بالأرشيف الوطني بالعاصمة الأمريكية «واشنطن» إضافة إلى الوثائق البريطانية، والهولندية، والإيطالية، كما يحتفظ المركز بـ «٢٠» ألف وثيقة أخرى إضافة إلى ١٦٠٠ مخطوطة أصلية ومصورة، وتحوي مكتبة الملك عبدالعزيز الخاصة ما مجموعه ١٥٠٠ كتاب.

وما زالت دارة الملك عبدالعزيز تواصل جهودها المختلفة والتي منها «مسح المصادر التاريخية الوطنية» والذي تم من خلاله الحصول على عشرة آلاف وثيقة أصلية وعشرين ألف وثيقة مصورة، وما يقرب من ٨٠٠

صورة للمواقع التاريخية، وإجراء أكثر من ٣٥٠ مقابلة بالصوت والصورة مع عدد كبير من معاصري الملك عبدالعزيز - رحمه الله - شملت مختلف مناطق المملكة.

وفي تصريح خاص للفيصل قال الدكتور فهد السماري الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز: أمامنا الكثير مما يجب أن يتحقق تجاه المثقف السعودي - وأعتقد أن الدارة بعد نقلتها الجديدة التي حظيت فيها بموقع جيد وبإمكانات جيدة سوف تتجه - إن شاء الله - إلى تلبية الكثير من الطموحات مع المؤسسات الثقافية الأخرى.

إحدى محاضرات النادي الأدبي بالرياض

جمعية الثقافة والفنون:

ومن المؤسسات الثقافية التابعة للرئاسة العامة لرعاية الشباب الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون التي تعنى بكثير من الجوانب الثقافية وتعمل على تعزيز الثقافة والأدب، ويتبعها نادي القصة السعودي الذي يتبنى الأقلام الأدبية الواعدة متيحاً لها المجال بنشر إبداعاتها المختلفة. وقد خصص لذلك ملف إبداعي أطلق عليه «الواحات»، يشتمل على آخر إبداعات القصاصين السعوديين. وتصدر عن الجمعية مجلتا فنون، والتوباد.

النادي الأدبي بالرياض:

نبعت فكرة إنشاء الأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية حين جمع صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز يرحمه الله - الرئيس العام لرعاية الشباب آنذاك - نخبة من أدباء المملكة للتحاور حول إحياء سوق عكاظ، فاقترح في هذا الاجتماع إنشاء أندية أدبية في عدد من مدن المملكة، وقد وجد الاقتراح قبولاً عاماً، وترتب على ذلك اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذه، فكان أن أنشئت خمسة أندية أدبية في العام نفسه في خمس مدن، هي: الرياض، وجدة، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف. وقد بلغ عدد الأندية الأدبية حالياً ١٢ نادياً في كبريات مدن المملكة.

وتولى إدارة نادي الرياض - عند إنشائه - الشيخ عبدالله بن خميس، ثم الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، ومنذ عام ١٤٠١هـ، أسندت رئاسة النادي إلى الشيخ عبدالله بن إدريس.

ويؤدي النادي دوره الثقافي والفكري من خلال عدد من الفعاليات والأنشطة، من أهمها:

- النشاطات المنبرية؛ كالمحاضرات والندوات والأمسيات الشعرية والثقافية؛ ومن بينها لقاء أسبوعي يُعقد كل يوم اثنين، يُعنى بتقويم نتاج الشباب من شعر وقصة ودراسة، أو ورقة عمل حول موضوع ثقافي يُطرح بين نخبة من الأساتذة وحشد من الشباب. وهذه الاثنينية الأسبوعية مستمرة منذ نحو اثنتي عشرة سنة.

- تشجيع الأدباء والباحثين بنشر نتاجهم وتوزيعه، بعد تحكيمه وفق معايير موضوعية. وقد بلغ عدد الكتب التي تولَّى النادي نشرها ٨٠ كتاباً.

- يصدر عن النادي الأدبي دوريتان، هما: «الأدبية» وصدر منها ٣٥ عدداً، و«القوافل» وصدر منها سبعة أعداد.

وتعنى الدوريتان بمتابعة الحركة الثقافية، وتبني ملفات حول القضايا الأدبية والفكرية والثقافية.

- يقيم النادي معارض للكتب والفنون التشكيلية، وقد تبنى عرض ثلاث مسرحيات سعودية.

- يهتم النادي باستضافة بعض ضيوف المملكة من الشخصيات ذات الاهتمامات الأدبية والفكرية في لقاءات وندوات عامة.

- كان النادي الأدبي بالرياض سباقًا إلى تكريم عدد من الرواد الذين أغنوا الحياة الثقافية والفكرية في المملكة، ومن هؤلاء: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز يرحمه الله، والشيخ حمد الجاسر، والأستاذ عبدالله النعيم عند حصوله على الدكتوراه الفخرية. كما كرّم أولئك الذين نالوا جوائز في مؤتمر القمة الخليجي في سلطنة عمان. ومن الذين كرمهم النادي كل من الأستاذ عبدالكريم الجهيمان، والأستاذ عزيز ضياء يرحمه الله.

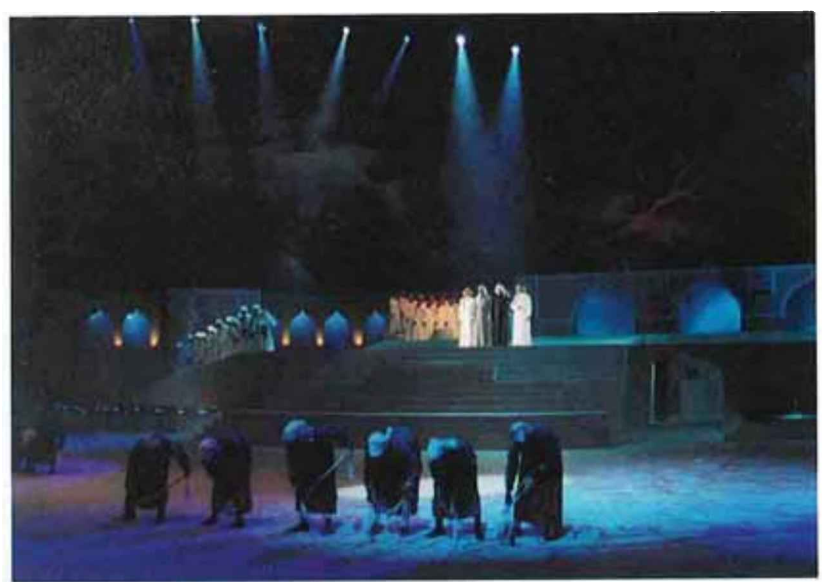
- استضاف النادي مؤتمرين من مؤتمرات الأندية الأدبية عامي ١٤٠٥هـ و ١٤١٥هـ.

مركز الأمير سلمان الاجتماعي:

وللرياض العاصمة الثقافية حفاوة خاصة بالإنسان من خلال النظر إلى قدرة العطاء والإنجاز. وقد جاء مشروع مركز الأمير سلمان تكريماً لأمير الرياض من لدن أبناء الرياض، تقديراً لما يبذله سموه في سبيل رفعة الوطن ورخائه، لذلك أطلق عليه اسم سموه، ليصبح مسماه مركز الأمير سلمان الاجتماعي.

كلف المشروع ما يقرب من ٧٠ مليون ريال. ويقدم عدداً من الخدمات والأنشطة، كالأنشطة الاجتماعية والثقافية التي تتضمن الندوات والمحاضرات والمؤتمرات والزيارات، وخدمات المكتبة الثقافية، ومكتبة الفيديو وغيرها، إضافة إلى الأنشطة الرياضية والترفيهية الأخرى، ويخدم المركز بالدرجة الأولى المسنين كما أنه مفتوح لمن هم في سن الأربعين، ولا تقتصر خدمة المركز على الذكور فقط بل تشمل كذلك الإناث أيضاً.

ولمركز الأمير سلمان الاجتماعي نشاط دائب في الجانب الثقافي، يتمثل في استضافة العلماء والمشايخ لتقديم الدروس العلمية، كما ينظم المركز المحاضرات والندوات الثقافية، ويعقد الأمسيات الفنية والشعرية، والمسابقات الثقافية والدينية، وينظم معارض للكتاب والشريط والفنون التشكيلية سنوياً داخل المركز الذي جهز بما يتلاءم مع جميع هذه الأنشطة، ويستوعب أعداداً كبيرة؛ ويحفل جدول نشاطات مركز الأمير سلمان الاجتماعي لهذا العام بما يقرب من ١٣١ منشطاً بين محاضرة وندوة وإصدار وحلقة دراسية ودورة تدريبية وورشة عمل ومسابقة ورحلات خصص جزء منها للنساء، والجزء الآخر للرجال.



مهرجان الجنادرية يبرز جوانب مختلفة من تراث المملكة

المسرح والفنون التشكيلية:

إضافة إلى الجوانب الإبداعية الأخرى فإن الرياض لا تغفل عن المسرح والفن التشكيلي بما توليه الرئاسة العامة لرعاية الشباب لهذين الجانبين من عناية خاصة، فيشارك الفن التشكيلي بالمهرجان الوطني للتراث والثقافة سنوياً، وقد خصص له صالة مستقلة تكفي لمشاركات الفنانين التشكيليين من مختلف مناطق المملكة. كما لا تألو الرئاسة جهداً في استقطاب المواهب الواعدة بإشراكهم في بعض المعارض التشكيلية الجماعية، أو إفراد صالات خاصة للمعارض التشكيلية الشخصية. وقد تميز عدد من الفنانين السعوديين بمشاركاتهم العالمية من خلال

الرئاسة، وحصل بعضهم على جوائز عالمية، كما ضمت بعض أسماء الفنانين التشكيليين لبعض الموسوعات العالمية.

أما بخصوص المسرح فمهرجان الجنادرية أيضاً يفسح المجال لأن تقدم بعض العروض المسرحية المتميزة، فقد قدّم هذا العام عشرة عروض مسرحية اشتملت على بعض الندوات التي تناقش الفن المسرحي، كما تقدم مجموعة من العروض المسرحية هذا العام ترعاها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، كما ستقدم عروض أخرى في بعض المراكز الترفيهية في مدينة الرياض، منها ما هو مخصص للطفل.

الصالونات الأدبية

ولا تقتصر النشاطات الثقافية والفكرية في مدينة الرياض على المستوى الرسمي فقط، بل تتجاوزها إلى المستوى الشخصي، إذ تشتهر الرياض بصالونات أدبية يقيمها بعض العلماء والأدباء، كتلك التي عرفتها بعض العواصم العربية في الماضي، والتي أصبحت تقل حتى كادت تختفي تماماً عن الساحة الثقافية العربية، ومن أبرز تلك الصالونات أو المنتديات المعروفة في الرياض: ندوة عبدالعزيز الرفاعي - رحمه الله تعالى - التي ظلت مستمرة إلى أن وافاه الأجل. ومن تلك المنتديات التي لاتزال منعقدة إلى يومنا هذا منتدى عثمان الصالح، ومنتدى راشد المبارك، ومنتدى أحمد باجنيد، ومنتدى أنور عشقي، ومنتدى محمد بن سعد بن حسين، ومنتدى سلطانة السديري، وهو خاص بالنساء.

تستضيف هذه الندوات كل أسبوع واحداً من المفكرين والأدباء والعلماء والمشايخ البارزين يتحدث كل منهم عن موضوع يختاره هو، أو يختاره المنظم للندوة، ويعلن عنه بالصحف المحلية، ويحضره لفيف من مثقفي الرياض وأدبائها ومفكريها.

المتاحف

ولما كانت المتاحف من أهم وأفضل ما يعرّف الأجيال بتراثهم العربي الإسلامي عبر العصور فقد تأسست مجموعة متاحف في مدينة الرياض برعاية وزارة المعارف ممثلة في وكالة الوزارة لشؤون الآثار والمتاحف، حيث روعي فيها أن تكون شاملة مختلف المعلومات التاريخية بشكل عام والمعلومات المتعلقة بمدينة الرياض على وجه الخصوص.

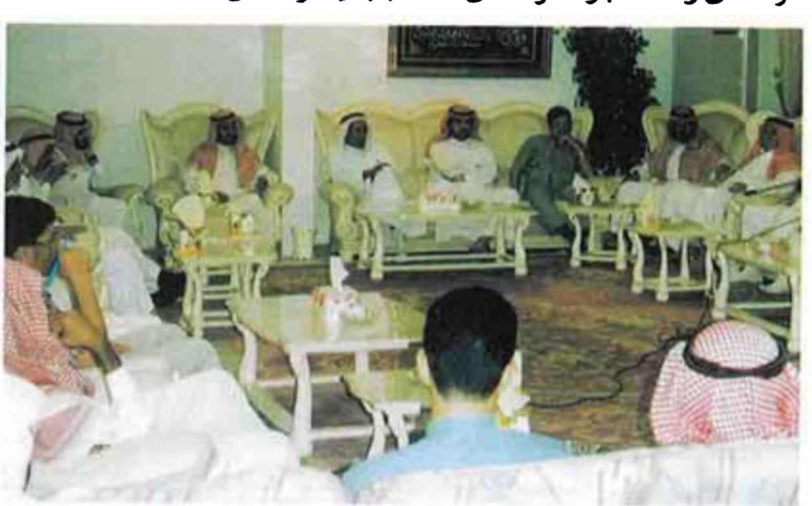
متحف قصر المصمك:

تم تحويل قصر المصمك التاريخي إلى متحف حربي يحكي تاريخ فتح الرياض على يد الملك عبدالعزيز، طيب الله ثراه، فقد افتتح في ١٣ محرم سنة ١٤١٦هـ تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض.

ويستقبل قصر المصمك ٥٠ ألف زائر سنوياً من مختلف الجنسيات للاطلاع على مقتنياته من الصور والشروحات والخرائط والمجسمات وبعض أدوات التراث الشعبي التي تحكي ملحمة اقتحام القصر وأسماء الكوكبة الذين شاركوا الملك عبدالعزيز في فتح الرياض، بالإضافة إلى المعلومات المتعلقة بنشأة القصر ومكانته التاريخية، ومعلومات أخرى عن مدينة الرياض.

المتحف الوطني:

انتقل المتحف الوطني من مقره المؤقت إلى مركز الملك عبدالعزيز التاريخي ليصبح إحدى الواجهات الثقافية البارزة



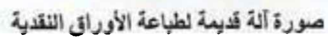
من داخل أحد الصالونات الأدبية التي تميز مدينة الرياض

في مدينة الرياض، ويؤمه ما يزيد على ٥٠ ألف زائر سنويًا من مختلف الجنسيات للاطلاع على مقتنياته التي تضمها قاعات المتحف العشر، وهي: قاعة الإنسان والكون، وقاعة الممالك العربية والجزيرة العربية القديمة، وقاعة العصر الجاهلي، وقاعة البعثة النبوية، وقاعة الإسلام والجزيرة العربية، وقاعة الدولة السعودية الأولى، وقاعة توحيد المملكة، وقاعة الحج والحرمين الشريفين، وقاعتان للعرض.

متحف صقر الجزيرة للطيران:

هذا المتحف أحد المتاحف المتخصصة بالرياض، ويوصف بأنه منارة من منارات الإشعاع الثقافي في هذه المدينة، وهو يوثق تاريخ القوات الجوية منذ أن أسسها الملك عبدالعزيز، رحمه الله، قبل خمسة وسبعين عامًا، ويعد هدية للوطن قدمها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام بمناسبة ذكرى مرور مئة عام على تأسيس المملكة، ومنذ ذلك التاريخ وزيارة المتحف تقتصر على الوفود الرسمية على أمل أن يتاح لعموم المواطنين الاستمتاع بمشاهدة مقتنياته، والإفادة مما يحتويه من معلومات توثق حقبة عسكرية مهمة من تاريخ المملكة العربية السعودية.





صورة آلة قديمة لطباعة الأوراق النقدية





من المقتنيات النادرة بمتحف العملات

متحف التراث الإسلامي:

يتبع هذا المتحف مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وشرع في تأسيسه في سنة ١٤٢٠هـ، وهو يحتوي على مجموعة طيبة من القطع الأثرية التي تعود إلى عصور إسلامية مختلفة، وتتوزع القطع على مسكوكات ومنمنمات، وأوان وأدوات طبية وأسلحة حربية، وحلي وأدوات زينة، وجلود كتب وأدوات كتابة، وهذا المتحف يقدم صورة مشرقة لدور الحضارة الإسلامية في مسيرة الحضارة الإنسانية عامة. وهناك أيضًا قاعة الملك فيصل التذكارية، وتتبع مركز الملك فيصل، وهي تضم مقتنيات تخص الملك الراحل، رحمه الله، مع مجموعة من الصور والوثائق التي تعرف بمختلف مراحل حياته.

وتضم الرياض متاحف أخرى عامة إلى جانب متاحف خاصة تنتشر في عدد من أحيائها يمتلكها هواة جمع التراث ومحبوه الذين آثروا أن يتيحوا فرصة الاطلاع على مقتنياتهم للراغبين، وذلك بتخصيص قاعة مستقلة للمعروضات في منازلهم.

متحف العملات:

هذا المتحف التابع لمؤسسة النقد العربي السعودي من المتاحف العالمية المتخصصة، فقد تنوعت محتوياته بين عملات أثرية إسلامية، وغير إسلامية، وعملات حديثة،

ومواد أولية تستخدم في صناعة العملات، بالإضافة إلى صور تشرح وتوضح طريقة صناعة العملات، وأخرى تبين العلامات الأمنية. وقد تم توزيع المعروضات على أربع قاعات مختلفة، بالإضافة إلى قاعة أخرى خصصت لعرض الأفلام ذات العلاقة. وأولى هذه القاعات، قاعة المدخل الرئيس التي توجد فيها قطعتان من أندر العملات الإسلامية وأقدمها وهما: درهم فضي ضرب في اليمامة سنة ١٦٥هـ، ودرهم فضي ضرب في مكة سنة ٢٨٣هـ.

وفي القاعة الثانية معروضات للمواد الأولية الخاصة بصناعة الأوراق النقدية، والعملات المعدنية، والذهبية.

أما القاعة الثالثة، وهي أكبر قاعة في المتحف، فتضم خمس عشرة حاوية عرض، خصصت إحداها لعرض نماذج من عملات ما قبلُ الإسلام، والأربع عشرة حاوية الأخرى خصصت لعرض نماذج منتقاة من أهم العملات الإسلامية، مرتبة حسب تواريخ سكّها، كل قرن على حدة، حيث تمثل كل حاوية قرنًا من الزمن، وتشمل اثنتين وأربعين قطعة، مع نبذة تاريخية تحكي قصة تطور النقود في كل قرن من القرون، كما يتوسط هذه القاعة حاوية كبيرة لعرض عملات ست وتسعين دولة من دول العالم الحديث، بالإضافة إلى ذلك، توجد بصدر هذه القاعة حاوية تضم عملات دول مجلس التعاون الخليجي المتداولة حاليًا، ويقابلها من الناحية الأخرى من القاعة حاوية عرض أخرى تضم العملات الإسلامية النادرة، التي ضربت في الجزيرة العربية، والتي هي ضمن حدود المملكة العربية السعودية حاليا، إلى جانبها بعض العملات التي شاع استخدامها في مناطق الجزيرة العربية قبل العهد السعودي الزاهر.

وخصصت القاعة الرابعة لعرض العملات السعودية بشكل عام، بداية بالنقود التي سكت في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله سنة ١٣٤٣هـ في أم القرى (مكة المكرمة)، وعليها طغراء باسم الملك، إلى العملات المعدنية التي سكت في عهد خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود سنة ١٤٠٨هـ، وتضم كذلك العملات المعدنية التي سكت في عهد كل من الملك سعود، والملك فيصل، والملك خالد، يرحمهم الله. كما اشتملت أيضًا على عرض نماذج للميداليات التي سكتها مؤسسة النقد العربي السعودي، وأيضًا نماذج للعملات الورقية، منذ طباعة ما يسمى بإيصالات الحجاج، مرورًا بالإصدار الأول، والثاني، والثالث، ووصولاً إلى الإصدار الرابع المستخدم حاليًا مع نبذة من المعلومات عن تلك الإصدارات. كما تضم القاعة لوحة عرض خاصة توضح أهم العلامات الأمنية الموجودة بالأوراق النقدية السعودية.

والقاعة الخامسة مخصصة لعرض بعض الأفلام البصرية، والسمعية والمتخصصة في مجال العملات وصناعتها، وإيضاح العلامات الأمنية المتوافرة بالعلامات السعودية والأسلوب السليم لفحصها للتأكد من سلامتها.

جانب من المتحف الوطني بمركز الملك عبدالعزيز التاريخي


مجموعة من الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية في اللقاء العلمي الذي عقد بلندن

المهرجانات السنوية والجوائز

تحتفل الرياض بمهرجانات سنوية متنوعة أهمها المهرجان الوطني للتراث والثقافة الذي يعد أهم مهرجان سنوي تشهده المملكة ومنطقة الخليج عامة، ويعرف بمهرجان «الجنادرية»، وهو من بين النشاطات الثقافية التي أصبحت علامة مميزة للرياض ، والتي تجد اهتمام المثقفين بما يستوعبه من ثقافات مختلفة وأفكار متنوعة تتحقق من خلال دعوة العلماء والمفكرين والأدباء من مختلف أنحاء دول العالم للمشاركة في الندوة الثقافية الكبرى التي تناقش في كل عام موضوعاً من الموضوعات الحيوية، ويسمح للحضور بالمداخلات والنقاشات الهادفة بصراحة تامة وموضوعية، إضافة إلى النشاطات الثقافية المختلفة التي تقام على هامش الجنادرية، ويتاح لها مساحة كافية، منها: الأمسيات الشعرية بالعربية الفصحى والعامية (الشعر النبطي)، والمسابقات المتنوعة التي يخصص لها عدد من الجوائز، وتشارك المرأة في هذه النشاطات بفعالية واضحة، إضافة إلى المسرحيات التي تشارك فيها مناطق المملكة كافة، كما تقام المعارض المختلفة على هامش المهرجان كمعرض الكتاب، ومعرض الفنون التشكيلية وغيرها؛ مما يجعل الجنادرية مؤتمراً جامعاً لكل أوجه الثقافة والفكر والفن، لا يكاد ينتهي المهرجان حتى تبدأ اللجان المعدة له بالتحضير لمهرجان السنة المقبلة.

وبما أن الرياض العاصمة الثقافية كانت مشحونة بالخير والنماء ولاتزال، فقد وقفت الجهود ليس فقط لتشغيل طاقات العلماء والأدباء واستثمارها، بل لتحفيزها وتكريمها لإيجاد أجواء من المنافسة العلمية الشريفة تضفي عليها معاني نبيلة وسامية، لعل من أخصها وضعها في المكان اللائق بها وتكريمها وجعل المستحقين لها من العلامات البارزة التي يجب الالتفات إليها وتقديرها. فمن هذه الجوائز:

جائزة الملك فيصل العالمية:

وهذه الجائزة العالمية تعد من الملامح الثقافية التي تتميز بها الرياض وهي تمارس نشاطها منذ سنة ١٣٩٧هـ وتتوزع جوائزها على خمسة فروع هي: خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، والأدب العربي، والطب، والعلوم. وتمنح هذه الجائزة سنوياً لباحثين متميزين على مستوى العالم، ويتم تقديم الجوائز لهم في احتفال كبير برعاه خادم الحرمين الشريفين أو من ينوب عنه، وتبلغ قيمة كل فرع من فروع الجائزة ٧٥٠ ألف ريال سعودي، وقد حصلت أسماء لامعة من مختلف أنحاء العالم على هذه الجائزة التي تتبع مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

ولا أدل على الحيادية في الاختيار من أن عدداً من العلماء الحاصلين على هذه الجائزة قد نالوا بعدها جوائز عالمية، من بينها جائزة نوبل.

جوائز أخرى:

وثمة جوائز أخرى محلية منها جائزة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز لحفظ القرآن الكريم للبنين والبنات تكريماً لحفظة كتاب الله وتشجيعاً لهم.

كما أعلن صاحب السمو الملكي الأمير نواف بن فيصل بن فهد بن عبدالعزيز نائب الرئيس العام لرعاية الشباب في وقت سابق من هذه السنة عن إنشاء جائزة باسم صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - في فروع الثقافة كافة، وسوف تبدأ من هذا العام.

وارتبط هذا الإعلان بإعلان آخر لسموه عن قرب افتتاح مجمع الملك فهد الثقافي مؤملاً سموه أن يتم من خلاله إعادة جائزة الدولة التقديرية.

ومن الجوائز التي تمنح في مدينة الرياض جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية للإنتاج العلمي في مجال البحوث التربوية، ومقدارها مئة ألف ريال.

وعلى صعيد آخر، وفي وقت لا يفصلنا عنه سوى شهرين فقط، فقد وقعت مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية وشركة المراعي يوم السبت ٣ محرم ١٤٢١هـ اتفاقًا يتم بموجبه إنشاء جائزة المراعي للإبداع العلمي حيث وقع الاتفاقية نيابة عن الشركة صاحب السمو الأمير سلطان بن محمد بن سعود الكبير رئيس مجلس الإدارة. بينما وقعها عن المدينة رئيسها معالي الدكتور صالح العذل بحيث تمنح الجائزة سنويًا، وتغطي مجالات الابتكار وبحوث العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية، وتم تقسيمها إلى جائزتين: الأولى، بمسمى جائزة العالم المتميز وقيمتها مئة ألف ريال، والثانية، تحت مسمى أفضل عمل إبداعي وقيمتها مئة وستون ألف ريال، وتمنح مناصفة لأفضل عملين إبداعيين.

كما أن هناك عدداً من الجوائز التي تمنح للمتفوقين والمتفوقات علميًا من عدد من الجهات التعليمية: إحداها على سبيل المثال لا الحصر، جائزة الجوهرة للتفوق العلمي حيث خصت حرم خادم الحرمين الشريفين صاحبة السمو الأميرة الجوهرة البراهيم المتفوقات بالجامعة والدراسات العليا بثلاث جوائز، اثنتان تمنحان لمرحلة البكالوريوس والثالثة للدراسات العليا، إضافة إلى جائزة الملتحقات بسلك التمريض، وستمنح هذه الجوائز ابتداءً من السنة القادمة.



تتعدد المناسبات التي تجمع المثقفين في الرياض على مدار العام

إن العرض السابق يبين أن الرياض تعيش طوال العام في ظل حركة ثقافية نشيطة، تتوزع على منافذ مثل المكتبات ومراكز المعلومات ودور النشر، وملتقيات تمثلها الصالونات الأدبية، والأنشطة التي تنظمها الهيئات الثقافية ويصعب على المرء في حيز محدود كهذا أن يأتي بكل شيء يخص الأمور الثقافية في مدينة الرياض.

وفي الختام من المهم أن نبين أن صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض له دور مهم وأساسي في هذا الوهج الثقافي لمدينة الرياض؛ إذ عرف بحرصه الدائم على متابعة كل نشاط ثقافي في المدينة، وبدعمه المتواصل لكل ما يثري الثقافة فيها، وبوقوفه وراء كثير من الإنجازات التي تفاخر بها الرياض خاصة والمملكة العربية السعودية عامة، مثل مكتبة الملك فهد الوطنية، ودارة الملك عبدالعزيز العامة، ومركز الملك عبدالعزيز التاريخي. وفوق كل ذلك يعد الأمير سلمان صديقًا مخلصًا لكل مثقفي الرياض يستمع إلى آرائهم، ويساند مقترحاتهم، ويصغي إلى مطالبهم، ويدعم مشاريعهم بلا تردد.

جماليات المكان في الرواية

أحمد زياد محبك
حلب - سورية

لا تزال دراسة المكان في الرواية نادرة في النقد العربي، والكتب التي صدرت في هذا السياق لا تزال دون أصابع اليد عددًا، وما تسعى إليه هذه المقالة هو وضع مقدمة نظرية لدراسة المكان في الرواية.

وهذه المقدمة تستند إلى أهم ما صدر في العربية من دراسات في المكان الروائي، وهي دراسات سيزا قاسم (١٩٨٥)، وسيد بحراوي (١٩٩٠)، وسمر روحي الفيصل (١٩٩٥)، كما تستند إلى بعض الدراسات في الرواية الغربية.

وغاية ماتسعى إليه هذه المقدمة أن تكون حافزًا إلى درس المكان، وعونًا على الوعي به جماليًا، ولذلك تمّ توخي الإيجاز، والبعد عن الأمثلة التطبيقية، حتى تترك المجال للقارئ كي يستحضر في ذهنه ما قرأه من روايات.



جاستون باشلار

أهمية المكان

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه المكان الذي تجري فيه الحوادث، وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي على كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات، ويمنحها المناخ الذي تنفعل فيه، وتعبر عن وجهة نظرها، ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية، والحامل لرؤية البطل، والممثل لمنظور المؤلف، وبهذه الحالة لا يكون المكان كقطعة القماش بالنسبة إلى اللوحة، بل يكون الفضاء الذي تصنعه اللوحة.

إن المكان «ليس عنصرًا زائدًا في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً، ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله» (بحراوي ص٣٣).

المكان والواقع

وبداية لا بد من الاتفاق على أن المكان في الرواية أيًا كان شكله ليس هو المكان في الواقع الخارجي، ولو أشارت إليه الرواية أو عنته، أو سمته بالاسم، إذ يظل المكان في الرواية عنصرًا من عناصرها الفنية.

إن المكان في الرواية هو «المكان اللفظي المتخيَّل، أي المكان الذي صنعته اللغة انصياعًا لأغراض التخييل الروائي وحاجاته» (الفيصل ٢٥١)، «فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانًا خياليًا له مقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة» (سيزا ص٧٤).

إن المكان في الرواية قائم في خيال المتلقي، وليس في العالم الخارجي، وهو مكان تستثيره اللغة، من خلال قدرتها على الإيحاء، ولذلك كان لا بد من التمييز بين المكان في العالم الخارجي والمكان في العالم الروائي.

«وإذا كانت نقطة انطلاق الروائي في التقاليد الواقعية هي الواقع، فإن نقطة الوصول ليست هي العودة إلى عالم الواقع، بل إنها خلق عالم مستقل، له خصائصه الفنية التي تميزه من غيره». (سيزا، ٧٨٥).

وعندما يستعين الروائي بوصف المكان أو تسميته، فهو لا يسعى إلى تصوير المكان الخارجي، وإنما يسعى إلى تصوير المكان الروائي، وأي مطابقة بينهما، هي مطابقة غير صحيحة، وما استعانة الروائي بالتسمية أو الوصف إلا لإثارة خيال المتلقي.

وظيفة المكان في الرواية

في الرواية التقليدية يظهر المكان مجرد خلفية تتحرك أمامها الشخصيات، أو تقع فيها الحوادث، ولا تلقى من الروائي اهتماماً أو عناية، وهو محض مكان هندسي.

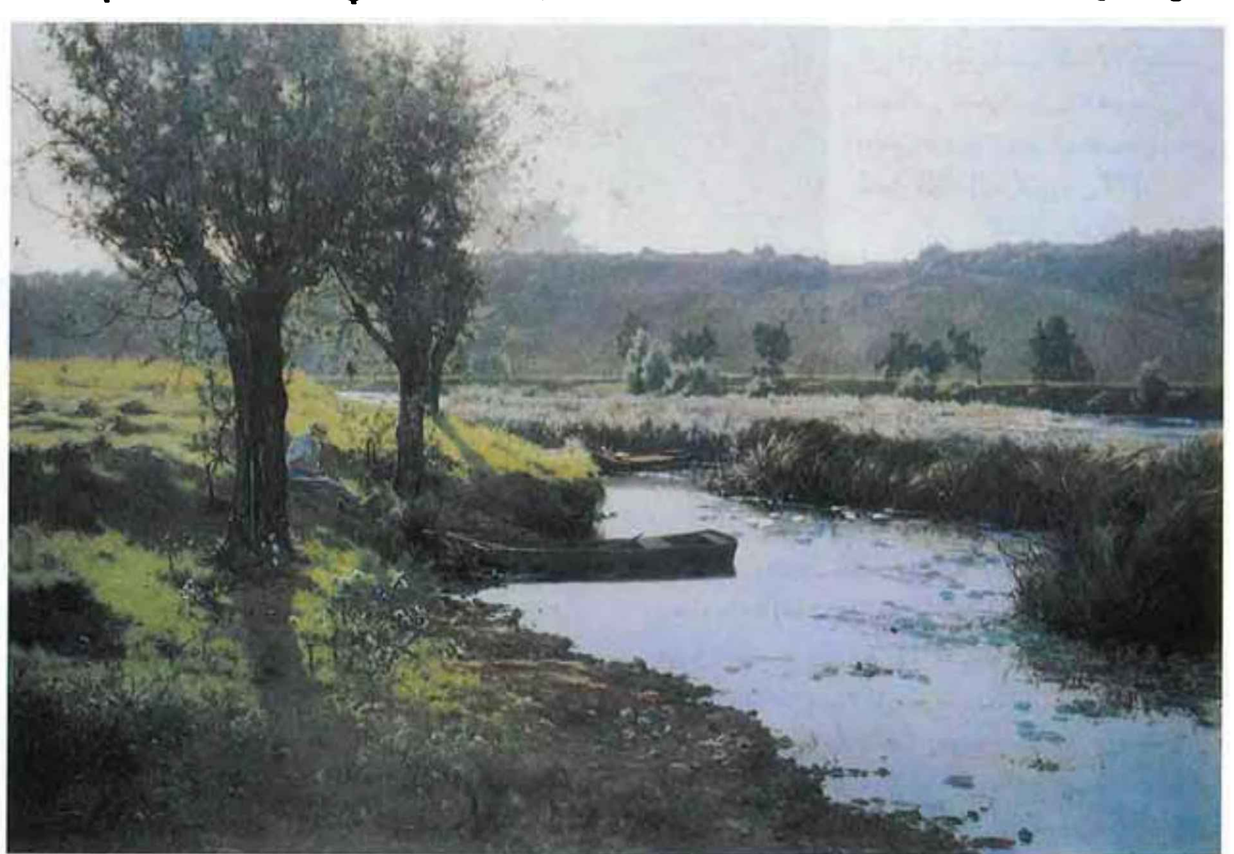
وفي الرواية الرومانتيكية يظهر المكان معبراً عن نفسية الشخصيات، ومنسجماً مع رؤيتها للكون والحياة، وحاملاً بعض الأفكار.

وفي هذه الحالة «يبدو المكان كما لو كان خزاناً حقيقياً للأفكار والمشاعر والحدوس، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة تبادلية يؤثر فيها كل طرف في الآخر».(بحراوي ٣١).

وفي كلتا الحالتين يظل المكان في إطار المعنى التقليدي للمكان في الرواية، ويمكن أن يعد هذا المعنى البنية التحتية، على حين يمكن أن يحقق المكان بنية فوقية، يغدو فيها المكان فضاء، وذلك عندما يسهم المكان في بناء الرواية، وعندما تخترقه الشخصيات، «فيتسع ليشمل العلاقات بين الأمكنة والشخصيات والحوادث، وهي فوقها كلها ليصبح نوعاً من الإيقاع المنظم لها». (الفيصل ٢٥٣).

«إن الوضع المكاني في الرواية يمكنه أن يصبح محدداً أساسياً للمادة الحكائية ولتلاحق الأحداث والحوافز، أي إنه سيتحول في النهاية إلى مكون روائي جوهري، ويحدث قطيعة مع مفهومه كديكور». (بحراوي ٣٣).

وهكذا يدخل المكان في الرواية عنصراً فاعلاً، في تطورها



المكان الهندسي البحت لا يمتلك قيمة فنية

وبنائها، وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه، وفي علاقاتها بعضها ببعض.

وإذن «يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي يتضامن بعضها مع بعض لتشييد الفضاء الروائي، فالمكان يكون منظماً بالدقة نفسها التي نظمت فيه العناصر الأخرى في الرواية، لذلك فهو يؤثر فيها، ويقوي من نفوذها، كما يعبر عن مقاصد المؤلف» (بحراوي ٣٢).

وهكذا «فالفضاء الروائي أكثر شمولاً واتساعاً من المكان» (الفيصل ٢٥٦)، فهو أمكنة الرواية كلها، إضافة إلى علاقاتها بالحوادث ومنظورات الشخصيات». (الفيصل ٢٥٦)، وهو ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة؛ لأنه يعاش في عدة مستويات، من طرف الراوي بوصفه كائناً مشخصاً، وتخيلياً أساساً، ومن خلال اللغة، ثم من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان، وفي المقام الأخير من طرف القارئ الذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الدقة». (بحراوي ٣٢).

وهكذا يتجاوز المكان وظيفته الأولية المحددة، بوصفه مكاناً لوقوع الأحداث، إلى فضاء يتسع لبنية الرواية، ويؤثر فيها، من خلال زاوية أساسية، وهي زاوية الإنسان الذي ينظر إليه.

إن المكان الهندسي البحت لا يمتلك قيمة فنية، ومن هنا كان اختلاف المكان في الرواية عن المكان في الواقع الخارجي، لأنّ المكان في الرواية هو المكان معروضاً من زاوية الراوي والشخصيات والحوادث والأفكار، ومن خلال تفاعلها جميعاً معه.

«إن المكان الروائي لايتشكّل إلا باختراق الأبطال له، وليس هناك أي مكان محدد مسبقاً، وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال، ومن المميزات التي تخصهم». (بحراوي ٢٩).

ولذلك ميز غالب هلسا بين ثلاثة أنواع للمكان بحسب علاقة الرواية به، وهي:

- المكان المجازي: وهو الذي نجده في رواية الأحداث، وهومحض ساحة لوقوع الأحداث لا يتجاوز دوره التوضيح، ولا يعبر عن تفاعل مع الشخصيات والحوادث.
- المكان الهندسي: وهو الذي تصوره الرواية بدقة محايدة، تنقل أبعاده البصرية، فتعيش مسافاته، وتنقل جزئياته، من غير أن تعيش فيه.
- المكان بوصفه تجربة تحمل معاناة الشخصيات وأفكارها ورؤيتها للمكان، وتثير خيال المتلقي، فيستحضره بوصفه مكاناً خاصاً ومتميزاً. (هلسا ٨ - ٩).

ولذلك، فإن وصف المكان وحده لا يساعد على خلق الفضاء الروائي، ولا بد من اختراق الإنسان للمكان، والتفاعل معه، والعيش فيه، وتقديمه من خلال زاوية محدودة، تخدم الإطار العام للرواية، بحيث يتحول المكان نفسه إلى عنصر فاعل.

إن المكان في الرواية من غير تلك الآفاق يغدو محض زخرف أو زينة، وفي أفضل الحالات يساعد على فهم الشخصيات وتفسيرها، ولكنه لا يتحول إلى فضاء، إن الوصف هو الأرض التي يمكن أن يبنى عليها الفضاء، ولكن الوصف وحده لا يصنعه.

«المعيار إذن، هو بناء الفضاء الروائي، فإذا نجح الروائي في هذا البناء منح المكان الحقيقي والمكان المبتدع خصوصية الخلق الفني، وإلا ، فلا» (الفيصل ٢٦١).

تسمية المكان الروائي

ولعل تسمية المكان هي أول السبل إلى بناء المكان، فتسمية المكان في الرواية تحيل القارئ إلى المكان الذي يحمل الاسم نفسه في الواقع، وإن كان المكان في الرواية ليس هو المكان نفسه في الواقع، ومن هنا تنشأ المفارقة؛ لأن التسمية محض وسيلة أولية باهتة، لا يمكن أن تقوم وحدها ببناء المكان الروائي.

«إن المكان الروائي لفظي مُتخيَّل، يحيل إلى نفسه، ولا يتأثر بمحاولات الروائيين تسميته باسم حقيقي بغية إيهام القارئ بمصداقية الحوادث، وواقعية المجتمع الروائي». (الفيصل ٢٨٣).

وصف المكان الروائي

ولذلك يبدو الوصف الوسيلة الأساسية في تصوير المكان، وهو «محاولة لتجسيد مشهد من العالم الخارجي في لوحة مصنوعة من الكلمات، والكاتب عندما يصف لا يصف واقعاً مجرداً، ولكنه واقع مشكّل تشكيلاً فنياً. إن الوصف في الرواية هو وصف لوحة مرسومة، أكثر منه وصف واقع موضوعي (سيزا ١١٠).

إن الوصف يتناول الأشياء، فيرسمها بواسطة اللغة، وهو عنصر أساسي في الرواية، فإذا كان السرد يروي الأحداث

في الزمان، فإن الوصف يصور الأشياء في المكان، ولكنه ليس غاية في ذاته، وإنما هو لأجل صنع المكان الروائي، أو بالأحرى لخلق الفضاء الروائي، فما هو بالتصوير الموضوعي، إنما هو تصوير فني.

وفي الرواية يظهر الوصف إلى جانب السرد والحوار، بل لعله من الممكن استخراج أسطر أو مقاطع خالصة للوصف، ولكن مما لا شك فيه أن هذا الوصف ليس للزخرف أو الزينة، إلا في الأعمال الضعيفة.

إن للوصف وظائف متعددة، منها التصوير الفني الجميل للمكان، ومنها التمهيد للشخصية التي ستخترق المكان. فمن خلال وصف المكان يتم التمهيد لمزاج الشخصية وطبعها، فيصبح المكان «تعبيرات مجازية عن الشخصية؛ لأن بيت الإنسان امتداد له، فإذا وصفت البيت، فقد وصفت الإنسان». (ويليك ٢٨٨).

و«الوظيفة الثالثة التي يؤديها الوصف، وخصوصاً عندما يقف عند التفاصيل الصغيرة، هي وظيفة إيهامية، إذ يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخييلي، فيشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال، ويخلق انطباعاً بالحقيقة، أو تأثيراً مباشراً بالواقع»(سيزا ٨١).

وهو مما لا شك فيه تأثير إيهامي، للمتلقي دور كبير في صنعه، إذ لا يمكن للغة أن تنقل تفاصيل الواقع، وإذا فعلت ذلك سكنت الحركة في الرواية، وما على اللغة إلا أن تشير إلى الواقع بالتقاط جزئيات منه، وعلى المخيلة لدى المتلقي أن تقوم ببناء المكان الروائي من خلال الجزئيات التي تقدمها له اللغة.

«إن الرواية هي أولاً مجرد شيء، كتاب موضوع على مكتبتنا، وعندما نفتحه، وتنتقل نظراتنا بين الصفحات، تعلق في الفخ، فتنقلب الغرفة التي نحن فيها إلى مكان آخر يخلقه ديكور الرواية». (بوتور ٥٩).

ولعل من المهم القول: إن الوصف لا ينقل الأشكال والألوان كما تراها العين، بل ينقلها وفق منظور نفسي فني جمالي، يخدم الرواية، ومن خلال اللغة، وبشكل يساعد على خلق فضاء تتحرك فيه الشخصيات، وتعبر عن طبعها ومزاجها وأفكارها، ويكون المكان جزءاً من بنيتها الكلية.

«والوصف يقوم على مبدأين متناقضين، هما الاستقصاء والانتقاء، وقد قامت الخلافات بين الكتّاب على أيهما أكثر واقعية، وأيهما أكثر تعبيراً؟، أما بلزاك فقد كان من أنصار الاستقصاء، ولم يترك تفصيلاً من تفاصيل المشهد إلا ذكره، ويرى ستندال أن الوصف القائم على التفصيل يحد خيال القارئ ويقتله، فكان يفضل الخطوط العريضة» (سيزا ٨٨).

ولقد وضع جان ريكاردو شجرة للوصف، وضح فيها عناصره، وفيما يلي بيان بها: (سيزا ٨٨)

الشيء		
الوضع	الصفات	العناصر
الزمان المكان	الحجم اللون العدد الشكل	أ. ١ـ الوضع ٢ـ الصفات ٣ـ العناصر ب ـ = ج ـ =

ومما لا شك فيه أن لكل روائي منهجه، ونجاح منهج عند كاتب لا يقتضي بالضرورة نجاح المنهج نفسه لدى كاتب آخر.

ومهما يكن من أمر، فإن الوصف عنصر أساسي في بناء المكان، وما الروائي إلا «رسام ديكور ورسام أشخاص». (بوتور ٤٦).

وما الوصف في الحقيقة إلا «صورة ذهنية متباينة بين الروائيين سواء أكانت محاكاة لمكان حقيقي أم كانت متخيلة، وهي مرتبطة بمنظور الراوي، أي وجهة نظره في علاقة المكان بالحوادث والشخصيات، ومرتبطة بقدرة الروائي التعبيرية، وبالأهداف التي يريد تحقيقها». (الفيصل ٢٦٢).

«والوصف الجيد قد يساعد على الترشيح لظهور الشخصية، أو الارتباط بمزاجها وطبعها، ولكنه لا يقتضي بالضرورة خلق فضاء روائي. وإن صورة المكان الجيدة تعد منطلقاً لبناء الفضاء الروائي إذا كان المكان أساسياً، وتتضامن مع الصور الجيدة الأخرى لتشييد هذا الفضاء إذا كان المكان فرعياً، وحين تخسر هذه العلاقة لانفصالها عن الأمكنة الأخرى في الرواية، فإنها تكتفي بوظيفتها التفسيرية». (الفيصل ٢٦٩).

أما الصورة الضعيفة فتجعل المكان الأساسي مجرداً لا يقع فيه حدث، ولا تخترقه شخصية، وتبقى الصورة الضعيفة في أفضل حالاتها زخرفاً أو تعييناً عاماً لمسرح

الحوادث، كما تعجز عن الكشف عن أي جانب من جوانب الشخصيات، سواء أكانت تحمل اسماً يوهم بأنها حقيقية في الواقع الخارجي، أم لم تكن». (الفيصل ٢٦٩).

وهكذا يظهر واضحاً أن الوصف للمكان ليس غاية في ذاته، إنما هو وسيلة لخلق الفضاء الروائي، وهذا الفضاء الروائي لا يتحقق إلا من خلال حركة الشخصيات في المكان، وتفاعلها معه، كما لا يتحقق إلا من خلال تعدد الأمكنة، وقيام علاقات متواشجة فيما بينها، وذلك كله من خلال منظور ورؤية تلتحم ببنية العمل الروائي.

وإذن لا بد من «اختراق الشخصيات الروائية المكان، وإحياء العلاقات المكانية، وجعلها نابضة بالحركة والفعل». (الفيصل ٢٥٧) لكي ينتقل المكان من محض مكان إلى فضاء روائي، لأن «الفضاء أكثر شمولاً واتساعاً من المكان، فهو أمكنة الرواية كلها، إضافة إلى علاقاتها بالحوادث ومنظورات الشخصيات، حتى إن الروائي الذي يقصر حدثه على مكان واحد مغلق لا بد من أن يخلق في ذهن القارئ امتدادات مكانية أخرى، ومن ثم يصعب القول: إن الفضاء الروائي يتشكل من مكان واحد، وإن بدا ظاهره مغلقاً عليه وحده». (الفيصل ٢٥٦).

يحقق المكان بنية فوقية عندما يسهم في بناء الرواية، وعندما تخترقه الشخصيات

ولعل ذلك كله يؤكد ثانية أن المكان في الرواية «ليس مكاناً معتاداً كالذي نعيش فيه، أو نخترقه يومياً، ولكنه يتشكل كعنصر من بين العناصر المكونة للحدث الروائي، وسواء أجاء في صورة مشهد وصفي أم مجرد إطار للأحداث، فإن مهمته الأساسية هي التنظيم الدرامي للأحداث» (بحراوي ٣٠).

وفي الخلاصة يمكننا القول: إن «مصطلح الفضاء الروائي يتسع ليشمل العلاقات المكانية أو العلاقات بين الأمكنة والشخصيات والحوادث، ويعلو فوقها كلها ليصبح نوعاً من الإيقاع المنظم لها» (الفيصل ٢٥٣).

المكان بين رواية الشخصية ورواية الحدث

ومن الممكن أن نقف هنا عند تمييز إدوين موير بين رواية الشخصية ورواية الحدث، لنرى انعكاس هذا التمييز على المكان، وهو يؤكد منذ البدء أنه «لا توجد روايات من الشخصيات البحت، ولا روايات من الصراع البحت، وإنما هي روايات يغلب عليها هذا الطابع أو ذاك، غلبة بارزة وكافية دائماً». (موير ٦١).

ثم يرى أن «العالم الخيالي للرواية الدرامية يقع في الزمان، وأن العالم الخيالي لرواية الشخصية يقع في المكان، ففي الأولى يقدم لنا الكاتب تحديداً عابراً للمكان، ويبني حدثه في نطاق الزمان، وفي الثانية يفترض الزمان، فيكون الحدث إطاراً زمنياً ثابتاً، يوزع دائماً، ويعدل مرة بعد أخرى في نطاق المكان، فالثبات والخط الدائري في حبكة رواية الشخصية، هما اللذان يكسبان الأجزاء تناسبها ومعناها، أما في الرواية الدرامية فتسلسل الحدث وحلّه هما اللذان يصنعان ذلك». (موير ٦٢).

«إن رواية الشخصية تقدم لنا شخصيات تعيش في مجتمع، ورواية الحدث تقدم لنا أفراداً يتحركون من بداية إلى نهاية، فالرواية الدرامية عامة يكون معنى المكان فيها باهتاً وتحكيمياً» (موير ٦٢)، ولذلك نحس «بامتلاء المكان امتلاء بالغاً غير عادي في الأعمال الكبيرة من روايات الشخصية، كما نحس بازدحام الزمان في الرواية الدرامية». (موير ٨٤).

وفي كل مرة يتحدث فيها موير عن المكان في رواية الشخصية أو في رواية الحدث يؤكد أن الأمر ليس مطلقاً، وإنما هو على سبيل التغليب، وهو يؤكد ذلك فيقول: «إن القول بمكانية الحبكة لا ينكر الحركة الزمانية فيها، كما أن القول بزمانيتها لا يعني أنه ليس لها وضع في المكان، وهنا نرى مرة أخرى أن الأمر يتصل بالعنصر الغالب». (موير٦٣).

وعلى كل حال، فإن كلام موير لا ينقص ألبتة أهمية المكان في الرواية، ولا ينفي الفارق الفني الأكيد بين ما هو مكان وما هو فضاء، في أي نوع من أنواع الرواية، سواء بسواء.

إذ يمكن أن تنجح رواية الدراما في خلق الفضاء الروائي على الرغم من القول العام باعتمادها على الزمان، وتسلسل الحدث، أكثر من اعتمادها على المكان.

مستويات المكان

ومن الممكن النظر بعد ذلك إلى المكان من وجهة نظر

فكرية، لأن المكان ليس محض مكان موضوعي محايد، وإنما هو مكان روائي فني، يتم تصويره من وجهة نظر، ومن خلال زاوية رؤية، وعبر التفاعل مع الشخصيات والحوادث، وهو بذلك يحمل قيمة، أو يمثلها، أو يرمز إليها.

ففي الرواية «لا نواجه فضاءً خاصًا، وإنما أجزاء وعناصر منظورًا إليها بطريقة خاصة، فالرؤية هي التي ستمدنا بالمعرفة الموضوعية أوالذاتية التي تحملها الشخصيات عن المكان». (بحراوي ٤٢).

والإنسان كما يرى لوتمان «يخضع العلاقات الإنسانية والنظم لإحداثيات المكان، ويلجأ إلى اللغة لإضفاء إحداثيات مكانية على المنظومات الذهنية». (سيزا ٧٥).

فهو يرى المقابلات التالية بين القيم والأماكن:

عالٍ × واطئ = قيّم × رخيص.
يمين × يمار = حسن× سيئ.
قريب × بعيد =الأهل × الغرباء.
مفتوح × مغلق= مفهوم × غامض.

«إن إضفاء صفات مكانية على الأفكار المجردة يساعد على تجسيدها، وتستخدم التعبيرات الكانية بالتبادل مع المجرد مما يقربه إلى الأفهام، وينطبق هذا التجسيد المكاني على العديد من المنظومات الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية والزمانية». (سيزا ٧٥).

ويتجسد هذا في المكان الروائي من خلال التمثيل للقيمة بالمكان، والتقابل بين القيم من خلال التقابل بين الأمكنة، فالقصر العالي الواسع الكبير للغني القوي القادر على الفعل، والبيت الصغير الضيق الحقير للفقير.

وانطلاقًا من هذ التقابل والتمثيل يرى «لوتمان أنه توجد صفة موقعيّة (طوبولوجية) مهمة هي الحدّ، فالحدّ هو الذي يعهد إليه تقسيم فضاء النص إلى فضاءين غير متقاطعين، وفق مبدأ أساسي هو انعدام قابلية الاختراق». (بحراوي ٣٧).

وهذا الحدّ سيجعل هناك أماكن مباحة، وأماكن محظورة، فالقصر محظور على الفقير، وبيت الفقير مباح للغني، ومن الصعب على الفقير اختراق القصر.

ومما لا شك فيه أن هذا الحدّ الذي يقيمه لوتمان ليس حدًا مكانيًا جغرافيًا، إنما هو «حد اجتماعي اقتصادي يفصل بين فضاءين روائيين». (الفيصل ٢٧٢).

ومثل هذا التصنيف إلى فضاءين يؤكد انطلاق الفضاء من رؤية الإنسان، كما يؤكد أن الفضاء الروائي يحيل إلى البناء الفني للرواية ولا يحيل إلى الواقع.

وثمة رؤية تصنيفية أخرى قدمها غاستون باشلار في «جماليات المكان» فتحدث عن مكان أليف، وهو البيت الذي يوجد فيه الإنسان، ثم تحدث عن المكان المتناهي في الصغر، والمكان المتناهي في الكبر، وأكد أنهما «ليسا متضادين كما يظن بعضهم، ففي الحالتين يجب ألا نناقش الصغير والكبير بما هو عليه موضوعيًا، بل على أساس كونهما قطبين لإسقاط الصور» (باشلار ٣٣)، كما أكد أن الإحساس بهما يوجد في داخلنا، وليس بالضرورة بشيء في الخارج.

وصف المكان ليس غاية في ذاته، إنما هو وسيلة لخلق الفضاء الروائي، وهذا الفضاء الروائي لا يتحقق إلا من خلال حركة الشخصيات في المكان، وتفاعلها معه

ثم يلح على «أننا حين نقرأ مثلاً وصفًا لحجرة نتوقف عن القراءة لنتذكر حجرتنا، أي إن قراءة المكان في الأدب تجعلنا نعاود تذكر بيت الطفولة» (باشلار٧).

«ومن هنا يقدم اعتراضه على الفكرة الوجودية التي تقول: حين نولد نُلقى في عالم معاد، نولد منفيين، فهو يرى أننا نلقى في البداية في هناءة بيت الطفولة». (باشلار ٧).

وانطلاقًا من لوتمان أسس سيد بحراوي منهجًا لتصنيف المكان وفق ثلاثة مفهومات، وهي التقاطب: ويعني وجود قطبين متعارضين في المكان وفق «تقابلات ضدية» كالإقامة والانتقال (بحراوي ٤٠)، ومفهوم التراتب الذي يتوزع فيه الفضاء «إلى عدة طبقات أو فئات وفق مبدأ تراتبي معقد» (بحراوي ٤١). وقد درس من خلال هذا المفهوم «طبقات الفضاء المسجني بناء على أهميتها من حيث الدرجة والرتبة. (بحراوي ٤١)، والمفهوم الأخير الذي اعتمده هو الرؤية «وهي التي ستمدنا بالمعرفة الموضوعية أو الذاتية التي تحملها الشخصية عن المكان، وتحيطنا علمًا بالكيفية التي ندرك بها أبعاده وصفاته. ولهذا المفهوم فائدة كبرى عن تصنيف أنواع الرؤيات السائدة وتحليلها في

إدراك مكونات الفضاء الروائي وعرضه، وستقوم الرؤية معيارًا حاسمًا لقياس المدى الذي تطاله قدرة الروائي على تطويق أجزاء المكان وإلغاء المسافة بين عناصره، وتقديمه على نحو يلبي الحاجة إلى الائتلاف والانسجام». (بحراوي ٤٢).

وما هذه التصنيفات أو النماذج أو المفهومات إلا دليل آخر على أهمية المكان في العمل الروائي، وعلى ما يمتلك من أبعاد ودلالات.

تسمية المكان تحيل القارئ إلى المكان الذي يحمل الاسم نفسه في الواقع، حتى لو اختلفا

المكان في رواية تيار الوعي

ولا بد بعد ذلك كله من الإشارة إلى الوضع الخاص الذي يمتلكه المكان في رواية تيار الوعي، فهو لايظهر فيها بشكل وصف مستقل.

إن تيارالوعي «هو التكنيك الذي يستخدمه الروائي لتقديم المحتوى الذهني والعمليات الذهنية للشخصية عن طريق وصف المؤلف الواسع المعرفة لهذا العالم الذهني». (همفري٥٤).

وتيار الوعي مصطلح ابتدعه وليم جيمس (١٨٤٠ - ١٩١٠م) و«يشمل كل منطقة العمليات العقلية، بما فيها مستويات ما قبل الكلام على وجه الخصوص» (همفري ١٧)، و«لا يوجد تكنيك خاص لتيار الوعي، إنما يوجد بدلاً من ذلك عدة ألوان من التكنيك جد متباينة تستخدم لتقديم تيار الوعي». (همفري ٢١).

ومن تقنيات تيار الوعي المونتاج، «ويشير إلى مجموعة الوسائل التي تستخدم لتوضيح تداخل الأفكار أو تداعيها، وذلك كالتوالي السريع للصور، أو وضع صورة فوق صورة، أو إحاطة صورة مركزية بصور أخرى تنتمي إليها». (همفري ٧٢).

وقد أشار ديفيد دانشر إلى طريقتين في تقديم هذا المونتاج في القصص، الأولى: تلك التي يمكن للشخص فيها أن يظل ثابتًا في المكان على حين يتحرك وعيه في الزمان، ونتيجة ذلك هي المونتاج الزمني، أي وضع صور أو أفكار من زمن معين على صور أوأفكار من زمن آخر، والطريقة الأخرى بالطبع أن يبقى الزمن ثابتًا، ويتغير العنصر المكاني، والأمر الذي ينتج منه المونتاج المكاني». (همفري ٧٥).

الفضاء الموضوعي للكتاب

ولا بد أخيراً من الإشارة إلى الفضاء الموضوعي للكتاب، «أي فضاء الصفحة والكتاب بمجمله، والذي يعدّ المكان المادي الوحيد الموجود في الرواية، حيث يجري اللقاء بين وعي الكاتب ووعي القارئ، وفي هذا الاتجاه برزت عدة دراسات حول فضاء النص من خلال تحليل العنوان أو الغلاف، أو المقدمات وبدايات الفصول وخواتمها، والتنويعات المختلفة، وفهارس الموضوعات. ولقد عارضَ كثيرٌ من النقاد هذا الاتجاه فور ظهوره؛ لأنهم رأوا فيه ميلاً مبالغاً فيه نحو الشكلية والتجريد». (بحراوي ٢٨).

وفي الواقع، إذا كان من المفيد دراسة الفضاء الروائي من خلال تسمية الأشخاص والأماكن، ومن خلال عنوان الرواية، فإن الفائدة تبدو أقل في دراسة الغلاف وشكل الحروف ونظام الفصول.

وبعد، فتلك هي بعض الآفاق التي تفتحها دراسة المكان في الرواية، وهي آفاق خصبة غنية واسعة، وبإمكان القارئ من خلالها تحقيق متعة أكبر في التعامل مع المكان الروائي، وبإمكان الدارس الانطلاق من غير شك إلى آفاق وأبعاد أغنى وأوسع.

ولعل ذلك كله يؤكد أهمية المكان في الرواية، وما هو جدير به من عناية ودرس.

المراجع

١. بحراوي، سيد، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٠م.
٢. الفيصل، د. سمر روحي الفيصل، بناء الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥م.
٣. قاسم ، د. سيزا أحمد، بناء الرواية، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٥م.
٤. هلسا، غالب، المكان في الرواية العربية، دار ابن هانئ ، دمشق، ١٩٨٩م.
٥. باشلار، جاستون، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط ثانية ١٩٨٤م.
٦. بوتور، ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧٦م.
٧. موير، إدوين، بناء الرواية، ترجمة: إبراهيم الصيرفي، مراجعة الدكتور عبدالقادر القط، الدار المصرية، القاهرة، لاتا.
٨. همفري، روبرت، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة: د. محمود الربيعي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط ثانية، ١٩٧٥م.
٩. ويليك، رينيه، وارين، أوستن، نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي، مراجعة د. حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب، دمشق، ١٩٧٢م.

الأندلس
في أشعار مانويل ماتشادو

عبدالفتاح عوض
الرياض - السعودية

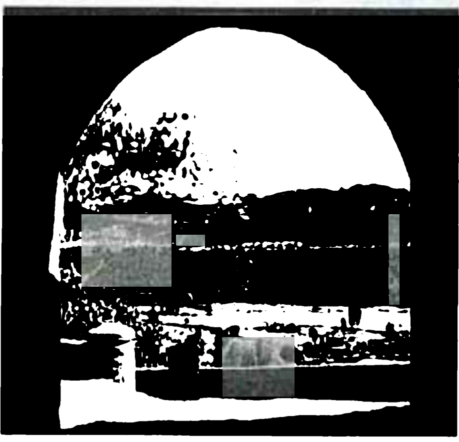
لم تكن حضارة الأندلس حضارة بسيطة التركيب، وإنما كانت تتألف من عناصر متعددة ومتباينة في أصولها البشرية والثقافية. امتزج المسلمون الفاتحون والوافدون من عرب وبربر بالسكان الأصليين الذين كانوا قبل الفتح الإسلامي من المسيحيين الذين كان بعضهم ينتمي إلى العناصر الإيبيرية، وبعضهم ينتمي إلى العناصر الكلتية التي وفدت من أوربا، فضلاً عن الجماعات اليهودية القديمة والرومان والقوط وبعض العناصر الأوربية الشمالية التي تعرف باسم النورمانيين أو الفايكنج، ثم الصقالبة، وهم سلالة أسرى الحرب الذين كان الجرمان يبيعونهم للمسلمين في إسبانيا.

دخلت الإسلام من هؤلاء السكان جماعات كبيرة ، ولكن إسلامهم لم يكن يعني القضاء تماماً على ثقافتهم الوطنية، كذلك لم تتقبله كل هذه الجماعات بدرجة واحدة، بل كان منها من رفض الإسلام كلياً، ولكن لا شك في أنها كلها، وبصرف النظر عن موقفها من الدين والعقيدة، تأثرت بالإسلام من حيث هو أسلوب للحياة. كما تأثر المسلمون بثقافات هذه الجماعات على غرار ما يحدث في أي مجتمع تحتك فيه ثقافات متغايرة ومتباينة. وهذا معناه أن الاحتكاك الثقافي بين الحضارة الوافدة والحضارات المتوطنة في الأندلس أدى إلى إيجاد تلك الحضارة الأندلسية بملامحها الخاصة المتميزة.

وقد نجم عن ذلك الاحتكاك وكذلك الاختلاط الذي اتخذ شكل الزواج والمصاهرة، أو الحوار أو المعاشرة، ظهور عناصر جديدة بعضها يقوم على أساس الدم، وبعضها يقوم على أساس التأثر الثقافي والحضاري.

ولنتخذ هذه المقدمة المختصرة مدخلاً لموضوعنا: الأندلس في أشعار مانويل ماتشادو.

ولد الشاعر الإسباني مانويل ماتشادو في إشبيلية عام ١٨٧٤م وتوفي في مدريد عام ١٩٤٧م.



ارتباط بالأندلس

تدور أشعار مانويل ماتشادو في فلكين: الأندلس وطبيعتها الغناء، ولياليها الساهرة المرحة الصاخبة العطرة، وباريس حيث رمزية شاعر فرنسا بول فرلين، ومذهب التيار الحديث تحت ريادة شاعر نيكاراجوا الأول روبن داريو. ولا يعني انتماء مانويل ماتشادو لمذهب الحداثة عدم الإحساس بالوطن الأم إسبانيا وبآلامها، كما لا يعني انتماؤه للمدرسة الرمزية رفضه لكل ما هو تاريخي وتراثي وأصيل وأندلسي.

في هذا العرض الموجز نتناول ارتباط الأندلس وتأصلها في شعر مانويل ماتشادو. لقد تمثل الأندلس وتمثلته. في مقطوعته: «أغنية للأندلس» يقول ماتشادو:

قادش، سماء صافية
غرناطة، مياه خافية باكية
قرطبة، رومانية عربية صامتة
مالقة، مغنية
المرية، ذهبية
جيان، فضية
ولبه، سفن ثلاث راسية
وإشبيلية!!

ومن ثم نجد عناصر التعبير واضحة، وإن كانت تكمن في قدرة القارئ على التقاط الجوانب المتنوعة لعالم الأندلس عامة. وإشبيلية خاصة، حيث يفضي لنا مانويل ماتشادو بهذه الشحنة العاطفية بتساؤل: «وإشبيلية!».. تلك المدينة التي ولد فيها، وظل يشرب من نبعها الصافي المتدفق طوال طفولته وفترة من شبابه إلى أن حل بمدريد التي صقلته خلال الندوات الشعرية التي كان يعقدها كبار الشعراء..

الوادي الكبير مصدر إلهام

ومن الموضوعات التي تغنى بها شعراء

إسبانيا والأندلس، بصفة عامة، ومانويل مانشادو، بصفة خاصة، «نهر الوادي الكبير» الذي كان رافداً من روافد الإبداع الشعري على مر العصور. ولنتناول بعض المقتطفات التي نسجت حول هذا النهر:

يقول إبراهيم بن سهل في قصيدة بعنوان «ضفاف الوادي الكبير»:

بين الرياض وقد غدا في مأتم
ونخاله قد ظل في أفراح
الغصن يمرح تحته والنهر في
قصف تزجيه يد الأرواح

ويقول الشاعر الإسباني خورخي مانريكي (١٤٤٠-١٤٧٩م):

ماذا عن بلنسية وبساتينها
ومرسية وشاطبة الشقيقتين
وجيّان
ماذا عن قرطبة في مجدها
حيث كانت علومها
وفنونها في إصرارها
على اجتهادها
وإشبيلية
على ضفاف واديها الكبير
تسبح الزهور

ويقول فرانسيسكو دي كبيدو (١٥٨٠-١٦٤٥م):

أيها الوادي الكبير:
تولد من فوارة نقية
مياهك البللورية
في الهواء تتناثر
على الأرض..........
تنطوي جارية

ويقول لويس دي جونجورا (١٥٦١-١٦٢٧م):

ملك الآخرين، نهر فياض
موجات بللورية صافية
إكليل غار بين أشجار الصنوبر

كما تحدث عن نهر الوادي الكبير الكاتب المسرحي لوبي دي بيجا (١٦٥٢-١٧٣٥م) في المسرحية الشعرية «نجمة إشبيلية»، والكاتب تيرسو دي مولينا (١٥٧١-١٦٤٨م) في «مخادع النساء الإشبيلي». ومن بين الشعراء الرومانسيين نجد أنخيل سافيدرا (١٧٩١-١٨٦٥م) في «دون ألبارو أو قوة القدر»، وخوسيه ثوريا (١٨١٧-١٨٩٣م) في «دون خوان تينوريو»، وشاعر الرومانسية الحسية جوستابو أدولفو بيكر (١٨٣٦-١٨٧٠م) في «خان القطط»، وشاعر الرومانسية الفرنسي فيكتور هيجو (١٨٠٢-١٨٨٥م) الذي سحره نهر الوادي الكبير عندما كان يجوب المدن الأندلسية: جيّان وبياسه وقرطبة وإشبيلية، إذ يقول:

قرطبة ومبانيها العتيقة
ومسجدها حيث يتوه النظر في معجزاته
وإشبيلية وواديها الكبير...

دم عربي

أما الشاعر الأندلسي مانويل مانشادو فقد جاءت قصائده ومقطوعاته عن نهر الوادي الكبير مصبوغة بالطابع الشعبي المتنوع دون أن تفقد جمالها. ويعد مانويل مانشادو الشاعر المرتبط بجغرافية موطنه حيث لا تبتعد روحه المرحة عن الأندلس. يقول الناقد ميجيل بيريث فيريرو في كتابه «حياة أنطونيو ومانويل مانشادو»: «مانويل مانشادو هو ذلك النموذج الإسباني صاحب الدم العربي، الذي يملك من الشفافية والحس قدرة الارتماء في أحضان الجمال الأندلسي. إن تكوينه وفلسفة التذوق لديه يمثلان التيار الذي يطل منه دائماً بريق الأندلس. إنه لا يحتاج إلى حديث مهم أو مشهد مفاجئ يخطف البصر، وإنما يكفيه أنه ينظم شعراً متواضعاً سلساً وجميلاً. ومن هنا تكمن أندلسيته».

لقد استطاع مانويل مانشادو أن يجسد الحس الأندلسي في قصائده الشعبية، حيث يؤكد على حد تعبيره: «هناك كلمات تكتب وأخرى تُغنى. كلمات تخرج من القلم للكتاب، وأخرى تخرج من القلب للشفاه». لقد أراد مانويل مانشادو ألا يفقد هذا الكنز وهذا التراث الشعبي فكان يقول:

خمرٌ وأحاسيسٌ وقيثارة وشعر
هي صانعة أغاني أرضي..
أغانٍ...
من يقل أغانٍ فكأنه يقول الأندلس.

والحقيقة أن مانويل مانشادو كان يعرف جوهر أرضه التي نبت فيها وطبيعتها. واقع متنوع نبت في أرض تسبح فيها مياه نهر الوادي الكبير.. فعندما يتأمل جريان النهر تتبدد آلامه وأحزانه:

على شاطئ النهر
متأمل شارد...
آلامي مثال المياه
التي لم تتبدد...

وفي «أمسية إشبيلية»:

تنهد من الحب
النهر في مجراه العميق
القمر من وراء القضبان
جاء في حذر
إشبيلية والليل
يتبادلان القبلات

وفي مقطوعة «خوليو»:

ليلة سانتا آنا
تملأ النهر بالموسيقى

وفي مقطوعة «مناظر إشبيلية»:

أنت من إشبيلية
وأنا من طريانة
حبيبتي
عبر النهر
يغني حبنا

ومن جهة أخرى، فقد تعرض مانويل مانشادو في شعره لواحد من أهم الأحداث التاريخية التي تعرضت لها الأندلس، وهو ضياع «الحامة» آخر معاقل غرناطة والوجود الإسلامي بإسبانيا. كتب مانويل مانشادو هذه القصة عندما كان يبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً، وأوردها في ديوانه «أحزان وأفراح». والحقيقة أن شخصية دون رودريجو دي لارا المذكورة في القصيدة، منمثلة في القائد المسيحي رودريجو بونثي دي ليون الذي استرد هذا الحصن العربي.

وقد استطاع مانويل مانشادو أن يلتقط هذا الحدث التاريخي، على الرغم من بعد الفترة الزمنية، لينسج قصيدته، وليعكس لنا تصوراً لشعر الحدود والحرب بين المسلمين والمسيحيين، والإفراج عن الأسرى مقابل تقديم الفدية. والقصيدة، وإن كانت تعكس سقوط الحامة وضياع الأندلس، إلا أنها تؤكد هذه الخصائص التي تميزت بها شخصية العربي الذي قد يفرّط في الأرض، ولا يفرّط في العرض. والقصيدة تحمل عنوان «الفدية»:

كانت معركة حامية
نامت بعدها القوات متعبة
ولم يبق هناك أحدٌ ساهراً
سوى الجنود حرّاس الأسوار

وثريا، تلك العربية الفاتنة
حبيبة ذلك العربي علي،
أسيرة، وقعت أسيرة
في أيدي القائد رودريجو دي لارا

كان كل شيء ساكنا
حين بدت تلك العربية
محتجبة في عباءتها
مقتربة من معسكر القوات

كانت ترتعد برداً وخوفا
من أن يكتشف الحراس أمرها
كان الموت سبيلها
قبل أن تقع أسيرة القائد المسيحي

كانت سوداء الشعر
كانت قمحية اللون
وعيناها الواسعتان المشقوقتان
كانتا بالدمع تمتلئان

عبر معسكر القوات كانت تتهادى
وصمتها يفوق سكون الموقع
لا يكاد يشعر بخطاها
سوى العشب حيث تطأ قدماها

لم يغمض لدون رودريجو طرف
وهو في خيمته في المعسكر
ولما لمح الفتاة في طريقها
حثَّ الخطا وراءها

وما إن اقتربا من مكان
قريب من سور المعسكر
حيث همّت هي بالخروج
حتى دهمتها يد بيضاء

امتلأت الفتاة خوفا
ولم تنطق حرفا
وطأطأت برأسها
وجاش بالبكاء صدرها

«عربية أنت، عربية فاتنة
إنك للجميل لناكرة
على صحبتي تفضلين
الليل والخلاء
فلماذا الهروب من خيمتي
وأنتِ في الظلام محتجبة؟
أنت يا من وقعت أسيرتي
أسيرك أنا، هل تقبلينني؟
ملكة ستكونين في أرضي
ملكة أنتِ في روحي
فلماذا الهروب من خيمتي
وأنتِ في الظلام محتجبة؟

وتوقف عن الحديث رودريجو القائد
بينما العربية تذرف الدمع
وما إن مرت لحظة
حتى أخذت في الحديث تتودد:
أيها المسيحي إذا كنت حقًا نبيلاً
كما تبدو في كلماتك القليلة
دع العربيةَ بما لَهَا
تعود إلى وطنها
فالسيدات في بلاطكم
شريفات سيداتكم
دعني سيدي أعود
مع ما لي إلى غرناطة
وإذا لم يرق لك ما قلته
فخذني إذن لك عبدة
وانتظر منهم لي فدية
وأنا أعلم من سيأتي بها
وجاء عربي شجاع إلى المكان
حيث كانا يتحدثان
وما إن رأته الجميلة العربية
حتى كانت بين أحضانه مرتمية

ونفخ في النفير
الحرس الواقف عند السور
وتقدم الجميع
لمساعدة القائد رودريجو دي لارا:
«ليمت الخائن الغدّار
الذي انتهك حرمة الأسوار
وأحاط به جميعهم
شاهرين سلاحهم وفؤوسهم
وصاح دون رودريجو القائد: اهدؤوا
لا تخرجوا السيوف من أغمادها
فالموت عقابي
لمن يلوح بسيفه في وجودي
والتفت نحو الفتى العربي
بصوت هادئ ونبيل
يخفي وراءه غضبه
ليلقي هذه الكلمات:
في معركة جد حامية
قد فزت بفتاتك أسيرة
وحريتها مني لك هدية
فخذ سيدتك أيها العربي

وفتح الطريق بين قواته
وهو يتجه إلى خيمته
حيث كان الأفق
ينبئ عن بزوغ المشرق

إلى أين يذهب دون رودريجو القائد
دون ترس ودون درع
نازعًا اللجام عن فرسه
واضعًا السيف في غمده؟
إلى أين يذهب وقد ترك وراءه
كل من بأمره يأتمر؟
وبين المسلمين أخذ موقعه
وفي يده راية قشتالة
سوداء، كانت ليلة سوداء
يوم قام مسلمو الزهراء
حول أسوارهم للحماية
ضد القوات المسيحية

وكانت المعركة سجالا
سقط فيها الشهداء إجلالا
وما زلنا نرى الهلالا
خفاقًا على الشرفات العالية

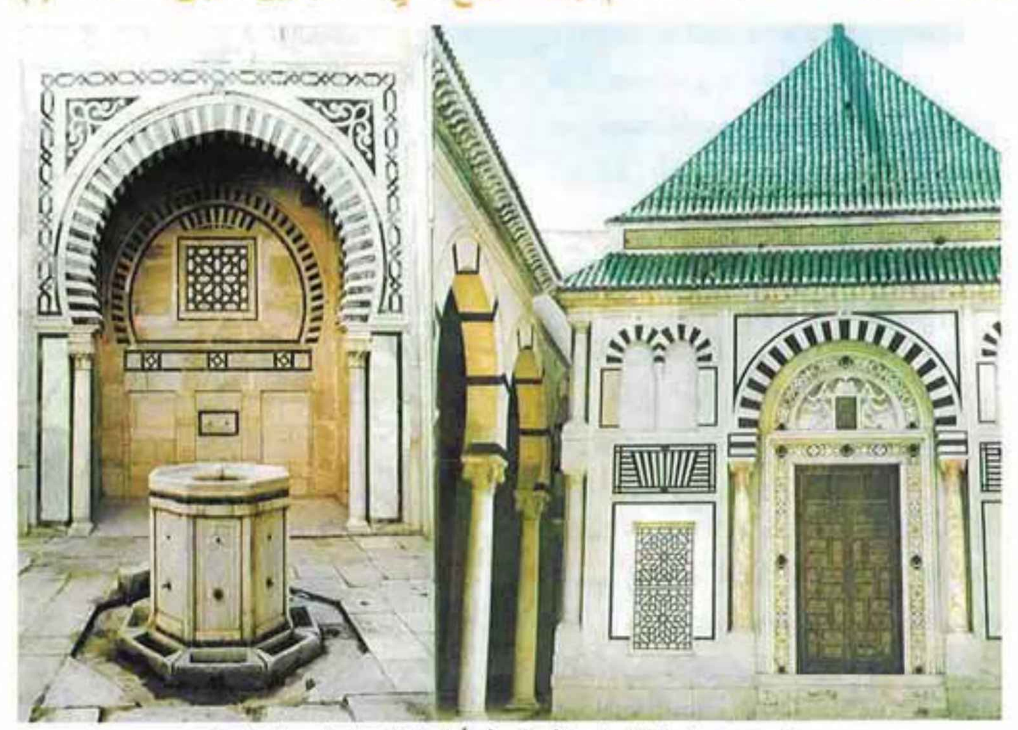
ولايخفى علينا مدى إعجاب الشاعر مانويل مانشادو بالحضارة العربية الأندلسية وتمسكه بها، واعتزازه الشديد بمولده على تراب إشبيلية العربية المسلمة، وأنه الشاعر الذي جاء من تفاعل الجنس العربي الإسباني، وقوله: إن العربيات المسلمات كن مثل نساء عصره الأندلسيات حيث يحدد ملامح الجمال العربي الأندلسي:

كانت سوداء الشعر
كانت قمحية اللون
وعيناها الواسعتان المشقوقتان
كانتا بالدمع تمتلئان

الكتابة الخطية في مراقد عاصمة إيالة تونس

محمد الصادق عبداللطيف
قليبية - تونس

كان الاحتلال الإسباني لتونس حدثًا مهمًا في تاريخها؛ لأنه فتح الباب للتدخل الأجنبي في شؤون البلاد منذ بداية العصر الحديث إلى القرن العشرين، كما ضاعف ذلك الاحتلال من تعقيد الأوضاع، وأدخلت تونس في دوامة النزاع التركي الإسباني في البحر المتوسط، ويمثل التدخل العثماني في البلاد التونسية سنة ٩٨١هـ /١٥٧٤م نهاية النزاع الذي استمر بين القوى المتنافسة(١).



ضريح حمودة باشا المرادي الذي شيد في أواسط القرن السابع عشر الميلادي

لقد شعرت السلطة العثمانية أنها أصبحت في هذه المرحلة من النزاع أكثر قوة مما كانت عليه؛ لأن البلاد أصبحت مطوقة في هذا الوقت من الجنوب والغرب بحكّام يعملون باسمها في طرابلس والجزائر، والذي شجع الأتراك على التدخل انهيار الحكم المتواصل للسلاطين الحفصيين، وكذلك هزيمة معركة ليبانت عام ١٥٧١م(٢) وتدخل فيليب الثاني في تونس عام ١٥٧٣م الذي أضر بسمعة العثمانيين، وكان من الواجب أن يقوموا برد فعل سريع للمحافظة على رصيدهم الأدبي، وتخليص البلاد التونسية

بصفة لا رجوع فيها لفائدة الخلافة العثمانية.

بعد المعارك الكبرى المتوالية بين الإسبان والأتراك التي أسفرت عن انتصار الجيش العثماني، ألحق سنان باشا كامل البلاد التونسية بالإمبراطورية العثمانية وأصبح القطر التونسي جزءاً لا يتجزأ من دولة آل عثمان، وصارت تونس ولاية عثمانية خاضعة أوّل الأمر للحكم العثماني بالأستانة ثم استقلت شيئاً ما في عهد الدايات.

الآثار العثمانية بعاصمة الإيالة تونس

سعى العثمانيون بعد استقرارهم في تونس إلى إقامة نماذج من الجوامع تحاكي ما عندهم في بلادهم من حيث طراز الشكل، ونماذج المآذن، والزخرفة الخطية في ترباتهم*، ولعله من المفيد التعرّض لتلك الآثار التي لا تزال شاهداً حيّاً يثبّت الخلفية التاريخية لتلك الحقبة في تاريخ الإيالة، ومن الآثار العثمانية بعاصمة إيالة تونس إلى اليوم:

- جامع يوسف داي ١٦١٠ - ١٦٣٧م:

هو أول جامع حنفي تركي في تونس وسط أسواق العاصمة، خاصية هذا الجامع المعلم:

- أنه يصعد إليه بمدرج من الشارع أو السوق، فبيت الصلاة والصحن مرتفعان.

- أن الصحن يحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات، يرتكز على أعمدة حفصية (ذات تيجان من النوع الحفصي).

- أن المئذنة هي برج مثمّن قائم على قاعدة مربعة، وهذا النوع من المنارات هو المعروف بالنوع الحنفي، وبه تمتاز جميع المساجد التي بنيت في العهد التركي.

- وجود ضريح مؤسس الجامع في مكان من الصحن وهكذا نشاهد (ضريح يوسف داي وأسرته) بجانب المئذنة في تربة خاصة مزينة بزخارف رخامية بيضاء وسوداء، وكتابة خطية في غاية الإتقان(٣).

- جامع حمودة باشا ١٦٣١ - ١٦٥٩م:

يعود بناء هذا الجامع إلى أواسط القرن الحادي عشر الهجري بناه حمودة باشا المرادي، كان فيه اللقاء والتكامل بين أنواع الفنون المعمارية التونسية الأصلية والأندلسية الدقيقة والتركية الغنية ذات الصنعة البارعة، فظهرت فيه الملاءمة بينهما خاصة في صومعته المثمنة، وفي التربة التي بنيت في الصحن، وبها دفن باني الجامع وأسرته، حيث ظهرت فيها دقة صناعة المرمر، وتزاوج ألوانه في أشكال هندسية رائعة تعبر عن دقة الصنع، ورقة التعبير الفني(٤).

الشواهد القبرية على هذا العهد

تكمن القيمة التاريخية للشاهد القبري في:

- المكان الذي وجد فيه (بصحن جامع - تربة خاصة - تربة عائلية مشهورة).

- النقائش الموجودة بالشاهد من حيث محتوى النقيشة واحتواؤها على معلومات تمدّ الباحث بأخبار حضارية وسياسية وعائلية في ترتيب اجتماعي للعناصر البشرية، وعقيدتهم الدينية، ومنزلتهم وولائهم ودورهم في الحياة، ثم الخطوط وقيمتها الجمالية وصحتها وتألقها، ولذلك تعدّ الكتابة في المراقد جزءاً مهماً في العمارة ذات الطابع الديني.

- القبريات تميزت بأناقتها وإحاطتها بالرخام المنقوش، تعلوها مشاهد تقع تحت قبة خاصة خارج الجامع.

إن شواهد القبور في تربة يوسف داي أو حمودة باشا على شكل عمود من المرمر الأبيض الناصع



تربة الباي هي أوسع الأضرحة التي بناها البايات الحسينيون

تعلوها عمامة مكورة مزخرفة مضفورة على هيئة عمامة حكام السلطة العثمانية بالباب العالي، نحتت الكتابة على المرمر، ومُلئت الخطوط بالرصاص المذاب في تلك الأحرف المحفورة. ولا تزال تلك الخطوط إلى اليوم في أماكنها، وقد حُرمنا - مع الأسف - من معرفة اسم الخطاط الذي كتب خطوط القبرية حتى نعرف أصوله وصلاته بالبلد، أهو قادم بخطه مع القوة التركية الحاكمة؟ ولكن افتراضاً آخر لعله الأقرب وهو إرسال الشاهد القبري إلى مقر الخلافة، وهناك يتولى الخطاطون الأتراك الكتابة والنقش، وأيضاً في المقاربة بين فنيات الخط والكتابة والإخراج هي نفسها في كلتا التربتين على تباعد زمن الوفاة؛ ولأن تونس في تلك الفترة لم تتخلص بعد من خطها المحلي.

يمكن حصر مقومات الشاهد القبري فيما يلي:

- تقديم الميت بشعر للرثاء ينزّل الرجل في موقعه التاريخي والسياسي والعلمي، ثم يختم بتاريخ الوفاة.
- كتابة نثرية خطية تختم بالدعاء للميت بالقبول والرضا.
- تفتح بالبسملة والتعريج على منزلة الميت والدعاء له بالرحمة، ثم تاريخ الوفاة.
- التصدير بآية من القرآن الكريم.

الشواهد والنقائش الخطية عليها

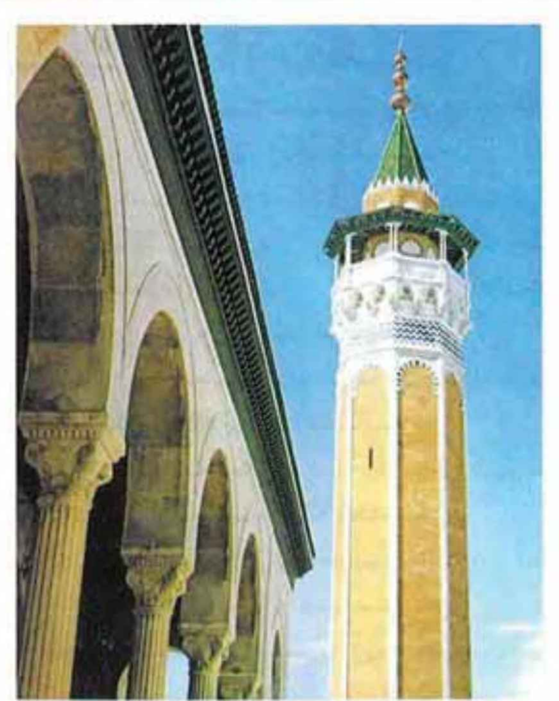
كلها في شكل عمود قائم مثمن ارتفاعها ٦٥سم وعرضها ٨سم ويمكن حصر الكتابة عليها كما يلي:

- شريط نصف دائري.
- نص خطي مكتوب بين ٧ أو ٨ أو ٩ أسطر بالخط الثلثي الغائر.

تربة يوسف داي

- بالتربة ١٢ قبراً منهم ٣ أطفال.
- نوع المشهد مثمن. بالمشهد ٨ أسطر بخط الثلث.
- تحمل التربة بالواجهة وبالجانبين كتابة خطية بالثلث آية في التألق، حوتْ نصوصاً شعرية كتبت بالثلث الغائر. نقرأ بواجهة التربة النص التالي:

هذا ضريح مفرد جامع
جمع المحاسن مثله لا يوجد



مئذنة جامع حمودة باشا ١٦٥٥م

فيه ثوى بحر المكارم يوسف
أنشا محاسنه السنية أحمد
كل العقول لقد قضت بكماله
كالبدر حفّ بها لتيه الفرقد
فابسط أكفك بالدعاء لربه
إن قمت في الأسحار يا متهجد
يا حسنه من مشهد وافى على
وفق المراد فأرِّخوه مشهد
كتبت ١٠٥٩هـ

وبالجانب الأيمن نقرأ ما يلي:

يا رب عبدك يوسف وافاكا
في وفد توحيد يريدُ قِراكا
فاجعل ضيافته النعيم وهبْ له
من بعد إدخال الجنان رضاكا
إن الكريم إذا أتته ضيوفه
أبدى لهم وجه الرضا ضحّاكا
ولأنت أكرم من أناخ ببابه
وفد العصاة وودّهم رحماكا

فبخاتم الرسل الكرام وآله
حقق رجا مستمطرٍ جدواكا
حاشى يردُّ يد المؤمّلِ عفوكم
صفراً وليس له رحيم سواكا

وبالجانب الأيسر عند مغرب الشمس نجد البسملة، وكتابة بالثلث كما يلي:

مولاي يارب الكتاب المُنزَلِ
رحماك أمطرها بهذا المنزلِ
هذا عُبيدك يوسف متوسلٌ
متشفع بجناب أشرف مرسلِ
هبه الضيافة جنّة الخلد التي
أعددتها للمتقين الكمّلِ
وافتح له باب الرضا واحشره مع
رضوان حزب في الرعيل الأولِ
إن النزيل إذا أناخ بباب من
يُدعى الكريم حباه كلُّ مؤمل

إن اللوحة الخطية الشعرية امتازت بوجود زخارف نباتية في العجز والصدر على شكل (سعفة) مورقة أو زهرة مفتحة الأكمام، أضافها الخطاط إلى النقيشة؛ ليزيدها جمالا، وقد انفردت هذه النقيشة الثالثة بذلك دون غيرها.

شواهد القبور

نقرأ بأحد الشواهد ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد. كلُّ *نفس ذائقةُ الموت وإنما تُوفَّون أجوركم يوم القيامة*. الأنعام:١٨٥.

هذا ضريح المرحوم المنعم برحمة العالمين الأكرم الحاج محمد بن المرحوم مراد بن المرحوم أحمد من أحفاد المرحوم المعظم يوسف داي إلى عفو الله وسعة رحمته.

ضحوة يوم الخميس لأربعة من جمادى الأولى ١٢٦٦هـ بالمشهد ٨ أسطر.

تربة حمودة باشا (أو محمد المرادي):

لا تحمل الواجهة الرئيسة للتربة أية كتابة إلا عند الشارع الرئيس فوق نافذة التربة (المقبرة) حيث نجد

جامع يوسف داي

نصاً شعرياً بخط الثلث فيه الخامات نفسها.

إن هذا الجامع يُعطي بمثاله المعماري، وبروعة زخارفه ونمنماته صورة عن الاستقرار السياسي، والرخاء الاقتصادي الذي عرفته إيالة تونس خلال النصف الأول من القرن السابع عشر عام ١٦٥٥م، ويتميز الضريح بثراء زخارفه، وروعة الأنموذج المعماري. ونقرأ فيه هذا النص الشعري:

وقبةٍ من بديع الحسن منظرها
يسبي العقول فلا يُلقى لها مثل
أوصى بتأسيسها الباشا الأمير
محمدُ بنُ مرادٍ إذ دنا الأجلُ
فلم يقم بعدَه بالعهد منتدب
حتى تصدّى لذاك الماجد البطل
محمد بن مراد باي تونس من
بمجده وعلاه يُضربُ المثلُ
فشاد بنيانها بالفوز مبتدراً
لم يثنه عنه تقصير ولا فشلُ

وأصلُ ذلك ممّا كـان عـينَهْ
لصرفِـه جـدُّهْ، كي يحصل الأملْ
في عـام سـبع وتسعين مكمّلة
من بعـد ألف تقضّى ذلك العملْ

هذه النقيشة المرمرية خطها ثلثي واضح مشابه لما كتب عند مدخل تربة يوسف داي.

التربة

بها تسعة شواهد قبور على هيئة عمود مضلع، كتابتها بالثلث منزّلة بالرصاص، بالمشهد سبعة أسطر، يوجد بالشاهد القبري نصّ شعريّ لأحدهم، وبالبقية تعاريف بالميت، والدعاء له، والترحم عليه مثلا.

- البدء بالبسملة والصلاة على رسول الله.
- التعريف بالميت ومنزلته وتسلسل نسبه.
- تاريخ الوفاة.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. هذا ضريح الأمير الهمام المعظّم المكرّم لدى الأنام أبي عبدالله محمد باي ابن المرحوم بكرم الله تعالى مراد باي ابن المرحوم محمد باشا ابن المرحوم مراد باي توفي إلى رحمة الله تعالى ليلة الإثنين ١٩ ربيع الأول عام ثمانية ومائة وألف ١١٠٨هـ.

دراسة الكتابة الخطية في المراقد

تميزت الكتابة الخطية في تربات إيالة تونس العثمانية بانتشار الخط الثلثي الجيد دون غيره.

لقد اتسمت الكتابة بدقة رسم حروفها، وجودة كتابتها ممّا أضفى على هذا الخط طابع القوة والجمال والتألق في الأجزاء العليا والسفلى للكتابة، وأن دقة رسم الحروف، والتمكن من القاعدة الخطية، مكّنا الخطاط والنقاش من إطلاق الموهبة الفنية لإعطاء الكتابة مسحة من الجمال تليق بالميت، وبفن الخط بصفة خاصة.

لقد برز اهتمام الخطاط العثماني في تونس بتغطيته حقل المساحة الكتابية (الرخامة، الشاهد)؛ وذلك بإيجاد تناسق بين الحروف وفضاءاتها وصعودها ونزولها، وإذا قرأنا ما يفعله النحّات الذي يتدخل في العملية الجمالية للشاهد القبري لملء مساحات أكثر، جاءت الكتابة آية في الجمال خاصة من الناحية التأثيرية التركيبية في استعمال الخطوط المنزلة بالرصاص المذاب في الكتابات المحفورة على الشاهد القبري(٥).

لقد استعمل الخطاط (الثلث الجلي) الذي يتجلى كأنه شرارة تخطف الأبصار بالابتكارات التي أشاعها الخطاط العثماني، أدخلت على الحروف أوضاعًا جديدة، وبلغت أنماطًا في غاية الكمال، وقد حرّر الحروف من جمودها النمطي، في عملية التركيب والترتيب والتجميع، وهي (التكوين المنسجم) الذي يضفيه على هيئة الحروف والكلمات والأسطر معًا، كلما نشر حول الخط نسمة من الجمال والكمال.



امتازت الكتابة الخطية بالرواء والإشراق والطلاوة

إن الكتابة في الشواهد القبرية تحتاج إلى قدرة وموهبة وإحساس فني رفيع، وأيّ خلل في التوزيع، توزيع الكتلة الخطية في هذا الشاهد القبري، يكون نشازًا يفسد النغمة الموسيقية(٦).

ما يلاحظ من حروف خط الثلث (الرصانة والاسترسال والتنوع في تخانة الحروف) بحيث تنتهي بجزء رفيع (تحريف) مثلا: نلاحظ أن حرف الدال والراء والسين والعين والقاف والنون في خط الثلث تكتب بنسب أكبر وأطول منها في النسخ، وبشكل مقوّس مائل في استرسال جميل بحيث يتعدى طرف هذه الحروف مستوى السطر ثم تنتهي باستدارة لتعود إليه (بتحريف) يتسم بالرشاقة والجمال.

إن رسم حروف خط الثلث أكثر سمكًا وقابلية للتركيب كما تبدأ طوالع حروفه بنسبة ينثني طرفها إلى الأسفل مثل حروف اللام والألف والراء والزاي المفردة وطوالع الطاء والظاء.

وعلى الرغم من خضوع الخطاط ومراعاته الدقيقة لمعايير كتابة الثلث ومقاييسها غير أنه حاول أن يظهر مزيدًا من البراعة والتمكن في فن كتابة الخط بأن يجمع بين قواعد النسخ أو الثلث ونسبهما، وزخرفة قوائم الحروف.

الثلث هو أروع الخطوط منظرًا وجمالاً، وأصعبها كتابة وإتقانًا، يمتاز بكثرة المرونة، واتساع الكاسات، تكثر أشكال معظم الحروف، ولذلك يمكن كتابة جملة واحدة عدّة مرات بأشكال مختلفة.

تبدو الكتابة كأنها سبيكة واحدة يملؤها التشكيل، والتشكيل يدخل فيه عمليات كثيرة، وطمس الحروف



واجهة تربة يوسف داي

ليس من قاعدة هذا النوع، وإن طمس بعض أشكال الميم فيكون ذلك للتجميل. واتصال الحروف بعضها ببعض فيه شيء من القوة يتناسب مع عظمة هذا النوع ومرونته، ويمكن كتابة هذا النوع بطريقة التركيب الخفيف، وبالطريقة المرسلة، وبطريقة التركيب الثقيل أو إدخال الكتابة في أشكال هندسية وتكوينات زخرفية.

ولإقامة علاقة مقارنة تنظيرية بين خط الثلث هذا الوافد الجديد وخط أهل تونس (المغربي) نطرح ما يلي:

أمثلة على كيفية رسم الحروف بالكتابة المغربية

- الفاء: منقوطة بواحدة من أسفل والقاف بواحدة من أعلى.
- الكاف: مشالة أو مكتوبة كذنب عقرب في حالة تأهب، وهناك كاف مدغمة.
- الميم: تتعرفها بممارسة القراءة والتفرّس.
- النون: مستطيلة.

الحروف الـ: ط. ظ. قلما تأتي مستقيمة، وتتخذ لها في غالب الأحيان شكلاً منحنيًا تحمل من طرفها الأعلى شيئًا كالنقطة الغليظة.

- ص. ض. ط. ظ: لها أشكال تميزها من قفلات النسخ التي تبدو صادرة عن مثلث قائم الزاوية.
- س. ش. ص. ض. ل. م. ن: تتخذ امتدادًا مبالغًا فيه، وقلما توضع النقط على الحروف النهائية في: ف. ق. ي.
- س. ص: شكلها ممتد.

الراء: تشغل حيزًا يعادل ربع الدائرة.

الباء: تكون بطول القطر الأفقي للدائرة.

يلجأ الخطاط إلى كتابة بعض الحروف مثل اللام والنون والياء النهائية بهيئة أقواس نصف دائرية تهبط على مستوى السطر، وتتكرر على امتداده، كما يمزج الخطاط بين هذه الاستدارات والحروف الأخرى ذات الشكل الجاف ذي الزوايا، حروفه غليظة، وحواشيه مدعوكة لينة عوض أن تكون حادة وجليّة، والصواعد الألف اللام. الطاء. الظاء(٧).

استجلاء الخصائص الخطية في المراقد العثمانية بتونس العاصمة

لقد حظي خط الثلث ولا سيما الجلي منه، باهتمام الخطاط والنقاش الذي عُرف بنضجه الفني على أيدي الأتراك وفنانيهم ومن جاء منهم إلى تونس مع الحملة، وممن أُخذ عنهم بولايتهم الجديدة، وقد امتازت الكتابة الخطية الباقية في مقابر تونس العاصمة على الخصوص بالرواء والإشراق والطلاوة.

فخط الثلث المكتوب به في هذه المقابر هو مكتوب بأسلوب الكتابة الخطيّة الموجودة في القرنين ١١

و١٢هـ؛ ومن مميزات هذا الخط في ذلك العصر طريقة (الإرسال) وهي أن يرفع كل مقطع كتابي المقطع الذي يليه، فإذا دخل في مساحة محددة الطول، كما في الشعر، اختلفت الأسطر بين (الإرسال والتركيب) بسبب عدد الكلمات في هذه المساحة - أي الطول - وكثرة حروف المقاطع، مما يضطر الخطاط إلى كتابة بعض الحروف في الدور الثاني من الكتابة، كما في شواهد القبور.

أما الخصائص الجمالية لهذا الخط فهو يعدّ أقوى أنواع الخطوط في مجال الفن الخطي، ويمتاز بتنوع الأداء الكتابي للحروف، وبعض الحروف له أكثر من شكل في كتابته، وعند الكتابة يقوم الخطاط باختيار الشكل المناسب في مرونته، والذي يستحسن أن يوضع ليتناسب مع مرونة حروف أخرى تكمّل حركته الغنيّة بالطواعية، حتى يحقق نغمًا عامًا في التكوين العام للكلمات داخل السطر الواحد، وهذا السطر هو جزء من أسطر أخرى يساعد على إكمال النص العام لهذه السبيكة الخطية، فيتحقق الإحساس بالجمال والشعور بالبراعة في الأداء الكلي للكتابة(٨).

إن حسن الكتابة للحروف يجعل ميزانها واحدًا في كل القطعة الخطية، فلا يوجد حرف أصغر أو أكبر أو أوسع أو أضيق من زميل له في الكتابة نفسها، وهذا الأمر يشعر المشاهد بفنية الأداء وسلامة السبك من الخلل وهو ما تلتقطه العين ويحسّ به الوجدان، ولو لم يكن المشاهد خبيرًا بالخط العربي.

إن التشكيل لهذه الكتابة يعطيها حسنًا على حسنها، ومن عجيب الأمر أن يمتاز هذا التشكيل بنوعين (التشكيل الإعرابي والتشكيل التجميلي)(٩)، ويكتبان بثلاثة أنواع من سمك القلم؟ وهذا التشكيل في يد الخطاط مثل أدوات الزينة التي تستعملها الفتاة لتظهر في أبهى صورة، حتى إنك تجد أن الفراغات الموجودة بين الحروف تكاد تكون واحدة.

لا شك أن خطاطًا عربيًا أو تركيًا - قام بهذه الكتابة - استقدم ليكتبها، ثم حفرت في تونس، وربما كتبت وحفرت في مصر أو بتركيا، ثم علقت في مكانها،



أبيات شعر على الجانب الأيمن من قبر يوسف داي

والسبب في ذلك يرجع إلى ضعف تجويد الكتابة الثلثية في تونس في ذلك الوقت الذي لم تكن فيه على هذا القدر من الفنية، وأنها كانت بهذه الجودة في تركيا وفي مصر في وقت واحد (كان في مصر من بداية القرن ٩ الزفتاوي وابن الصائغ والطيبي وغيرهم من أئمّة الخط العربي).

فالكتابة بها حركات في التشكيل ومدّات فوق الكتابة لا يكتبها إلا الأتراك والمصريون، وهذه الكتابة تشبه كتابة محمود جلال الدين التركي لامتيازه بالإرسال بهذه الصورة، ولكنه توفي في القرن ١٣هـ سنة ١٢٤٥هـ، فلا يمكن أن تكون كتابته، مع التشابه في أسلوب الكتابة.

ومن عادة أهل تونس الالتجاء إلى الأتراك في مجال الخط العربي، وهذا يكفي للتدليل على أن الكتابة كتبها أحد الأتراك وبخطه، ولو كانت أرسلت إلى مصر لكتابتها وحفرها فيكون قد كتبها أحد الأتراك المقيمين في مصر في ذلك العهد وهو تقريبًا (إسماعيل ترك توفي ١٠٨٥هـ القرن ١١هـ).

فخط الكتابة - على العموم - يأخذ درجة ٦٠٪ من الجودة الآن، وفي زمنه ٩٠٪، وقد تطورت طريقة الكتابة وجماليتها عمّا كانت عليه، ودرجة الإتقان فيه عالية، ولكونه كبيرًا - أي جليًا - فإن ذلك قد أثّر في مستوى (الأداء)، كما أن حاجة الخطاط إلى السيطرة على

النصوص في المساحات المحددة اضطرته إلى رصّ التراكيب، والتصرف في قواعد بعض الأحرف، وعدم السيطرة على ضبط أشكالها(١٠).

الثلث خط قديم جاء اسمه من الخط الموزون من تقنيين (قلم الخط) وهذا الثلث المجوّد دخلت عليه بعض التحسينات في الموازين.. ودخول بعض أساليب رسم الحروف وأشكالها من المحقق وهي التي بدأت محدودة، ثم صارت جزءاً من خط الثلث، والتي نشاهد لها في هذا المثال دخول حرف الواو المحقق، وأقل منه الراء المرسلة، وإدغام الميم مع الواو (المؤمل) ومعروف أن خط المحقق كان خطاً قائماً بذاته، له خصائصه وتاريخه، لكنه دخل في خط الثلث، ولم يبق منه إلاّ بسملته المعروفة(١١). ويتضح من دراسة الكتابة القبرية بإيالة تونس العثمانية:

- جمالية الحروف واستقرارها.
- اتّسام الكتابة في هذه الفترة بالطابع الجمالي القويّ مع تجديد في التوزيع.
- الإكثار من المد في جميع الكلمات، وهي ظاهرة لم تكن معروفة، وكثرت في الفترة العثمانية علي وجه الخصوص.
- تأثير الكتابة في تونس بالكتابة التركية في ميل قامات الحروف.
- وفي استقامة السطور، وتساوي المسافات بينها، وهي سمة مميزة اختصت بها الكتابة التركية.
- حروف الكتابة معتنى بها وموجودة مع ابتكارات متعددة في رسم بعض الحروف مع رشاقة وخط رفيع(١٢).

لقد تجلت هذه القدرة فيما تركه الخطاط العثماني بتونس من خطوط، وخاصة في مدّ الحروف أو إجراء الاستمداد فيها حسب المصطلحات الخطية الأساسية كـ:

- التسطير، بمعنى إضافة الكلمة إلى الكلمة حتى تصيرا سطراً منتظم الوضع كالمسطرة.
- والتوفية، بمعنى إعطاء كل حرف حقه من المساحة.
- الإشباع، وهو أن يعطى كل خط حظه من صدر القلم، فلا يكون بعض أجزائه أدق من بعض ولا أغلظ إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف، كطرف الألف من أسفل، وطرف الراء في نهايتها.
- الإرسال، وهو أن يرسل الخطاط المجود يده بالقلم من غير احتباس يضرس الخط ،أو توقف يرعشه.
- التنصيل، وهو حسن اختيار مواقع المدّات بين الحروف.



شاهد قبر في تربة حمودة باشا المرادي

التأثير التركي في الثقافة الخطية بتونس العثمانية

للأتراك فضل في ازدهار الخط العربي وتطوره، منحوه عمقاً وبهاء، وجعلوه فنّاً متميزاً ينبع من أصول الحضارة الإسلامية، وتعد خطوط المدرسة التركية من أجود الخطوط الإسلامية والعربية لما احتوته من قيم جمالية وإبداعية، في ضبط قواعد كتابة الأحرف والزخرفة، ولأنها أخذت عن المدرسة المصرية قلم الثلث، فبنت عليه، وأبدعت فيه، فأصبح للخط مذاق خاص، هو خلاصة الرحيق العاطر الشذي الذي يضيف إلى تراث الإسلام الغنيّ (الإعجاز) العبقري الذي صنعه القلم، وقد تناولته يد

الإنسان المبدعة لتعطيه تقاسيم وأنغاماً.. لقد ضبط الأتراك رسوم الخط وطوّروا الخطوط التقليدية (الكلاسيكية) وأبرزوا صوراً منه في كتاباتهم وخطوطهم، فكثرت الكتابات الجيدة التي حملت وما تزال نفحة دينية لهذا الفن. لقد بذل الخطاطون الأتراك جهوداً فنية في الخط، وأينما حلّوا كان الخط وسيلتهم للثقافة المشتركة معاً لفت النظر إلى هذا الوافد الجميل بوصفه إسلامياً وعربياً ساهمت الشعوب في شموخ صرحه، فعمّ أماكن التواجد التركي كافة باقتدار وشمولية.

إن إيالة تونس العثمانية مسّها هذا التفاعل في الخط بما وجدته في خطوط الأتراك من جمالية جديدة على الرغم من صعوبة التفاهم الثقافي، والحاجة إلى مترجم يقف واسطة بين الباث والمتلقي لهذه الثقافة الجديدة، وهي التي كانت تكتب بالخط المغربي المتولد عن الكوفي القيرواني في مصاحفها وشواهد قبورها ومراسلات علمائها وأسماء عائلاتهم، وإنّ التطور الذي طرأ على خطوط أهل تونس كان على يد الأتراك الذين حملوا هذا الفن، وعلّموا أهل تونس أصوله، ورفعوا مستواهم فيه، وطوّروا مكتسباتهم الخطية إلى درجات جديدة من الإبداع والتجديد، وقد صار الخط التونسي يتخذ ملامح النسخي، تتكون الحروف فيه من أسطر غليظة مملوءة مكتنزة، تتابع بانتظام دون أن تتجاوز الحد إلى فراغ ما بين السطرين، وأنّ ما كان من ثقل التأثير التركي الطويل المدى قد أكسب شؤون تونس دوراً أكثر شرقية(١٣)، فقد ظهر الخط التركي في العاصمة (بالتربات وبالقشل) فأظهر التفاعل الجيد الذي انطلق به الخطاط التركي في تونس لبناء جسور التواصل الثقافي بما تركته تلك الأقلام من روائع الخطوط وبدائعها.

المراجع والهوامش

١. رشيد التومي، وعلى الزرماطي، وعبدالحميد سقير، والصادق عمار: كتاب التاريخ لتلاميذ السنة الرابعة ثانوي، ص١٢٧، طبعة ١٩٨٦م، بغداد.

٢. وقعت معركة ليبانت عام ١٥٧١م بين الأسطول العثماني بقيادة أحد أركان البحرية العثمانية قلج علي، والأساطيل المسيحية التابعة لإسبانيا والنمسا والبندقية وفرسان ومالطا في بحر يونية عند مدخل خليج كورنته على سواحل اليونان، وقد انهزم فيها الجيش العثماني. المصدر السابق ص١١٣.

٣. سليمان مصطفى زبيس: بين الآثار الإسلامية في تونس، منشورات دار الثقافة، تونس ١٩٦٣م.

٤. الدكتور محمد الحبيب الهيلة: مجلة الفيصل، (استطلاع عن تونس)، العدد ٨ شعبان ١٤٠٠هـ تموز ١٩٨٠م، السنة الرابعة.

٥. عباس الغزاوي: الخط ومشاهير الخطاطين في الوطن العربي: فصلة من مجلة سومر ج ١ و٢ من المجلد ٣٨ لعام ١٩٨٢م، بغداد.

٦. أوقطاي أصلان أنا: فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، إستانبول، ١٩٨٧م.

٧. طارق عبيد: جمالية الخط المغربي (أطروحة كفاءة في البحث)، ١٩٩٣م.

٨. محمد الشريفي: خطوط المصاحف أطروحة جامعية، الجزائر، ١٩٧٦م، ورسالة شخصية ١٩٩٧/٦/١م.

٩. فوزي سالم عفيفي: رسالة شخصية بتاريخ ١٩٩٧/٥/٢٠م.

١٠. المصدر السابق.

١١. يوسف ذنون: رسالة شخصية بتاريخ ١٩٩٧/٦/١٥م.

١٢. الدكتورة ماسيه محمود داود: الكتابات العربية على الآثار الإسلامية منذ القرن الأول إلى أواخر القرن الثاني عشر للهجرة ٧ و ١٨ ميلادي، القاهرة، ١٩٩١م.

١٣. هوداس: بحث عرّبه الأستاذ عبدالمجيد التركي، ونشر في جوليلة الجامعة التونسية، العدد ٣ لسنة ١٩٦٦م بعنوان «محاولة في الخط المغربي».

- ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، حسن حسني عبدالوهاب، مطبعة المنار، تونس، ١٩٦٢م.
- إتحاف أهل الزمان أحمد ابن الضياف، نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية، تونس ١٩٦٣م.
- آثار المغرب العربي (كتاب البعث عدد ٢٨)، مايو /أيار١٩٥٨م، سليمان مصطفى زبيس.
- العادات والتقاليد التونسية، تأليف محمد الحشايشي، نشر وتحقيق: الجيلاني بلحاج يحيى، تونس ١٩٩٥م.
- خلاصة تاريخ تونس، حسن حسني عبدالوهاب، تونس، ١٩٥٨م.
- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لابن أبي دينار القيرواني.
- الحلل السندسية للوزير السراج، تونس.
- لمحات عن العمارة في الجزائر والفنون الإسلامية محمد الطيّب عقاب، الجزائر ١٩.
- النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، (ندوة) تونس ١٩٨٨م، المرجع كتاب، طبع المنظمة العربية للتربية والثقافة، ١٩٨٨م.
- الحرف العربي والتكنولوجيا (أكاديمية المملكة المغربية)، الرباط، ١٩٨٨م.
- مقال المكتبة القيروانية: نشأتها وتطورها، د. الهادي الدرقاش، مجلة الهداية، العدد ١، السنة ١٥، تونس.
- مقالة القيمة الفنية والتاريخية للكتابات الشاهدية بتونس (مثال القيروان)، مجلة الحياة الثقافية، العدد ٢٥، السنة ٨، تونس،١٩٨٣م.
- مجلة التراث الشعبي، ملحق خاص، العدد ٨، السنة ٣، بغداد، ١٩٧٧م.

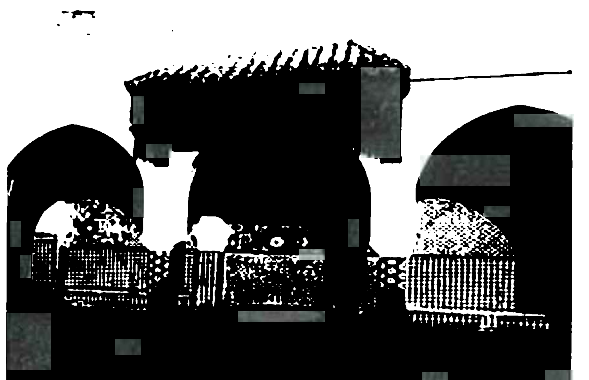
• إن المباهاة في زخرفة القبور ورفعها وتزويقها وكتابة الأشعار التوسلية عليها عادة بدعية على مدار عدة قرون. وإنما ننشر هذا البحث لأنه مشهد أثري تاريخي بتونس البلد الشقيق. [الفيصل]

نتائج الصراع الحضاري
بين مبادئ التعريب وآليات التغريب

محمد ياسين العشاب
طنجة - المغرب

ترسخت مشكلة الضعف المعرفي داخل البلدان العربية لعدة أسباب، منها ما يرجع إلى جذور تاريخية تتعلق بالنكسات التي اصطدم بها العالم الإسلامي منذ الحروب الصليبية، وغزو المغول، وانهيار الأندلس، إذ انطفأت جذوة العلم في الشرق بسبب ضياع دور الكتب، وفقدان الآثار الأدبية، مما أدى إلى بداية تراجع الدور العظيم الذي كان يقوم به العلم في العصور الزاهرة، ومنها طول مدة الانعزال عن التطورات العلمية الحاصلة خارجياً، ومنها رفض كل جديد والتشبث بالقديم، ومنها التشبث بنظام تعليمي لم تتغير معظم مظاهره إلى فترة ما قبل الحماية الأجنبية. لكن على أهمية هذه الأسباب فإنها لم تمنع من قيام حركة علمية وأدبية آنذاك، فقد ظل مصباح العلم مضيئاً في دمشق والقاهرة وكثير من حواضر الشرق وحواضر الغرب كفاس، كما أن التعليم التقليدي السائد قبل بداية تنفيذ المشاريع الحمائية قد أفرز علماء وأدباء قادوا الحركة الوطنية ضد المستعمر، وأسهموا بقسط وافر في تنشيط الحركة العلمية والأدبية، بخلاف التعليم الحديث والأجيال المتخرجة فيه، حيث تعكرت الحالة الأدبية والعلمية، وتوقف توارث العلم بين الأسر الشهيرة به.

ولا ريب أن ميدان التعليم لا يقل أهمية عن باقي الميادين باختلاف أنواعها، بل هو مرتبط بها أيما ارتباط، وإن أي ميدان من تلك الميادين مستند إلى نجاح الخطة التعليمية، وقدرتها على نشر العلم والمعرفة من جهة، وإعداد أجيال لهم كفاءات تمكنهم من تسيير المسؤوليات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، من جهة أخرى، وإن الدول الكبرى التي قطعت أشواطاً في طريق التقدم، قامت حضارتها على العلم والتعلم، وانعدام هذا العنصر هو السبب الرئيس في الانحلال المنذر



عانت جامعة القرويين من الإهمال وكيد الأعداء

باحتضار الحضارات وتدهور الدول، ومن ثم فإن معظم المشكلات التي تتخبط فيها الدول النامية اليوم، بما فيها الدول العربية، راجعة إلى ضعفها العلمي

وعدم تسخير طاقاتها في تنشيط الفكر والنهوض بالتعليم ونشر المعرفة، وتوجيه كل ذلك لمصلحة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، مما يؤدي إلى تكوين أجيال خاملة لا تعي دورها في البناء والسعي نحو غد أفضل. وسيتضح السبب في هذه الأزمة التعليمية - داخل المغرب كنموذج - من خلال الكشف عن الخطط الحمائية التي استهدفت دفن ذات الشعب سياسياً وحضارياً، حتى يصبح ذيلاً للمستعمر، مستجيباً لمصالحه. ولا جرم أن التعليم كان هو الميدان الحيوي الذي سيمكنه

من تحقيق هذا الهدف، حتى إذا مدّ جذوره واستشرى ظهرت عواقبه الوخيمة بعد الاستقلال، وهذا ما خلق نوعاً من الصراع الحضاري بين قيمتين متناقضتين وتاريخين ولغتين تنتمي إلى عالمين متباينين.

مخططات تستهدف التعريب والتعليم الأصيل

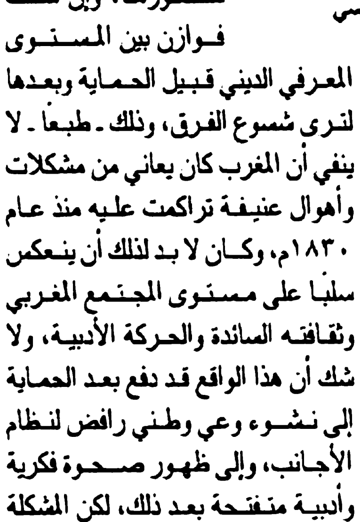
لقد دأب المستشرقون على دراسة العلاقة التي تجمع العرب والبربر، وحاولوا إقناعنا بأن البربر عنصر آري لا علاقة له بالعنصر السامي، ولذلك سمعنا منهم من يزيف بعض الحقائق التاريخية، وينكر أخرى كإنكار خطبة طارق بن زياد، أو إنكار الدور المشهود للبربر في توطيد دعائم الإسلام ودفاعهم عنه، وذلك لجهل هؤلاء الأجانب بالخصائص الروحانية التي يمتاز بها الإسلام، والتي تشبّع بها هؤلاء البربر، ففجرت في دمائهم أرومة الإسلام لا أرومة العرب ولا أرومة البربر، ومهما درس الأجانب تاريخنا، ومحصوا تفاصيله ونتائجه، فلن يفهموا هذه الروح الإسلامية، وهم في منأى عن حقيقتها، كما لن يفهمهم كتّابنا الذين ابتعدوا عن دينهم، فجهلوا حقيقته. وانطلاقاً من ذلك الموقف الحاقد على عنصر البربر والمهد للقضاء على الإسلام والعروبة تم الإعلام عام ١٩٣٠م عن «الظهير البربري» من أجل النيل من الكيان المغربي بصفة مباشرة، وتطبيق سياسة التفريق الضامنة للسيادة، وانسلاخ البربر عن الشرائع المغربية الإسلامية من أجل الانضمام إلى الأنظمة الفرنسية الأجنبية عنهم، وقد عبّر واضع القانون البربري «المسيو سوردون» عن ذلك بصراحة عندما قال: «إذا كانت العادات العرفية لا مناص لها عن الاضمحلال أمام شرع مدوّن فلماذا لا نضمحل أمام شرعنا نحن الفرنسيين؟! ألا يمكن أن يتخذ البرابرة في يوم من الأيام الشرائع الفرنسية نفسها»(١).

لقد كان تأطير هذه الأفكار والمبادئ المفرّقة يستدعي تأسيس مدارس من نوع خاص، حتى يتوطد صرح القانون البربري على المستوى الفكري والثقافي للبربر، ولذلك أنشأت سلطات الحماية «المدارس الفرنسية - البربرية»، ومناهجها كانت خالية من أية صلة باللغة العربية أو علوم الدين، وقبل تأسيسها أغلقت الكتاتيب القرآنية داخل المناطق الجبلية وأقصيت مظاهر التعليم الأصيلة بصرامة، لكن الحمية الوطنية رفضت تلك المدارس بشدة مما أدى إلى إخفاقها قبل أن تشب عن الطوق، وقد عدّ الوطنيون ذلك انتصاراً عظيماً دحر النوايا الاستعمارية، لكن المستعمر في الواقع كان يتوقع نهاية هذه المدارس وهي لاتزال في مهدها، وذلك في حدّ ذاته جانب من الخطط الاستعماري، ذلك أن المناطق الجبلية سيسري فيها الجهل، وتستشري فيها الأمية عندما تفقد تعليمها الأصيل الذي كان سائداً قبل الحماية، فقد رفضت سلطات الحماية بعد إغلاق «المدارس الفرنسية - البربرية» إعادة فتح الكتاتيب القرآنية مرة أخرى؛ ولذلك حرمت هذه المناطق من التعليم كيفما كان نوعه، ولم يشهد التعليم في البادية حالاً أفضل، وهكذا طغت الأمية بشكل لم يسبق له مثيل، فسكان البادية كانوا يشكلون ٩٠٪ من مجموع الشعب المغربي، وظل التعليم الفرنسي في المدن بعد إخفاق «المدارس الفرنسية - البربرية» يضم عدداً هزيلاً من التلاميذ مع عدد أهزل من الحاصلين على الشهادات بالنسبة إلى جميع المستويات، ومن الغريب أن أبناء اليهود المغاربة كانوا يتلقون تعليماً فائق العناية باللغة العبرية والثقافة الدينية اليهودية بصفة عامة، وهذا ما حُرم منه المسلمون بالنسبة إلى لغتهم وثقافتهم الدينية(٢).



علال الفاسي

ومهما قيل عن بساطة الحالة المعرفية التي كانت سائدة قبيل الحماية أو ضعفها، فإن معظم السكان كانوا على دراية بدينهم ولغتهم عن طريق الدروس المنعقدة بالمساجد، والمواظبة على قراءة القرآن مع كثرة حفّاظه، وكان التجار وغيرهم يُقبلون على تلك المدارس، ويدأبون على حضورها، وإن شئت فوازن بين المستوى المعرفي الديني قبيل الحماية وبعدها لترى شسوع الفرق، وذلك - طبعاً - لا ينفي أن المغرب كان يعاني من مشكلات وأهوال عنيفة تراكمت عليه منذ عام ١٨٣٠م، وكان لا بد لذلك أن ينعكس سلباً على مستوى المجتمع المغربي وثقافته السائدة والحركة الأدبية، ولا شك أن هذا الواقع قد دفع بعد الحماية إلى نشوء وعي وطني رافض لنظام الأجانب، وإلى ظهور صحوة فكرية وأدبية متفتحة بعد ذلك، لكن المشكلة تتجلى في عدم الفهم وسوء التقدير، فالمغاربة عندما راقبوا عن كثب ما بلغه الأجانب من تقدم علمي منذ بداية



التدخل الأجنبي في المغرب، وأدركوا عجزهم وقصورهم في هذا المجال، تعللوا بالأوهام وأفرغوا جهودهم في كتب التفسير والحديث والفقه واللغة والنحو الجاهزة دون اجتهاد، ويتضح هذا الموقف مثلا في رد الفعل الشعبي تجاه البعثة الطلابية التي أرسلها المولى الحسن الأول للتعليم في أوربا، فكان هذا الإفراط في الحذر سبباً في التدهور الذي شمل جميع الميادين؛ وإلى جانب المناهج التعليمية الحمائية تسبب هذا الحذر مع ما رافقه من تخلف في اكتساب رد فعل لا شعوري ضد كل ماله صلة بالتدين والعروبة، مما أدّى إلى حدوث انقلاب كامل في العادات ومستوى التدين بعد

لقد دأب المستشرقون على دراسة العلاقة التي تجمع العرب والبربر، وحاولوا إقناعنا بأن البربر عنصر آري لا علاقة له بالعنصر السامي

الاستقلال، حتى أصبحت الفرائض الدينية مظهراً من مظاهر التخلف التي يستحيا من القيام بها، فكان هذا الإفراط في الانسياق والتفريط في القيم سبباً في تدهور آخر ربما كان أخطر من الأول، وتوجس المفكر اليميني خيفة من مشاريع المستعمر، وقت في عضده هذا الاغتصاب الظالم الذي يهدد دينه ووطنه، فهب للذود عن البلاد وتحرير الوطن، ودعا إلى السلفية التي تنهل من مصادر الدين الأولى، وتحترم الماضي الإسلامي الزاهر، لكنه عجز بعد الاستقلال عن تنفيذ مشاريعه المناهضة للاستعمار الثقافي والفكري، فخاب أمل الذين كانوا يريدون أن يستقلوا ويتحرروا سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، وهم يرون النموذج الفرنسي يضرب بجذوره في البلاد. أما المفكر اليساري فقد انساق وراء مظاهر الحضارة الغربية الحديثة، التي وجدها بديلا يحل محل مظاهر التخلف التي يعاني منها المجتمع، وقاطع الماضي بوصفه مأساوياً حان الوقت للتخلص من ثقله؛ ولذلك دعا إلى تأسيس نهضة جديدة تنطلق من نقطة الصفر، فانقلبت موازين جميع الميادين، ولم ترسخ قدمها، واستُنسخت بكيفية عشوائية لا تستند إلى وعي ولا تفكير، مع إنكار الماضي القريب بعقلية ساذجة، تعللا بالاضطرابات التي سادت بعض فتراته، وإنكاراً للتنوع الثقافي الضروري لبقاء الأمم، لتلتقي هذه الأفكار أخيراً

النوايا الاستعمارية التي جاءت لتنقذ الشمال الإفريقي من الفساد الطويل!! الذي أحدثه العرب منذ أن اغتصب تلك البلاد من أصحابها بزعمهم!!، وهكذا خابت الآمال في اليمين واليسار، وتشتت الأفكار خلف المذهبين اللذين حلا محل الحقيقة المطلقة، وهي الدين الذي يوحد الأفكار ويحد من التصارع، فكان ذلك مبعثاً للشلل الذي عم جميع الميادين، لأن التقاء مدرستين الواحدة ضد الأخرى على المستوى نفسه لا يفرز شيئاً ذا فائدة، ويحضرني هنا قول عباس محمود العقاد رحمه الله: «ليس الخطر كله من الأعداء، وليس الأمان كله من الأصدقاء أو الأبناء، فقد يجيء الخطر على الإيمان من غلاة التجديد، وقد يجيء الخطر على المعرفة من غلاة الجمود، وقد يتقابل هؤلاء وهؤلاء على قوة واحدة، فيسري إلى الأمة شلل لا تنفع معه معرفة ولا إيمان»(٣).

ومع ذلك نجد التعليم الديني قد عرف ظاهرة إيجابية في الفترة الممتدة بين عام ١٩٤٤ و ١٩٥١م، ويتمثل ذلك في إنشاء المزيد من المدارس العربية الحرة، والتي كانت الحركة الوطنية ترغب في مواجهة المدارس الفرنسية بها، وهي قائمة على اللغة العربية، وأساتذتها من المتشبعين بالروح الوطنية، وكان ردُّ فعل السلطات الحمائية - بطبيعة الحال - هو خلق العراقيل التي تقف في وجه هذه المدارس، وربما وصل الأمر إلى محاولة تشريد المسؤولين عنها، لكن ذلك لم يُضعف من دورها في مواجهة الاستعمار السياسي والثقافي، وتكوين جيل رشف قليلا من منهل السادة العلماء الذين درّسوا بمثل هذه المدارس والمعاهد، مثل «المعهد الديني»، الذي أُسس بطنجة عام ١٩٤٥م، وضمّ عدداً من العلماء الأجلاء ذوي القدم الراسخة في العلم الديني والأدب من مسيّرين وأساتذة، أمثال العلامة عبدالله كنون الذي أنشأه وتولى إدارته(٤)، والعلامة عبدالحفيظ كنون الذي تولى به مهمة التدريس... ولا يزال هذا المعهد قائماً إلى اليوم بعد تغيير مكانه، لكن دوره سار إلى العدم بعد رحيل أقطابه، ومع وجود مثل هذه المعاهد الإسلامية، وقيامها بالدور اللازم أيام الحماية، فقد تدهورت الثقافة المغربية، وأخذ التلاميذ في سائر المدارس بمختلف أنواعها - حتى المدارس الإسلامية أحياناً - صورة مشوهة عن المعارف العربية أكسبتهم ردَّ فعل لا شعورياً ضد كل ما هو عربي، بالإضافة إلى الضياع والذوبان والتذبذب بين معارف تنتمي إلى ثقافتين

متناقضين، وسيظهر ذلك جليًا بعد الاستقلال.

البيت المظلم

ولا ينكر أحد فضل جامعة القرويين على المغرب، وإفرازها أجيالاً حملت مشاعل العلم، ورفعتها إلى أرقى المراتب، وتهيئتها جميع أطر الدولة وتكوينهم منذ القديم، وإن أغلب الوطنيين المناهضين للاستعمار كانوا من أبنائها، ولذلك أطلق عليها الاستعمار لقب «البيت المظلم»، وبذل جهوده من أجل إضعاف دورها؛ ولذلك ظلت هذه الجامعة تعاني من الإهمال والكيد المبيّت لها من قبل أعدائها، وكان المنتظر بعد الاستقلال أن تزدهر هذه الجامعة من جديد بإعادة تنظيمها على أساس الاحتفاظ بكيانها وصيانة أصالتها، ما دامت العراقيل التي كانت تفتعلها الحماية قد زالت بفك الحصار الذي كان مضروبًا على المعاهد الدينية، وعلى العكس عمدت وزارة التعليم بنفسها بعد الاستقلال إلى محاولة تدمير كيان هذه الجامعة العتيقة، والحد من دورها، هذا فضلاً عن الإلغاء الفعلي لجامعة ابن يوسف بمراكش، والمعهد الإسلامي بتطوان، ويرجع السبب في مثل هذه التصرفات إلى الاعتماد على إرشادات الخبراء الفرنسيين، والنظر إلى كلامهم وآرائهم بوصفها شيئًا لا يحتمل الخطأ، وهكذا تم تحويل عدد كبير من طلاب التعليم الأصيل قبل استكمال المرحلة الثانوية والعالية إلى مدارس المعلمين، مما أدى إلى انخفاض كبير في أرقام المتخرجين في التعليم الأصيل، ثم طبقت وزارة التعليم قانون تحديد السن المعهود في المدارس الرسمية على المعاهد الدينية، ثم حوّل عدد من مدارسها وأقسام من المدارس القرآنية النموذجية إلى مدارس رسمية عادية، وبصفة عامة تعددت الأساليب التي ترمي إلى الحد من دور المعاهد الأصيلة، وخابت الآمال التي كانت تنتظر الاستقلال لتنعم بحريتها وهي ترى الاستعمار متحكمًا في ميدان التعليم وفي مختلف الميادين.

وعلا صوت علال الفاسي ذي التوجهات السلفية الأصيلة آنذاك قائلاً: «إذا استمرت هذه المحاولات التي تقوم بها الوزارة فستؤدي لا محالة إلى محو هذا التعليم بالمرة، وذلك ما يريده المتآمرون عليه من وراء الستار، وهم المستعمرون الذين طالما كتبوا ضد التعليم القرآني، وطالبوا بما ينفذه اليوم في عهد الاستقلال أناس اندسوا في إدارتنا، وأخذوا يتآمرون على ديننا وثقافتنا، وعلى الحكومة التي هم مطوقون بخدمنها»(٥).

> على الرغم مما كان للرابطة العامة لعلماء المغرب من دور فعال، فإنها لم تستطع أن تغير ما وقر في النفوس من حب للغة الفرنسية وانسياق مرير وراءها

وظل أبناء القرويين مع ذلك مستمسكين بموقفهم ودفاعهم عن كيان جامعتهم إلى أن أصدر الملك الحسن الثاني - رحمه الله - مرسومًا ملكيًا بإعادة الاعتبار للقرويين وتقسيمها إلى كلية الشريعة بفاس، وكلية الدراسات العربية بمراكش، وكلية أصول الدين بتطوان، وقد لقي هذا المشروع معارضة من لدن المغرضين، ولكنه شق طريقه، واتخذ صفته الرسمية بفضل صبر العلماء وثباتهم، وفضلاً عن ذلك تأسست رابطة علماء المغرب التي حملت على عاتقها - برئاسة أمينها العام عبدالله كنون رحمه الله - مسؤولية الاهتمام بالتعليم الإسلامي وحمايته والمحافظة على الصبغة الإسلامية للمغرب؛ ولذلك نجد المجلس الأعلى لرابطة علماء المغرب يرسل برقية إلى المجلس الأعلى للتربية الوطنية لاستنكار السياسة التعليمية التي كان يُنتظر آنذاك تطبيقها ابتداء من فاتح أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٦٣م، ونددت هذه البرقية بازدواجية اللغة المفروضة منذ السنوات الابتدائية الأولى، على ما لهذه الفترة الأساسية من تأثير في نفسية التلميذ، ورفضت تلك القيمة المقدسة التي أعطيت للغة الفرنسية بحيث تصبح لغة علمية وتقنية في جميع مراحل التعليم، مما يجعل التعريب أمرًا مستبعدًا وسط صراع حضاري داخلي لا نهاية له، هذا مع التقليل من حصص المواد الإسلامية في بعض المراحل التعليمية وإهمالها، وكل ذلك يتم مع استبعاد مبدأ التعريب الذي أجمعت عليه الأمة قاطبة، واستنكرت البرقية على وزارة التعليم طردها لـ ٤٣٠٠ معلم بالعربية من أجل تعويضهم بعدد مماثل من معلمي اللغة الفرنسية، بالإضافة إلى فرنسة التعليمين الإسلامي والحر دون تقدير للنتائج الخطيرة التي ستترتب على ذلك، حيث تصبح الفرنسية لغة رسمية في الإدارات ومختلف الميادين داخل دولة مستقلة!، وهذا يتعارض مع مبدأ الأمة، ومع طاقة التلاميذ الذين يصعب عليهم التعليم بلغتين والتمكن منهما، وإلا فسيتمكن من لغة واحدة على حساب الأخرى، وسيتشتت بين اللغة العربية واللغة الفرنسية واللهجة الأصيلة التي يستعملها، وستكون نتيجة

ذلك - بلا ريب - أن يلتحق المغرب بكتلة الدول الإفريقية المتكلمة باللغة الفرنسية(٦).

وعلى الرغم مما كان للرابطة العامة لعلماء المغرب من دور فعال، فإنها لم تستطع أن تغير ما وقر في النفوس من حب للغة الفرنسية وانسياق مرير وراءها، وعشش هذا الداء وفرخ وباض، حتى أصبح من الصعب جداً وجود دواء له بعد استفحاله، وأصبح الذين توجسوا من هذا المصير خيفة بالإمس لا مكان لهم، حيث احتقر كلامهم ولم ينصت أحد إليه بعد ذلك، مما أدى إلى ذوبان لم يقع حتى في عهد طغيان المستعمر واحتكامه، ولم يصل مستوى التعليم إلى حال أفضل أصيلا أو عاديًا، وانحسر دور رابطة العلماء مرتين: الأولى عند تأسيس المجالس العلمية للتخلص من القلق الذي كانت تسببه للدولة عام ١٩٨١م، والثانية عند وفاة مؤسسها عام ١٩٨٩م، ليصبح دورها على ساحة الواقع بعد ذلك منعدماً.

هزيمة معنوية

كان من الطبيعي أن ترتج الشخصية المغربية لما عانته في فترة الاستعمار من هزائم معنوية متتالية، أمام النظام التعليمي الحماني، فالذين تخرجوا في المدارس الرسمية العصرية تشبعوا بثقافة الاستعمار، وارتبطوا بحضارة الغرب، لكن نفسيتهم ظلت متأرجحة؛ لكونهم ينتمون إلى حضارة أخرى لها تاريخ مجيد، وهؤلاء كونوا مدرسة وقفت ضد مدرسة الذين تخرجوا في المدارس الأصيلة والحرة التقليدية، وتحفظت كل مدرسة من أفكارها، ولم تتيقن من سلامتها، وأدى الاصطدام بين المذهبين المتناقضين إلى حدوث الشلل الذي تحدث عنه عباس محمود العقاد، ومن ثم حصول جمود فكري خلال الفترة التي أعقبت الإعلان عن الاستقلال، واللجوء في مسألة التعليم إلى حلول توفيقية ومؤقتة، بدل القيام بثورة ثقافية تستأصل الأزمة من جذورها، وتتخلى عن كل ما هو أجنبي منذ البداية من أجل الخوض مباشرة بعد ذلك في نهضة حقيقية قائمة على أساس.

وبديهي أن ضياع الحقيقة يكون ناتجاً عن فساد التفكير واضطراب المعرفة، ولا يلحق الفساد بالتفكير إلا إذا التمس طريق الغلط النابع من الجهل، أو إذا



أحمد شوقي

انفصم أمام تيارات معاكسة تقف بعضها ضد بعض، نتيجة التقليد والانحراف دون إدراك ووعي، فالفكر الثابت والقائم على أركان راسخة لن يفسده التفتح على طرائق أخرى من التفكير، أو الأخذ منها بما يصلح بوعي وفهم، لكن الفكر الذي ضل الطريق لن ينسجم مع أفكار أخرى أجنبية ما دام لا يدركها، أو مادامت مفروضة عليه قسراً، وكذلك فإن الجيل الذي يتلقى تعليماً أجنبياً بلغة أخرى تزل قدمه عن الحقيقة، فإما أن يكتسب رد فعل لا شعورياً ضد لغته ودينه وثقافته، ومن ثم سيسعى إلى تطبيق النموذج الأجنبي داخل وطنه دون توفيق وتمييز، ظناً منه أن ذلك النموذج مقدس لا يقبل المراجعة؛ إذ هو فوق النقد، وسيضمن الرقي والتقدم بمجرد تطبيقه، وإما أن يظل في حيرة من أمره أمام النماذج الغربية التي تجذبه إليها، أو النظر إلى النموذج الإسلامي الذي ضمن التقدم للمسلمين حيناً من الدهربشيء من الخوف والحذر والتحفظ، وكل ذلك يجعل الرأي لا يقف على أحد النموذجين، ولا يتمكن منه.

ومن مظاهر الهزيمة المعنوية بعد الاستقلال في مجال التعليم واللغة، دخول المغرب ضمن صف الدول التي لا تملك لغات قومية ذات حضارة علمية وتاريخية، والتي تبنت اللغة الفرنسية لغة قومية جديدة!، ومن ثم استبعاد فكرة التعريب، وهذه بعض مظاهر الرغبة في ذلك التبني للغة الآخرين محل اللغة الأم:

- في أبريل/نيسان عام ١٩٦٢م، خرج وفد وزاري من المغرب إلى فرنسا لطلب ألف معلم وأستاذ جدد للتعليم المغربي، هذا زيادة على ٨٠٠٠ معلم فرنسي كانوا موجودين في المغرب يمارسون نشاطهم التعليمي، وصرح أنذاك وزير التربية الوطنية الفرنسي السيد «لوسيان بوي» بما يلي:

«إنه واجب معنوي بالنسبة إلى فرنسا أن تلبي طلبات البلاد الأجنبية والدول الناشئة بإفريقية وأسيا من المعلمين» وأضاف قائلا: «وللمحافظة على المراكز الثقافية لفرنسا في هذه البلاد وضمان هذه المهمة الجميلة، النبيلة والصعبة، نعتمد على تأييد الرأي العام وعلى تعاون المعلمين... وبالنسبة إلى السنة الدراسية ١٩٦٢ - ١٩٦٣م يوجد نحو ٣٥٠٠ منصب للمعلمين علينا أن نهيئها للخارج، ٦١٥ في الدول الإفريقية ومدغشقر، و١٤٢ في

الكامبودج واللاوس والفيتنام، و ١٠٠٠ في المغـــــرب! و ١٤٤٠ في تونس، ولإرضاء هذه الطلبات الجديدة، وجه نداء من جهة موظفي التعليم الرسميين في إطارات التربية الوطنية، ومن جهة أخرى إلى المتعـاقـدين من غـيـر الموظفين»(٧).

ـ إقرار الازدواجية اللغوية منذ أول سنة ابتدائية، وتأجيل مبدأ التعريب، بسبب تأرجح وزارة التعليم بين التدرج في التعريب، وانتظار الزمن ليجيء من تلقاء نفسه بوجود كفاية من المعلمين بالعربية من جهة، وبين استقدام الأساتذة العرب والكتب العربية من الشرق من جهة أخرى، وأدى التأرجح إلى عدم الرسو على أحد الحلول فكانت تلك فرصة أخرى لقيام دعوة قوية إلى ضرورة الإبقاء على الفرنسية وعدم مواصلة سياسة التعريب، ولا يخفى ما في هذه السياسة الفرنكفونية من خطر على التلاميذ وانفصام شخصيتهم، وعدم رسوخ أقدامهم على قرار، خاصة عندما يتلقون اللغة الأجنبية منذ السنوات الابتدائية الأولى للدراسة.

وصرح آنذاك محمد داود في اجتماع للمجلس الأعلى للتربية الوطنية عام ١٩٦٢م:

«...إننا لا نوافق مطلقًا على هذا الازدواج غير الشرعي، وأعني به جعل التدريس في التعليم الابتدائي بلغتين، إننا نرى المصلحة القومية العامة تقضي بألا يكون التعليم الابتدائي إلا بلغة واحدة هي لغتنا العربية، وهذا هو المتبع في جميع أقطار الأرض، وليس من المعقول أن يشذ المغرب عن أقطار العالم قاطبة»(٨).

ـ أدت هذه الازدواجية إلى عجز بعض التلاميذ عن استيعاب لغتين، فكان لا بد أن يتعلموا واحدة بكيفية جيدة على حساب الأخرى، وقد أثار ذلك إنكارًا ورفضًا، فكان جواب الوزارة نفيًا لإمكانية التخلي عن هذه السياسة، ولم يكن بإمكان التلاميذ الذين يدرسون باللغة العربية في المعاهد الأصيلة أيضًا أن يواصلوا دراستهم باللغة العربية، مع استحالة هذا التوفيق إلا للعباقرة، حسب بعض الآراء في هذا المجال.

ويؤكد علال الفاسي ـ رحمه الله ـ ذلك بقوله: «فأما القول بأن الفرنسية يمكن أن نتقنها ونتقن معها العربية وننجح فيهما، وننتج أدبًا وعلمًا وكلامًا ينتجه المواطن بلغته الأم، فهو هراء لا دليل عليه، أما أولا فإنه لا توجد أمة تستطيع أن تتقن لغتين أو لغات في آن واحد على قدم المساواة، وتنتج بهما على حد سواء، إنني أعرف أن في الإمكان تعلم لغات كثيرة، وأعرف أن هنالك أناسًا قد تعلموا أكثر من لغة، وأعرف فضيلة هذه المعرفة وأثرها في النفس والفكر والعاطفة، ولكنني أعلم أن ذلك لا يتيسر إلا لفئة قليلة ممن أعطوا عبقرية تعلم اللغات، ولا يمكن لجميع الذين يدخلون المدارس أن يكونوا في مستواهم»(٩).

ـ رفض عدد كبير من الأساتذة وأصحاب المناصب هذا السلوك الشاذ القائم على الازدواجية، ومنهم الأستاذ إدريس الكتاني الذي كان يتولى وظيفة المدير المساعد للمدير العام لوزارة التربية الوطنية ومكلفًا بالتعليم الأصلي الحر، وقد عبر عن رفضه بتقديم استقالته عن عمله في وزارة التربية الوطنية، وقد قبلت استقالته بسرعة من منصبه! كما أقيل الأستاذ أحمد الأخضر من منصب مدير معهد التعريب، على ماله من مواقف مشرفة في ميدان الدفاع عن التعريب، فكأن عقبة كأداء قد انزاحت بإقالة أمثال هؤلاء(١٠).

لقد فتح هذا الانفصام الأبواب أمام تخدير العقول، واستفحال خطر الفرق الضالة، كالبهائية التي انتشرت آنذاك في الناحية الريفية، وروج لها أصحابها ترويجًا، وتسلط هؤلاء على الشباب الضائع فكريًا، حيث وجد فيهم البديل ما داموا يرفعون شعارات زائفة ترضي الأهواء(١١).

لا ينكر أحد فضل جامعة القرويين على المغرب، وإفرازها أجيالاً حملت مشاعل العلم، ورفعتها إلى أرقى المراتب، وإن أغلب الوطنيين المناهضين للاستعمار كانوا من أبنائها

وظل المغرب مرتبطًا بالعالم الفرنسي ومنفصلا عن العالم المغربي، أي منفصلا عن ذاته وكيانه ونفسيته التي تكونت منذ الفتح الإسلامي، إلى وصول المولى إدريس إلى المغرب حاملا معه دينًا خالدًا، ولغة موفورة الكرامة وعزيزة الجانب، وظلت البلاد بعيدة عن تاريخها وحضارتها التي ازدهرت طوال اثني عشر قرنًا، وخلف سوء بناء التعليم بلبلة في الأفكار وطيشًا في الآراء، ذلك لأن القدم لم ترسخ على أرض، والتفكير ظل يدور ويدور في فراغ، لا أنيس ولا ممانع ولا موجه، مع تخليط والتباس

يشبهان مشية الغراب عندما أراد أن يقلد مشية الحجل، ولا جرم أن الذين خسروا فكرهم الأصيل مقابل أفكار مشوهة المعالم تستند إلى ما لا ينفع أمة ذات نفسية مختلفة، قد خُلق عندهم ضجر وقلق دفعا إلى عدم الاستقرار، وفساد الأذواق، واختلال الفهم، وخسران مكارم الأخلاق، وفتحا الأبواب أمام انهيار التفكير، مع كثرة المعلومات الفارغة؛ والفراغ هنا لا يعني فراغ المواد الفرنسية التي كانت تدرس من أي محتوى، بل بالعكس هي تفتح الأذهان على معارف حية كنا في أمس الحاجة إليها - وما زلنا - من أجل النهوض، ولكن الفراغ يتجلى في للإرادة المغربية التي نادت بالتعريب منذ الاستقلال، ولذلك ظلت مظاهر الاستياء قائمة خاصة بين صفوف العلماء، وبتاريخ ٢٣ مايو/أيار عام ١٩٧٠م وقع ٥١١ مغربياً من العلماء والمثقفين والموظفين والعمال والنقابيين والهيئات السياسية على بيان تحت عنوان «بيان من علماء ومثقفي المغرب حول سياسة التعليم والغزو اللغوي الاستعماري للمغرب العربي»(١٢)، ندّد بالغزو الاستعماري الخفي الذي يفرض النموذج الفرنسي على المغرب المستقل، وبالتأجيل الذي يعترض طريق تحقيق مبدأ «التعريب»، دون تقدير للعواقب الخفقة المترتبة على ذلك، «مغربة الأطر» ولايمكن الفصل بين هذا وذاك، فالمغرب عربي تجري فيه دماء العروبة والإسلام منذ قرون، والمغربة مرادفة للتعريب، كما أن مبدأ «التوحيد» سيكون نتيجة مرتقبة لتطبيق مبدأ «التعريب»، وسيمكن توافر هذين المبدأين (مغربة الأطر - التوحيد) من توافر العدد الكافي من الأطر المغربية المعربة، وهذا سيسهل تحقيق مبدأ «تعميم التعليم» في المدن والبوادي، ومن ثم القضاء على انتشار الأمية؛ لكن تلك المبادئ الأربعة ظلت منفصلة بعضها عن بعض، كل مبدأ منها مستقل بذاته، فظلت تدور في فراغ، دون أن يتحقق في الأخير أي مبدأ منها بكيفية جدية، مذبذبين بين ذلك *لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ومن يُضلل الله فلن تجد له سبيلا*. النساء: ١٤٣، إنها الخطط الحمائية نفسها التي سلبت من التعليم مقوماته، فزلّت قدمه عن أرض يقف عليها، فهي «تكرس التعدد والازدواجية، وتفسح المجال واسعاً للتراجع عن التعريب بدعوى مغربة الأطر أولا، وعن التعميم بدعوى انخفاض المستوى بسبب التعريب، وعن التوحيد بدعوى فتح المجال للمدارس الحرة والتعليم الأصلي ليساهم كل منهما في «تعميم التعليم! مما يهيئ تعليمنا لأن يبقى دائراً في حلقة مفرغة، متخبطاً ذات اليمين وذات الشمال، كما حدث بالفعل، ومازال يحدث إلى الآن - مارس/آيار ١٩٧٣م -، والنتيجة الملموسة هي رجوعه إلى ما كان عليه أيام الحماية»(١٣).

كان «التعريب» هو المبدأ الوحيد الضامن لقيام تعليم مغربي حقيقي رافض للشوائب الاستعمارية، وقائم على ثورة ثقافية شاملة تفرز نتاجها

التلقي، فالعقل المخدّر لا يستوعب شيئاً مهما بلغت قيمته، والذي لا يعرف نفسه وأصله وتاريخه لن يحسن تلقي أي شيء، والذي ينطلق من فراغ ولا يدرك العواقب لن يفهم شيئاً، وسينساق وراء أية فكرة بتسرُّع وسطحية تدفعه إلى الانجراف مع الشعارات والأهواء ثم الدفاع عنها بعد ذلك، كشأن الذين لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، وذلك مبلغهم من العلم، وانطلاقاً من هذه السطحية تهدمت اللغة بوصفها غير ضرورية، ولا جرم في استبدال غيرها بها أو تقسيم النصيب بين لغتين، حتى وإن كان هدم لغة ما معناه هدم ذات وكيان وقومية وتاريخ، وتلك هي أعظم هزيمة معنوية.

ولم تكن هذه الازدواجية موافقة وطالب بتطبيق مبدأ التعريب تجنباً للآثار الوخيمة التي تهدد وحدة البلاد وكيانها ومستقبلها، وأكّد ضرورة تحقيق المبادئ الأربعة التي اقترحتها «اللجنة الملكية لإصلاح التعليم» منذ عام ١٩٥٧م، وهي (التعريب - مغربة الأطر - التوحيد - التعميم)، وعدّها الحلول الوحيدة لمشكلات التعليم المستعصية، مع إخفاق تحقيقها طوال هذه المدة.

المبادئ الأربعة

لقد كان «التعريب» هو المبدأ الوحيد الضامن لقيام تعليم مغربي حقيقي رافض للشوائب الاستعمارية، وقائم على ثورة ثقافية شاملة تفرز نتاجها، إن *الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم*. الرعد: ١١، ذلك لأن تحقيق مبدأ «التعريب» كان يقتضي تحقيق

سراب التعريب وفساد التعليم

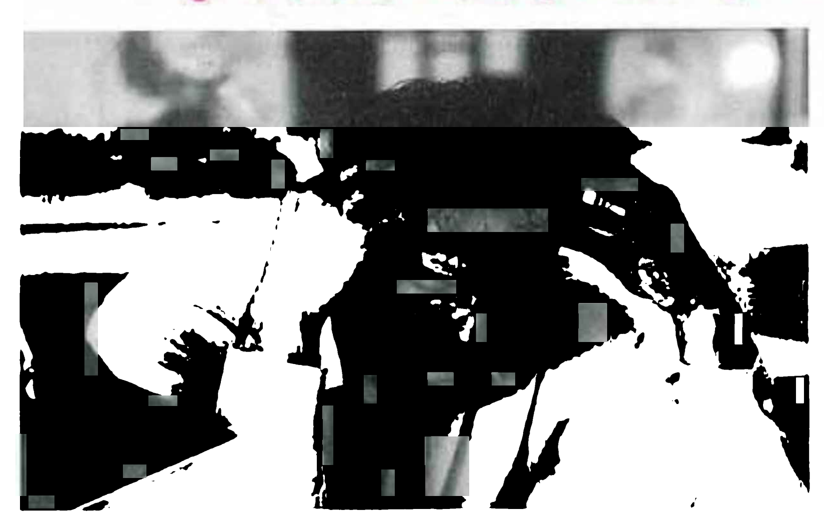
وجاء تطبيق جزء يسير من مبدأ «التعريب» متأخراً، بعدما ضعف مستوى اللغة العربية، وفسدت

البارانويا:
جنون العظمة والاضطهاد

عبد الرحمن العيسوي
الإسكندرية - مصر

كلما زاد تعقد الحياة الحديثة وصراعاتها، زادت الحاجة إلى نشر الوعي الطبي النفسي، وتعرّف الأسباب التي تؤدي إلى نشأة الأمراض النفسية والعقلية والجسدية ذات المنشأ النفسي (السيكوسوماتية)، والانحرافات الأخلاقية والسلوكية، كمشكلات إدمان الخمور والمخدرات والشذوذ والجريمة والجنوح والانحراف. وكذلك يتضمن التثقيف الصحي النفسي تعرّف طبيعة الأمراض العقلية والنفسية، وأهم أعراضها، وأساليب التعامل مع المريض العقلي، ومعرفة سبل الوقاية والعلاج.

وهناك ضرورة إنسانية في المحل الأول لحماية الإنسان من آلام الأمراض العقلية، ومن تعاسة الأسرة التي يوجد بين أفرادها مريض عقلي أو نفسي. وهناك أيضاً فوائد اقتصادية وتنموية؛ لأن المرض العقلي يبدد طاقة الإنسان، ويكبل قدراته، ويحيله إلى عالة على المجتمع وعلى ذويه؛ ولذلك فإن العلاج والرعاية والإشراف والإرشاد النفسي تدخل كلها ضمن الاستثمار؛ لأنها تعيد الإنسان إلى حظيرة الإنتاج والعمل والخلق والإبداع بدلاً من أن يظل عالة على المجتمع. ومن بين الاضطرابات العقلية التي تستحق الاهتمام مرض (البارانويا) أو جنون العظمة والاضطهاد؛ لأن لمثل هذا المريض خطورة على من حوله.



ينظم المريض في خياله مجتمعاً زائفاً يسوده الشك والريبة

مفهوم البارانويا

البارانويا أو الهُذاء Paranoia استجابة ذهانية، أي عقلية مرضية، من أعراضها التدهور العقلي البسيط، وفي كثير من حالات البارانويا قد لا يوجد هذا التدهور في الوظائف العقلية للمريض، وتتسم هُذاءات المريض، أي ضلالاته، بالصبغة المنطقية، ولكنه منطق المريض نفسه، ذلك المنطق الذي لا يستند إلى أساس صحيح؛ ولو كان الأساس صحيحاً لصحت النتائج التي يتوصل إليها المريض في ضوء محك الواقع، ولكن هذا المنطق متوهم من أساسه. والحقيقة أن أسباب هذا الهُذاء أي الفكرة الزائفة أو

القاسدة غير معروفة، إلا أنه بالرجوع إلى سني طفولة المريض يمكن إدراك أن علاقة الطفل بأمه أو بأبيه كانت تقوم على أساس الشك والريبة والاستياء. ويدل تاريخ هؤلاء المرضى على أنهم كانوا يعانون من الشعور بالنقص، وعدم الثقة بالنفس، ذلك الشعور الناجم عن تكرار تعرضهم لخبرات الإخفاق والإحباط. ويدل تاريخهم على وجود مشكلات جنسية شاذة، أي: الميل الجنسي لأفراد من الجنس نفسه. وبدلاً من شعور المريض بالذنب فإنه يستبدل بذلك الشعور حيلةً من حيل الدفاع اللا شعورية أو العمليات العقلية اللا شعورية وهي حيلة العكسية، بمعنى أن يظهر المريض خلافاً لما يبطن، فبدلاً من كراهيته هو للناس يشعر أن الناس هم الذين يكرهونه. ويرجع فرويد هذه الأعراض إلى بعض الحيل الدفاعية التي منها العكسية(١) والإسقاط(٢) والتسويغ(٣) والتعويض(٤).

وهناك نظرية أخرى خلافاً لنظرية التحليل النفسي هذه، تعرف باسم نظرية المجتمع الزائف، حيث ينظم المريض، في خياله، مجتمعاً زائفاً يسوده الشك والريبة والاكتئاب والأحكام الخاطئة والأوهام والغرور والاضطهاد. ويقوم المريض برسم هذا المجتمع نتيجة لتعرضه لخبرات من الإخفاق والإحباط، وعجزه عن تحقيق التوافق الاجتماعي مع الناس والأحداث من حوله(٥).

جنون الهذاء، أي البارانويا، ذهان عقلي من أهم أعراضه الهذاء المنظم والثابت مع احتفاظ المريض بقدراته العقلية دون تدهور في وظائفها، ويستمر المرض فترة طويلة حتى تظهر أعراضه على المريض مع عدم تأثر الذكاء والذاكرة إلا في بعض الحالات النادرة

أعراض البارانويا

من أظهر أعراض هذا المرض الغيرة الشديدة والشك في نوايا الآخرين وفي دوافعهم، ويقوم المريض بتفسير سلوكهم من وجهة نظر شخصية بحت دون محاولة التحقق من صدق النتائج التي يتوصل إليها تفكيره. ومريض الاضطهاد لا يطيق النقد أو الجدل أو النقاش ولا يحتمله، وينظم لنفسه سلسلة منطقية من الأمور يخدع بها نفسه وغيره من الناس. ويميل المريض للعدوان والانتقام. أما مستوى الذكاء عنده فهو فوق المتوسط. ويميل إلى المباهاة والمفاخرة، مع الحساسية الشديدة والجمود والتزمت. ويختلف مريض الاضطهاد عن مريض فصام الاضطهاد في أن الأول، خلافاً للآخر، يتمتع بتفكير منطقي منظم، وتدور أعراضه حول أوهامه الاضطهادية ورغبته في الانتقام، ومن هنا تبدو خطورته حين يقرر مباغتة خصومه والإجهاز عليهم قبل أن يمدوا إليه يد الأذى. ويميل المريض إلى حب العظمة والتظاهر بأنه شخصية عظيمة نابغة.

سيطرة الهُذاءات أو الضلالات على فكر مريض البارانويا

إنّ العرض الغالب في هذا المرض هو الضلالات أو الهذاءات أي الأفكار الزائفة؛ وإن كان هذا لا يمنع أحياناً معاناة بعض الحالات من الغضب والنشوة الزائدة والفرح والهياج والاضطراب. وربما ترجع قلة نسبة هؤلاء المرضى بين نزلاء المستشفيات العقلية إلى ذكائهم المرتفع الذي يساعدهم على الابتعاد عن دخول المستشفى العقلي. إن مثل هذا المريض يشك في جيرانه، وفي زملائه في العمل، وفي زوجته، وفي أصدقائه، وقد يقدم الشكاوى ضد هؤلاء متخيلاً أنهم يضطهدونه. ومن الخطورة بمكان أن يتولى أحد هؤلاء المرضى منصباً قيادياً، فيصب غضبه على كل من يعمل معه. وهناك بعض الزعماء في العالم الذين يشعرون بالعظمة، ويميلون إليها بصورة شاذة، ويرغبون في الانتقام من أعدائهم. ويتظاهر مثل هؤلاء بالأبهة والعظمة والفخامة، ويكثرون الحديث عن أنفسهم ومهاراتهم ونبوغهم وتفوقهم وانتصاراتهم. ويقال: إن هتلر كان يعاني من مرض الاضطهاد هذا؛ إذ كان يشك في كل من حوله(٦). ولكن الإعجاب بالذات أو حب الذات أو عشق الذات اضطراب آخر هو النرجسية أو عبادة الذات.

فجنون الهذاء مرض عقلي، أي ذُهان عقلي من أهم أعراضه الهذاء المنظم والثابت مع احتفاظ المريض بقدراته العقلية دون تدهور في وظائفها. ويستمر المرض فترة طويلة حتى تظهر أعراضه على المريض مع عدم تأثر الذكاء والذاكرة إلا في بعض الحالات النادرة. ويدور سلوك المريض حول هذائه الذي يتصور أنه صادق وحقيقي، ويأخذ في تسويغ صحة هذاءاته أمام المحيطين به، طمعاً في تصديقه. وقد يعاني المريض من الهلاوس السمعية والبصرية، وهي مدركات حسية زائفة غير موجودة في عالم الحقيقة والواقع. ولحسن الطالع لا توجد حالات كثيرة من هذا المرض؛ مع ملاحظة أن الهذاءات قد توجد في أمراض أخرى، ولكنها ليست العرض الرئيس كما هو الحال في هذاء الاضطهاد، ولا تتسم بالتنظيم والاستمرار. ويا للأسف الشديد فإن نسبة

الشفاء من هذا المرض محدودة جداً(٧).

ويؤكد كولمان Coleman أن لفظة الهذاء Paranoia تستخدم من قديم الزمان. فقد استخدمها اليونان والرومان للإشارة إلى أيّ اضطراب عقلي دون تمييز. وأصبح استخدامها الحديث أكثر محدودية بفضل الأعمال العلمية لعالم النفس الشهير كريبلين(٨) Kreepelin حيث استخدمها فقط للإشارة للمرضى الذين يظهرون نمطاً من الهذاءات المنتظمة أو المنظمة Systematized delusions دون أن يصاحب ذلك تدهور في الشخصية Personality deterioration.

نوعا الهذاء

هناك نوعان من الاضطراب يقعان تحت هذا الاصطلاح:

النوع الأول: البارانويا Paranoia، وتظهر في نسق من الهذاءات المنظمة، والتي تكونت ببطء في المريض، وتتركز هذه الهذاءات حول الاتهام أو العظمة أو الاثنين معاً Persecution and/or grandeur وفيما عدا هذه الهذاءات تظل الشخصية متماسكة دون تفكك أو عطب(٩).

النوع الثاني: حالة الهذاء Paranoid state وتفتقر إلى الخصائص المنتظمة والمنطقية التي تميز النوع الأول، ولا يظهر فيها التدهور الذي يصاحب ذهان الفصام(١٠) Schizophrenia ولكن يعاني المريض هنا من الهلاوس Hallucinations. والبارانويا قليلة الوجود في المستشفيات العقلية، ولا تمثل سوى ٤ر١٪من مجموع حالات الدخول. وكان يظن، قديماً، أن هذه الحالات تكثر بين الرجال أكثر منها بين النساء، ولكن تبين - مؤخراً - أن نسبة الإصابة بين النساء أكثر منها بين الرجال، وتصل النسبة إلى ١ - ٧١ر١، ومتوسط عمر المريض عند دخول المستشفى نحو ٤٨ عاماً، ومعظم الحالات يراوح عمرها بين ٣٥ و ٥٥ عاماً. ومستوى الذكاء والمستوى الاقتصادي للمرضى أفضل منهما لدى طوائف مرضية أخرى. وقد وجد أن هناك ١٠٪ منهم وصلوا في التعليم إلى المستوى الجامعي في مقابل ٥٪ من كل نزلاء المستشفى العقلي. ولكن هذه الإحصاءات لا تعبر عن حقيقة انتشار المرض؛ ذلك لأن المرضى لديهم ما يكفي من القدرة على الحكم على الأشياء،



الشعور بالعظمة من أعراض البارانويا

وما يكفي من ضبط ذواتهم، وما يكفي لعدم الإيداع في المستشفى. وتوجد هذه الحالات بين المخترعين ورجال الأعمال والمتطرفين في الدعوات للإصلاح والكتّاب، وهم لا يدخلون المستشفى - عادة - مالم تصبح حالاتهم خطيرة على المجتمع. وتكمن الخطورة في توهم المريض أن هناك من يحوك ضده المؤامرات لاغتياله، فيبادره هو بالقتل(١١).

درجات متفاوتة من الشعور بالاضطهاد والظلم

لا يخلو المرء من الشعور، أحياناً، بأنه مظلوم، وأن حقوقه مهضومة أو مهدرة، وأنه سيئ الحظ، وأن الناس جميعاً أصبحوا ظالمين، ولديهم الكثير من مشاعر القسوة والعنف والاضطهاد ضده. وقد يشعر بأن كل ما يعمله إنما هو خطأ، وأن الظروف كلها ضده، وأن الدنيا قد أدارت له ظهرها، ويشك في نوايا الناس وفي دوافعهم، ويأخذ في لوم الآخرين لما يواجهه من صعاب في الحياة، ويشعر أن معظم الناس أنانيون وقساة، وأن الرجل الأمين في هذا المجتمع لا يجد مكاناً لائقاً به، أو فرصة عادلة له، ويشعر أنه قد أسيء استغلاله أو تم ابتزازه، ولذلك يشعر بالمرارة ويشعر بالإحباط والإخفاق، وأنه قد بخست قدراته، ويشكو من الظلم الحقيقي أو الوهمي Fancied or real injustice.

ويشابه الموقف في حالة ردود الفعل الهذائية ذلك، ولكن مع كثير من المبالغة والتضخيم، إذ يشعر الفرد أنه قد تم عزله، وأن الناس تستغله، وأساؤوا معاملته، أو خططوا ودبروا للانتقام منه وسرقوه، وتجسسوا عليه، وأهملوه، وأن أعداءه - أي الذين يتوهم أنهم أعداء له - يسيئون إليه. ويدور الهذاء عند المريض حول موضوع دائم مثل الوظيفة، أو الوضع الاقتصادي، أو حول اختراع ما، أو حول زوجته التي يعتقد أنها غير أمينة، أو غير ذلك من شؤون الحياة. وهناك من يصنف حالات البارانويا وفقاً للمجال الذي يظهر فيه الهذاء أو الذي يدور حوله هذاء المريض، كأن يكون الدين أو العشق والحب أو القانون أو الاتهام أو السب والقذف ضد المريض أو العظمة أو الغيرة أو الشك والريبة. ولكن هذا التصنيف غير مجد وذلك

لتعدد المجالات التي قد يتخذها الهذاء لدى المريض الواحد. فالموظف قد يشعر أن زملاءه ورؤساءه يخططون لإيذائه لأنهم يشعرون بالغيرة من قدراته وكفاءته، ولذلك قد يترك العمل ويذهب إلى مكان آخر، ويشعر بذلك من جديد، وفي هذه الحالة يتوهم أن صاحب العمل الأول قد كتب ضده لصاحب العمل الجديد، وبذلك حول الجميع هنا ضده. ومن هنا حُرم من الفرص العادلة. وبمرور الوقت تدخل موضوعات أخرى من حياته في عالم الهذاء، وعلى ذلك يسيء فهم الأحداث ويفسرها في ضوء هذه الضلالات أو الهذاءات.

وعلى الرغم من عدم صحة الأدلة التي يسوقها لهذاءاته فهو غير مستعد للتراجع عنها. وقد يشك في زوجته، لأنه حدث في مرة أو اثنتين أنه عندما أجاب على الهاتف كانت تذهب لمارسة الجنسية المثلية بعدها مع شقيقته، وقد أسس هذاءه هذا على عدة أشياء تبدو له منطقية، منها أن زوجته قد أُمّنت عليه بمبلغ من المال بعد زواجها منه مباشرة، وأن هناك شاباً صغيراً كان صديقاً لها قبل الزواج، وأنه مات صغيراً أيضاً وفجأة، كما كان يعتقد أن والدي زوجته يعانيان من المرض ذاته. وأن طعامه قد تغير طعمه منذ عدة شهور قبل أن يقتل زوجته، كما أنه كان يعاني من بعض الآلام في الصدر(١٢).

هذاء العظمة

ومع أن معظم هذاءات المريض بالبارانويا تدور حول الاتهام والاضطهاد، إلا أن هناك حالات تعاني من جنون العظمة أو هذاء العظمة Grandeur حين يخلع المريض على نفسه السمو والرفعة والتقدم والنبوغ والقدرات الخارقة والفريدة. وقد يتوهم

ويتصور المريض أنه اخترع اختراعاً عظيماً، وبعد فترة يتوهم أن الناس تحوك المؤامرات لسرقة هذا الابتكار منه. ويفكر هؤلاء المرضى أن الدولة تخطط لحرمان المجتمع من الإفادة من اختراعاتهم وعبقرياتهم talents، ومنهم من يدعي اختراع سلاح يستطيع أن يدمر حصون الأعداء، وقد يذهب إلى المؤسسات الحكومية فعلاً طلباً للمساعدة في إنجاز اختراعه، وقد يدّعي الألوهية أو النبوة. وقد قابل كاتب هذه السطور مريضاً من هذا النوع في مستشفى الخانكة العقلي، وعرض عليه هذا المريض اختراعه لتوليد الكهرباء بدلاً من السد العالي، وأن كيلو الكهرباء يكلّف مليماً!

مريض مقنع

ولكن خلافاً لهذه الهذاءات قد يبدو المريض سوياً في الجوانب الانفعالية، وفي محادثاته وفي سلوكه. ولا توجد هلاوس وغيرها من أعراض الأمراض العقلية إلا قليلاً. فمظهره الطبيعي ومنطقه وتماسكه تجعل أفكاره الهذائية تبدو مقنعة ومنطقية. ويروي التراث العلمي حالة رجل ادعى أنه أستاذ علم الاجتماع، وأنه يسافر عن طريق إيقاف السيارات لنقله مجاناً من أجل الدراسة والعلم. وأنه إنما يعمل ذلك لدراسة الظاهرة الاجتماعية عن كثب أو عن قرب باتخاذ الطبيعة معملاً أو مختبراً له. وكان محدثه يصدقه أول وهلة. وكان يمثل دور الأستاذ تمثيلاً جيداً. وبما أن هذا الهذاء يدور حول بعض المظالم الاجتماعية الحقيقية يصبح من الصعب تمييز الحقيقة من الأوهام.

وعلى ذلك قد يقنع المريض أسرته وأصدقاءه والمسؤولين الرسميين إذا كانوا حسني النية. ولكن هناك أموراً أخرى تكشف حالته، من ذلك عدم قدرته على رؤية الأشياء من منظور آخر، وقلة الأدلة لديه

يدور الهذاء عند المريض حول موضوع دائم مثل الوظيفة، أو الوضع الاقتصادي، أو حول اختراع ما، أو حول زوجته التي يعتقد أنها غير أمينة، أو غير ذلك من شؤون الحياة

سكت المتحدث من الطرف الآخر، وإذا حدثه أحد للإقلاع عن هذاءاته اعتقد أنه مدفوع ضده من قبل «أعدائه».

ويحدثنا التراث العلمي عن كثير من حالات جنون الاضطهاد وجنون العظمة. فقد يجلس المريض ساعات طوال على باب المؤسسة معتقداً أنه يؤدي واجبات وظيفية، وأنه إنسان عظيم، ومن بين هذه الحالات حالة رجل عمره ٣٣ عاماً قتل زوجته بأن هشم رأسها بالمطرقة، لأنه كان يعتقد أن زوجته تعاني من مرض خطير معْدٍ، وأنها قد عمدت إلى نقل المرض إليه، لأنها تريده أن يموت. ومن ذلك أنها كانت تمنعه من ممارسة الجنس معها بصورة طبيعية، وأنها

المريض أنه أذكى الناس جميعاً، وأنه قادر على إيذائهم دون أن يدركوا خططه.

وقد تدور أفكار العظمة حول القيام برسالة نبوية أو رسالة للإصلاح الاجتماعي، أو الاختراعات البارزة، أو يعتقد المريض أنه تلقى تكليفاً من الله تعالى لإصلاح البشر وإنقاذهم، وإنقاذ العالم، ولذلك يقضي معظم وقته في الوعظ والإرشاد، أو يضع نفسه في موضع الصلب، ويهدد الناس بدخول النار، وذلك بغية إقناع الناس بمذهبه الديني الجديد. وقد ينتمي إلى بعض المنظمات أو الحركات الإصلاحية الاجتماعية، وقد يؤذي نفسه(١٣) من خلال هذا النشاط.

على ادعاءاته بالنسبة إلى ما يتوصل إليه من النتائج، وشكوكه، وعدم القدرة على الاتصال عندما تفحص هذاءاته.

ويورد كولمان قصة حالة لسيدة جميلة في الحادية والثلاثين من عمرها تعمل ممرضة في أحد المستشفيات، وكان والدها مدمناً شرب الخمر، وكانت أمها قد توفيت والمرضة مازالت صغيرة لم تتجاوز سن الخامسة من عمرها، ولذلك اضطربت الأسرة، وكان لها أخوات اضطررن للانفصال، وتولى تربيتها هي بعض الأصدقاء والجيران. ذاكرت باجتهاد وحصلت على منحة حتى حصلت على شهادة في التمريض وهي في سن ٢١ عاماً. وكان لديها بعض الصعوبات الجنسية، منها إصابتها بالبرود الجنسي. وبالنسبة إلى العمل فقد اشتغلت ممرضة في القوات المسلحة الأمريكية، وبعدها لم تتمكن من البقاء طويلا في أية وظيفة التحقت بها. وكانت تختلف مع العاملين معها.. ووجدت صعوبة في التكيف المهني والاجتماعي مع زملائها في العمل، حيث كانت تصطدم معهم، وتفسر تعليمات العمل بطريقتها الخاصة. وكانت تتمسك بالدقة الشديدة، وتعتقد أنها تستطيع أن تغير ظروف العمل، وتعطي لنفسها سلطات أوسع من نطاق وظيفتها، وتعتقد أنها موهوبة، وأنها قادرة على كل شيء، وتتوخى الكمال المطلق، وكانت شديدة النقد، وتصر على تنفيذ تعليماتها حرفياً. وظلت تنتقل من وظيفة إلى أخرى. وكانت تعلل صعوباتها بإخفاقها في قصة حب، وكانت تتهم الممرضات بالتجسس عليها والكذب عليها وعدم التعاون معها.

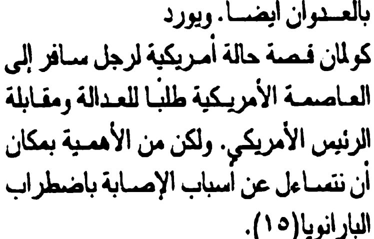
ومع أنه ليس من الضروري أن تكون جميع حالات البارانويا حالات عدوانية، إلا أن هناك كثيراً من الحالات التي ارتكبت فيها جرائم قتل فردي أو جماعي ضد الأشخاص الذين يتوهم هؤلاء المرضى أنهم أعداؤهم، فقد يتوهم المريض أن هناك أشخاصاً يتابعونه أو يسيرون وراءه؛ ولذلك ينقض عليهم ويقتلهم(١٤).

البارانويا كحالة

إلى جانب ذهان البارانويا هذا هناك ما يسمى بالبارانويا، كحالة. وفي هذه الحالات، فإن الهذاء لا يكون منتظماً بالدرجة نفسها التي رأيناها في الحالات السابقة، وتمثل حالة الوسط بين ذهان البارانويا وفصام الاضطهاد. في حالة البارانويا توجد بعض الاضطرابات في التفكير، وكذلك بعض الهلاوس وغيرها من الأعراض المرضية، ولكن دون وجود اضطراب حاد في الشخصية أو فقدان الاتصال بعالم الحقيقة، تلك التي توجد في الفصام. وتنمو الهذاءات هنا بصورة فجائية مع خبرات الحياة الصادمة. وقد تتسم هذه الحالات بالعدوان أيضاً. ويورد كولمان قصة حالة أمريكية لرجل سافر إلى العاصمة الأمريكية طلباً للعدالة ومقابلة الرئيس الأمريكي. ولكن من الأهمية بمكان أن نتساءل عن أسباب الإصابة باضطراب البارانويا(١٥).



فرويد

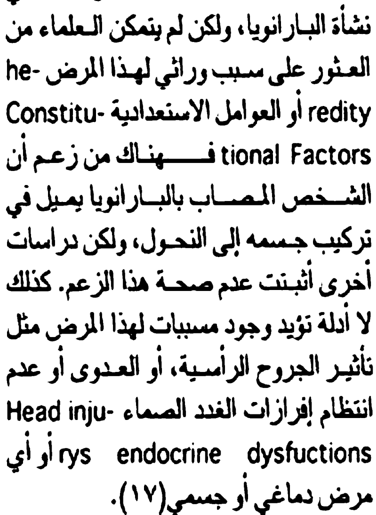


العوامل السببية

في تفسير نشأة هذا المرض، كما هو الحال في نشأة غيره من الذهانات العقلية، هنا ما يعرف باسم العوامل المهيئة أو الاستعدادية التي ترشح الفرد وتعده وتهيئه للإصابة، وتستمر في تأثيرها على مدى طويل حتى يظهر الانهيار، على أثر توفر عامل سببي آخر، أو مجموعة أخرى من العوامل السببية هي العوامل الدافعة أو المعجلة بحدوث الإصابة أو المفجرة، وهي بمنزلة البارود الذي أشعل الحطب الجاف المعد أصلا للاشتعال أو الضغوط المفجرة Precipitating stress.

وفي إطار تفسير هذا المرض، يتبنى الكاتب الاتجاه المتعدد العوامل في تفسير الأمراض النفسية والعقلية؛ إذ لا يرجع الاضطراب العقلي، في الغالب، إلى سبب واحد بعينه، وإنما يرجع إلى مجموعة متضافرة متفاعلة من العوامل الوراثية والبيئية، إلى جانب عامل الوقت أو الزمن الذي لابد أن ينقضي قبل أن تظهر الإصابة. حيث تشتد الضغوط على كاهل الإنسان فترة طويلة من الزمن. أما العوامل العارضة والمؤقتة أو الوقتية فإنها في الغالب يزول أثرها بزوالها(١٦).

ومن بين هذه العوامل السببية العوامل الحيوية (البيولوجية). لقد تمت دراسة العوامل البيولوجية Biological Factors في نشأة البارانويا، ولكن لم يتمكن العلماء من العثور على سبب وراثي لهذا المرض he-redity أو العوامل الاستعدادية Constitu-tional Factors فهناك من زعم أن الشخص المصاب بالبارانويا يميل في تركيب جسمه إلى النحول، ولكن دراسات أخرى أثبتت عدم صحة هذا الزعم. كذلك لا أدلة تؤيد وجود مسببات لهذا المرض مثل تأثير الجروح الرأسية، أو العدوى أو عدم انتظام إفرازات الغدد الصماء Head inju-rys endocrine dysfuctions أو أي مرض دماغي أو جسمي(١٧).



أما بالنسبة إلى العوامل المسببة النفسية (السيكولوجية) Factoral Psychological فهي أكثر أهمية في نشأة اضطراب البارانويا. فبعض هذه العوامل النفسية يرجع إلى الطفولة الباكرة، وبعضها يرجع إلى السن المتقدمة. ومن بين هذه العوامل نوع العلاقة بين الطفل والوالدين. فمن هؤلاء المرضى من كان منعزلاً أو منسحباً أو لا يبدي اهتماماً عاطفياً بمن حوله Aloof، وكان شكاكاً مرتاباً معانداً وساخطاً أو متبرماً من نظام التربية أو التأديب. وليس لهم - كأطفال - تاريخ طبيعي في اللعب مع غيرهم، ولم يتمتعوا بظروف جيدة في عملية التنشئة(١٨) الاجتماعية؛ تلك العملية التي يمتص الإنسان من خلالها قيم المجتمع ومثله، ومعاييره ونظمه، وقواعده وعاداته وتقاليده وقوانينه، لكي يصبح بذلك كائناً اجتماعياً متكيفاً مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه Socialization.

إنهم يحسون بمعنى الحرمان من الحب والعطف والدفء والحنان والعلاقات العاطفية مع الآخرين. فكثير منهم فقدوا الآباء وهم مايزالون أطفالاً في سن مبكرة، وعاشوا في جو أسري دكتاتوري أو استبدادي أو تسلطي أو قمعي Suppressive، وكانت الأسرة تشعر بالعظمة والعلو والسمو؛ ذلك الشعور الذي قصد به أن يغطي عدم القبول الذاتي، ويغطي مشاعر النقص والدونية، ومن شأن هذا الشعور أن يخلق في الطفل ضرورة أن يصبح عظيماً وسامياً Superior متسامياً على غيره. ولا بد أن يكبت مشاعر والديه بالسخط والحنق والضجر والتبرم والعدوان والعداوة وعدم الثقة.

ولا شك أن مثل هذه المشاعر تلون أو تصبغ مشاعره نحو الناس الآخرين بشكل عام؛ لذلك ينعزل أو ينسحب من معترك الحياة الاجتماعية أو يدخلها، باتجاه معاد ومتسلط، مما يجعل الآخرين يبتعدون عنه. وبسبب الخطأ في عملية التطبيع الاجتماعي، فإنه يعجز عن فهم دوافع الآخرين، ووجهات نظرهم، ويقوده هذا إلى الشك وإلى التفسير الخاطئ لسلوكهم. ويؤثر هذا الإخفاق الاجتماعي في احترامه لذاته، ويقوده إلى مزيد من العزلة الاجتماعية، ومزيد من عدم الثقة في الآخرين(١٩).

وبنمو الشخصية، فيما بعد، تقود هذه النزعات الباكرة إلى الشعور بالأهمية الذاتية، والجمود، والشك والريبة، والشغف بالسيطرة والعلو والتسامي والتفاخر والمباهاة. ويلوم المريض الآخرين بسهولة، ويشعر بالإهانة لأبسط الأسباب، وأنه نساء معاملته، وليس لديه إيمان أو ثقة كبيرة بدوافع الآخرين أو نواياهم، مع إظهار التكبر والتعجرف والتغطرس Arrogant. إن هؤلاء المرضى يضعون أهدافاً وطموحات عالية جداً، وكذلك تكون توقعاتهم غير واقعية. وعلى ذلك يرفضون وجود أية مساومات أو تسويات في مواجهة مشكلات الحياة عن طريق تبني أهداف أكثر واقعية. إنهم يتوقعون أن ينالوا المديح والثناء والإطراء حتى لمجرد الإنجازات البسيطة التي يحققونها. وعندما يحرمون من هذا المديح، فإنهم ينسحبون. وعلى الرغم من أن مثل هؤلاء الناس يكون لديهم اهتمامات واسعة، ويبدون كما لو كانوا أسوياء بصورة عامة في سلوكهم، فإنهم عاجزون عن الانتماء إلى الآخرين، ويبدو عليهم العدوان والتعالي.

وإلى جانب هذا يوجد شعور قوي لدى مرضى البارانويا بالنقص والدونية Inferiority وهم يغطون هذا الشعور بالنقص بالشعور بالتسامي والتعالي والعظمة وبإعطاء أهمية للذات. ويبدو ذلك في حاجتهم الملحة إلى المديح والإطراء والاعتراف بهم، وشدة الحساسية إزاء النقد الذي يوجه إليهم؛ إذ يمتلئ تاريخ حياتهم بمواقف الإخفاق والإحباط، ولاسيما مواقف الحياة الحاسمة أو الحرجة، والمواقف الاجتماعية والمهنية والزواجية أو الأسرية، والجمود، وعدم وجود أهداف واقعية، والعجز عن التعامل مع الآخرين؛ ولذلك فإن أي إخفاق يؤدي إلى اضطراب مريض البارانويا بشدة، ويدفعه إلى شعور بالنقص الشديد، ويعزو إخفاقه إلى الآخرين، ويعتقد أنهم يسخرون منه، ويحتقرونه. ويشعر بأنه أخفق لا لعجز لديه، وإنما لأن الآخرين يحسدونه، ويحقدون عليه لقدراته العظيمة الفائقة، وأنهم يعملون كل شيء ضده. ويبني لنفسه صورة من مجتمع زائف يدخل ضمن هذاءاته. ويفسر كل شيء في ضوء هذا النظام الهذائي الذي بناه في خياله وأوهامه، ويحمل الأحداث الصغيرة معاني أكثر مما تحتمل، فإذا سقطت رافعة من العامل الذي يعمل بالقرب منه في المصنع، فإن ذلك يستهدف قتله، وإذا سمع الناس يتكلمون فإنهم إنما يتحدثون عنه(٢٠).

ويفسر المريض كل شيء في ضوء

يوجد شعور قوي لدى مرضى البارانويا بالنقص والدونية وهم يغطون هذا الشعور بالتسامي والتعالي والعظمة وبإعطاء أهمية للذات

نظامه الهذائي، وتأخذ الأحداث البسيطة والتافهة معاني أكثر مما تحتمل، فكل عمل يستهدف إيذاءه، وكل محادثة تدور حوله. ويعتقد أنه إنسان مهم وعظيم وإلا ماكان أعداؤه يلاقون كل هذه المتاعب بسببه.

البارانويا والمهنة

والحقيقة أن نوعية الهذاءات تتعلق بمهنة المريض ومستواه التعليمي واهتماماته، فالرجل الذي يهتم بالثقافة الدينية يتصور أنه مرسل لإنقاذ العالم، والرجل المشتغل بالأعمال الآلية (الميكانيكية) يتصور أنه مخترع عالمي عظيم، وقد يتصور أنه مخترع كبير في عالم الذرة، وأن مقاومته تكلف خصومه الملايين. وما إن يتكون هذا النظام الهذائي حتى يرفض المريض كل الأدلة التي ترفض هذاءاته.

ومن بين الأسباب التي تكمن في خلفية نشأة هذا المرض سوء التكيف الجنسي Sexual maladjustment، ومن ذلك نزعات الجنسية المثلية، والصراعات المرتبطة بهذا المجال Homosexual conflicts، إلى جانب العوامل الاجتماعية Social factor، فقد وجد أن هؤلاء المرضى ينحدرون من الطبقات الاجتماعية العليا.

سبل الوقاية والعلاج

إن من الممكن في علاج هذه الحالات الاستفادة من استخدام العلاج بالصدمات، مع العلاج النفسي في الحالات الحديثة، أي غير المزمنة. ولكن في الحالات القديمة أو المزمنة يصعب العلاج، وهناك محاولات للعلاج بالجراحة، ولكن لم تتأكد بعد جدوى هذه الطريقة في العلاج. وحتى الإيداع في المستشفى العقلي يواجه عددا من الصعوبات؛ وذلك لحاجتهم إلى العلاج فترة طويلة، وكذلك اتجاهات السخط والرفض من قبل المريض، إذ يعتقد أنه دخل المستشفى للعقاب، وليس للعلاج(٢١). كذلك فإن المرضى يشعرون بالتعالي على المرضى الآخرين، وحتى على الأطباء، ويشكون بأن أسرهم والمستشفى وعماله قد انضموا إلى فرق أعدائهم، ولذلك يرفضون التعاون في مسألة العلاج(٢٢).

وقد وجد أن من العوامل التي ساعدت على الشفاء رغبة المريض في الشفاء، وبحثه عن النصيحة(٢٣). وفي جميع الأحوال، فإن العلاج لا تنعدم فائدته على القليل في التقليل من تدهور الحالة وتحولها إلى حالة مزمنة. وتساعد المعالجة على تدعيم الذات الوسطى لدى المريض وتقويتها، بحيث تحتمل في المستقبل مواقف الضغوط(٢٤) بصورة أكثر فاعلية.

الهوامش والمراجع

١- يقصد بحيلة العكسية Reaction formation إنكار الإنسان لدافع معين أو رغبة معينة، والتظاهر بضد هذا الدافع للتغطية، فالشخص البخيل يتظاهر بعكس ذلك، أي بالكرم الزائد، والشخص القليل الإيمان يتظاهر بالإيمان القوي، والمرأة المهملة تتظاهر بالمثالية.

٢- الإسقاط حيلة دفاعية Defense mechanism يسقط فيها الإنسان مشاعره ورغباته وخصاله السيئة على الآخرين، بمعنى أنه يراها فيهم. فالموظف المرتشي يرى جميع الموظفين مرتشين وهكذا.

٣- التسويغ Rationalization حيلة دفاعية يخترع فيها الإنسان أسباباً مقبولة ومحبوبة لسلوكه؛ وذلك لاحتفاظ الإنسان باحترامه لذاته.

٤- التعويض Compensation حيلة دفاعية يعوض فيها الإنسان عن نواحي النقص أو الإخفاق أو الإحباط عنده بالتفوق في نواحٍ أخرى، كالمرأة الدميمة التي تهتم بالنجاح في العمل، أو الشخص الفقير الذي يتفوق في تكوين الثروة، أو الطالب المتعثر علمياً يتفوق في النشاط الرياضي.

٥- عبد المنعم الحفني، موسوعة الطب النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٥٧.

٦- سعد جلال، في الصحة العقلية، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية ١٩٧٠م، ص٢٣٥.

٧- فرج عبد القادر وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، ب.ت ص ١٦٨.

٨- كريبلين: إميل كريبلين Emil Kraeplin ١٨٥٦ - ١٩٢٥م من أبرز علماء الطب النفسي الألماني، وإليه يرجع تصنيف الأمراض العقلية، ولذلك يُعدّ أبا التصنيف في الأمراض العقلية. تتلمذ للعالم فونت، واهتم بعلم النفس العيادي (الإكلينيكي) ودرس الجريمة.

9 - Coleman, J.C., Abnormal Psychology, Scott, Chicage 1956, P. 289.

١٠- يقصد بذهان الفصام Schizophrenia ذهان عقلي رئيس من أعراضه البلادة الانفعالية أو العاطفية، والاضطراب في الوظائف العقلية، والانسحاب من عالم الحقيقة والواقع؛ ومنه أنواع فرعية قد تصل إلى ستة أنواع منها الكامنة والبسيطة والمراهقة، والتخشبية والاضطهادية وغير المصنفة.

١١- عبد الرحمن العيسوي، الذهانات العقلية والأعصبة النفسية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٤م.

12 - Coleman, Op. Cit., P. 290.
13 - Op. cit., P. 291.
14 - Op. Cit., P.293.
15 - Op. Cit., P. 294.

١٦- عبدالرحمن العيسوي، باثولوجيا النفس، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٨٩م.

17 - Coleman, P. 294.

١٨- يقصد بعملية التنشئة الاجتماعية للطفل والكبار Socialization تشكيل خصائص الفرد وأخلاقياته وسلوكه من خلال التدريب والتعليم والتلقين من قبل البيئة فيكتسب الفرد القيم والمثل والعادات والتقاليد والأعراف والنماذج والقواعد المرعية.

19 - Coleman, P. 295.
20 - Op. Cit., P. 296.
21 - Op. Cit., P. 298.
22 - Op. Cit., P. 299.

٢٣- عبد الرحمن العيسوي، العلاج النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٢٤- عبد الرحمن العيسوي، الإرشاد النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

ريتشارد بورتون

رحلات في بلاد العرب

عبدالرحيم الوهابي
طنجة - المغرب

في بارم هاوس بمقاطعة هورتفورد شاير، على الساحل الجنوبي من إنجلترا، وفي التاسع عشر من شهر مارس / آذار من عام١٨٢١م رزق ضابط في الجيش البريطاني بصبي قيض له أن يحوز من الشهرة ما جعله من أبرز شخصيات العصر الفكتوري وعظمائه.

من أصول إنجليزية وإيرلندية وربما فرنسية - حسب الموسوعة البريطانية - ترعرع ريتشارد فرانسيس بورتون في بيت عائلة رفيعة النسب، افتقرت بعد غنى، وكانت أمه تدّعي أن دماء ملكية تجري في عروقها.

اهتم كتاب السيرة الأوربيون به، وصدر أول سيرة له قبل مماته بسنوات، وكان من آخرها «ثلج على الصحراء» لفرانك ماكلين الصادرة عام ١٩٩٤م، كما كتبت عنه زوجته إيزابيل «سيرة الرائد رينشارد بورتون» (جزآن - لندن ١٨٩٣)، ودودج، «السير ريتشارد بورتون» (ط ١٩٠٧/٢م)، وفان برودي.

فوضوية وتناقض!!

إنه كاتب وشاعر ومترجم، ولغوي، ومستعرب، وعسكري، ودبلوماسي، وباحث في علم الإنسان (انتربولوجي)، وعلم الآثار القديمة (أركيلوجي)، ورحالة ارتبط اسمه بأحد أكبر الاكتشافات الجغرافية، وعرف برحلاته في مختلف أرجاء هذا العالم.

ريتشارد بورتون

كان فوضوياً متقلب السلوك، مغرقاً في التناقض، جمع بين التعالي والتواضع، واللطف والقسوة، وكان يحب الشهرة، لكنه كان دائم الإحساس بأنه لم يُوفَّ حقَّه، وكان بارعاً في المصارعة والمبارزة بالسيف واستعمال المسدس، ولوعاً بتعلم اللغات؛ إذ كان يمتلك ناصية ٢٩ لغة، وما لا يقل عن ١٢ لهجة، حتى قيل: إنه كان يتعلم لغة في بضعة أشهر. كما تميز بورتون بغرابة الأطوار، وبطبعه المتمرد، وإصراره على الحصول على مبتغاه، وقبل هذا وذاك بالعبقرية الفذة إلى حد جعل بعضهم يرى أن به مسّاً. وتحيّر آخرون في القطع برأي: هل عبقرية بورتون جعلت

منه مجنونًا أم جنونه جعل منه عبقريًا؟ كان يكره النساء، ومع ذلك تزوج امرأة متشددة في تدينها. تعددت مواهبه. لكنه كما كتب عنه: «كانت له مواهب باستثناء موهبة الاستفادة من مواهبه، رافقه سوء الحظ والغرابة طوال حياته. كان أسود العينين داكن البشرة وسط أسرة كل أفرادها زرق العيون بيض البشرة، شرقي الملامح»، وصفه آرثر سيمونز بقوله: «وجنتاه وجنتا عربي، وعيناه عينا غجري، وملامحه برونزية، وفمه ينبئ عن الحزم والعزم، وجهه ليس فيه جمال، ولكن فيه قسوة مكبوتة وشيطانية وجاذبية لا تستطيع أن تعين مصدرها». وتقول الكاتبة الإنجليزية أويدا OIDA (١٨٣٩ - ١٩٠٨م): «لقد كنت دومًا أتساءل من أين استقى بورتون ملامحه الشرقية».

نشأ بورتون عاشقًا للتشرد والتنقل، وعانت أسرته كثيرًا من شقاوته. تمرد على أنظمة المدارس التي ألحق بها، وكان يفتعل المشاجرات والمشكلات ليطرد منها. كان أمل العقيد بورتون أن يلج ابنه السلك الكنسي فأرسله إلى أكسفورد، وفيها أحب أن يدرس اللغة العربية، فأخذ يتعلمها اعتمادًا على نفسه، وقد استطاع أن يخترع لنفسه طريقة في تعلم العربية مكنته من أن يلم بها في زمن وجيز، غير أنه سرعان ما طرد لشغبه وعدم انضباطه، لكنه مع ذلك كان يلتهم الكتب التهامًا، ويقرأ ما لا يقل عن ١٢ ساعة في اليوم، واستطاع أن يضيف إلى رصيده اللغوي لغات أخرى إثر استقالة والده من الجيش، وتنقل العائلة بين إنجلترا وبعض البلدان الأوربية بسبب داء الربو الذي كان ربُّ الأسرة يعاني منه.

في الهند

بعد أن أخفق بورتون في التمدرس النظامي والحصول على أية شهادة، لم يعد من سبيل أمامه سوى الجندية. وبعد تدخلات من والده، ومقابل ٥٠٠ جنيه استطاع أن يؤمن له منصبًا بشركة الهند الشرقية في بومباي كضابط برتبة ملازم ثان الناس، ولقب بـ «دك الشرير» و«دك القذر» ولفظ «دك» اسم تصغير لاسم ريتشارد.

ودفعه ولعُهُ بتعلم اللغات إلى محاولة تعلم «لغة» القردة، إذ جمع في بيته أربعين قردًا من شتى الأنواع ليدرس لغتها، ويدّعي بورتون أنه استطاع أن يميز بين ستين كلمة تستعملها القرود، ودوّن ملاحظاته عليها، ولكنها فقدت في حريق نشب في بيته.

واستطاع بورتون إتقان الفارسية على يد أساتذة مسلمين، وخلال ست سنوات أضاف إلى رصيده اللغوي ست لغات جديدة، مما حدا بالقيادة



ميدان في جدة من كتاب (Personal Narrative of A pilgrimage to Al-Madinah and Meccah)

في مدفعيتها. واستلم بورتون وظيفته في ١٨ يونيو/حزيران ١٨٤٢م، ولاحقته غرابة أطواره إذ ندّت عنه تصرفات مثيرة للدهشة والاستغراب، وفي بعض الأحيان للتقزز، مما خلق له متاعب مع رؤسائه، وأكسبه سمعة سيئة لدى إلى اتخاذه مترجمًا بالجيش، وكان الضابط الوحيد الذي يتكلم لغة السيخ.

وطوال الفترة التي قضاها بالهند أصبح بورتون أشبه بالرجل الشرقي مع احتفاظه بآرائه الأنجلوسكسونية، مازجًا بهذا بين

احتقاره للسكان المحليين وفضوله إزاء عاداتهم وعباداتهم، مما دفعه إلى التفقه في الديانة البراهماتية والتنكر - وهو المجيد لفن التنكر - في ثياب الأهالي أو التجار، بل استئجار دكاكين تجارية للاختلاط بالناس، وساعدته سحنته وإتقانه للغات على مهمته. ودوّن كل ما وصل إلى سمعه، وانتهى إلى علمه، خصوصاً أنه أطلق على نفسه اسم ميرزا عبدالله، وراح يزعم أنه تاجر من بوشهر، مدعياً أن نصفه عربي ونصفه الآخر فارسي مما جعل الناس لا يستغربون نطقه الغريب باللغة العربية، وترك لحيته تنمو، وراح يخضب أجزاء من جسمه بالحناء كي يغدو لونه أكثر دكنة. وحذق بورتون تذليل الخيول البرية، وترويض الأفاعي السامة، واقتنى مجموعة من التحف الشرقية، ولكن الحريق - الذي سبق ذكره - أتى عليها.



إيزابيل زوجة بورتون

في أرض الكنانة

بعد ست سنوات من الإقامة في الهند ارتأى ريتشارد بورتون أن يأخذ إجازة مرضية طويلة، ويعود أدراجه إلى أوربا بعد أن شعر أن مستقبله في الهند قد انتهى. وبدأ بتدوين ذكرياته ومغامراته الهندية، غير أن أربع سنوات من حياة الدعة دفعته إلى البحث عن المغامرة، وعاوده الحلم بالمجد، وحنّ إلى الترحال، فتفتق ذهنه عن مشروع رحلة إلى جزيرة العرب، فعرض مشروعه على الجمعية الجغرافية، فلقي منها الترحيب على الفور، واقترحت عليه شركة الهند الشرقية - الممولة للمشروع - دراسة بعض اللهجات، وتمتين لغته العربية أوّلاً.

ولقد كان من أهداف مشروعه:

- الحصول على لقب حاج لتسهيل مأمورية تجواله في كل البلدان الإسلامية، والوصول إلى الحرمين الشريفين، ووضع تصميم دقيق لهما يتيح للغربيين الاطلاع على أسرار المقدسات الإسلامية، وإزالة العار الذي لحق بنا - كما يقول بورتون - باكتشاف تلك البقعة التي توجد على خرائطنا دون أن نعرف عنها شيئاً.

- اكتشاف مناطق في الجزيرة العربية مازالت مجهولة، وجمع معلومات عن الربع الخالي لإدراجها في الخرائط.

- الحصول على الخيول العربية للجيش البريطاني في الهند.

وفي أبريل / نيسان ١٩٥٣م غادر بورتون ميناء ساوثهامبتون بعد أن خلع ملابسه الأوربية واستبدل بها ملابس مسلم إيراني، وفي أثناء الرحلة البحرية حاول أن يتقن تنكره كمسلم. وفي الإسكندرية عمد إلى دراسة دوره تماماً عبر ارتياد الحمامات والمقاهي والمساجد، وتقمص شخصية طبيب أفغاني مسلم من جنسية بريطانية، واكتسب شهرة جعلته مقصداً للعامة للتداوي. ثم اختار أن يتنكر في زي درويش متجول، وسمى نفسه الشيخ عبدالله، وانخرط في الطريقة القادرية، واعتقد الناس أنه من الأولياء ومن ذوي الكرامات. ويرى ديريك هوبوود أن ريتشارد بورتون حاول إخفاء بريطانيّته بالكامل من أجل أن يصبح عربياً، وذهب بعيداً في التخفي لأجل النجاح بالسفر إلى الحج، ولتحقيق الغرض ختن نفسه، وأسدل لحيته، وحلق رأسه، ولبس لباساً عربياً، وكانت حياته في خطر

في حالة اكتشاف أنه عربي مزيف. ويعتقد فاون برودي - كاتب سيرة بورتون الذاتية - أنه أراد إخفاء نفسه ليس من أجل التخلص من بريطانيته، بل لأنه وجد متعة في تزييف نفسه وخداع الآخرين!.

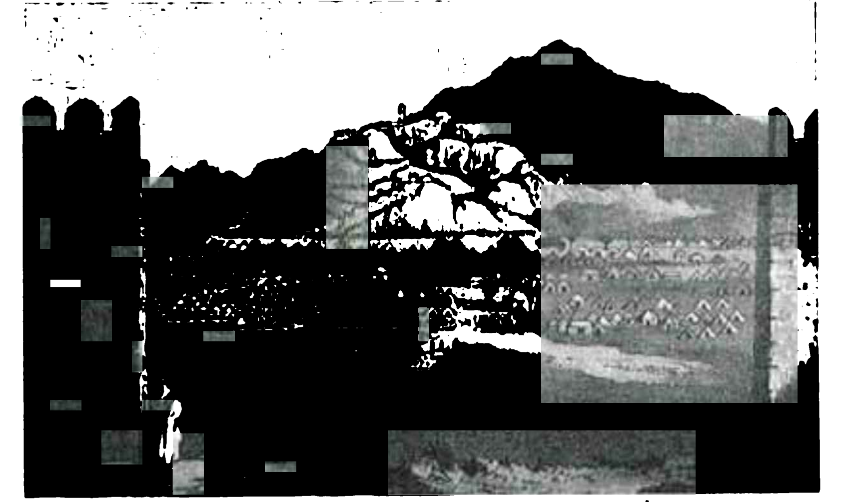
سجل بورتون طوال مقامه ملاحظاته ومشاهداته بدقة متناهية، واصفًا الناس وطبائعهم وعاداتهم، ومزاجية الرجل الشرقي، وتعاطيه للكيف، كما دوّن في أوراقه ما تعرض له من مشكلات الجوازات والرُشا والنشالين. ومن الإسكندرية انتقل إلى القاهرة عبر النيل على ظهر مركب بخاري، وسكن في فندق شعبي، وباشر عمله كطبيب، وصار يحضر حلقات الدرس والوعظ في الأزهر الشريف حتى لا يرتكب أي خطأ قد يودي به أو يخفق مهمته. وفضّل مغادرة القاهرة بعد أن أحدث شغبًا ذات ليلة عاقر فيها الخمر، وصدرت عنه تصرفات مشينة جعلته يسارع إلى استئجار جملين والالتحاق بقافلة من بدو سيناء متوجهة إلى السويس، وقد تعرّف إلى شاب مكّي يدعى محمد البسيوني اتخذه خادمًا ومرافقًا.

في بلد الله الحرام

من السويس استقل بورتون سفينة إلى ميناء ينبع، واستغرقت الرحلة إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ثمانية أيام، وتعرض الركب لهجوم قطاع الطرق غير أنه تمكن من الإفلات دون خسائر.

وفي ٢٥ يوليو/تموز من عام ١٨٥٣م دخل بورتون المدينة المنورة، وكان مُقامه بها شهرًا كاملاً أضاف خلاله إلى أوراقه الكثير مما رأى أو سمع، وكتب وصفًا للمدينة، ولمسجد النبي عليه الصلاة والسلام، وقد وجده، عكس ما كان يتوقع، بسيط الشكل والعمارة. كما وصف الشعائر الدينية التي شارك في أدائها.

وفي الطريق إلى مكة كان معظم سير القافلة ليلاً، وتعرضت لمناوشات الأعراب، وهجومات قاطعي الطريق. كما كاد أمره يفتضح إذ ارتاب أحد الحجاج في



رسم لجبل عرفات في أثناء الحج من كتاب (Personal Narrative of A pilgrimage to Al-Madinah and Meccah)

شأنه، فما كان من بورتون إلا أن قتله حتى لا ينكشف سره. ووصل الركب إلى مكة المكرمة في ٢١ سبتمبر/ أيلول ١٨٥٣م، ولم يتمكن بورتون - كما قال - من منع نفسه من الارتجاف خوفًا وهو يفكر بما قد يكون مصيره إذا ما افتضح أمره، واكتشف غشه وخداعه، لكنه

نجح في إقناع الآخرين في مكة بشرقيته. وقام بمعية الحجاج بأداء مناسك الحج، فطاف وسعى وقبّل الحجر الأسود، وصعد عرفات، ووقف مع تلك الحشود الداعية المبتهلة المكبرة المهللة. وهاله الأمر، وشدّه الموقف، وكتب قائلا: «لقد رأيت شعائر دينية في بلاد كثيرة، ولكني لم أشاهد في حياتي بتاتًا مثل تلك الشعيرة برهبتها وعظمتها». مضيفًا أن الإسلام هو دين الحس السليم. وفي وصف للكعبة والأجواء الروحانية المحيطة بها قال بورتون: «لم تكن هناك أجزاء قديمة من الصخر الرملي كما في مصر، ولا بقايا من الجمال المنحوت كما في اليونان وإيطاليا، ولا تلك الفطرية الرائعة كما في مباني الهند، ومع ذلك كان المشهد هائلاً وفريدًا! وكم هم قلة أولئك الذين شاهدوا الكعبة المقدسة! وإنني أقول بكل صدق: إنه من بين جميع العباد الذين تعلقوا

بالستارة باكين أو أولئك الذين ألصقوا قلوبهم النابضة بالحجر، فإن مشاعر أحد منهم لم تكن في عمق مشاعر الحجي (بورتون) القادم من الشمال. لقد بدا أن الأساطير العربية الشاعرية لم ترو سوى الحقيقة، وأن أجنحة الملائكة المرفرفة، وليس نسيم الصباح العليل، هي التي تنفخ في وداعة الرداء الأسود الذي يغطي النصب».

PERSONAL NARRATIVE OF A PILGRIMAGE TO AL-MADINAH & MECCAH
Sir Richard F. Burton
In two Volumes
VOLUME ONE

غلاف أحد كتب بورتون

مسرد شخصي

لقد كيف بورتون نفسه مع الظروف كافة، ولم يهمل أية تفاصيل مركزًا في العادات الاجتماعية، والمواقع الجغرافية، وجمع في دفاتره عددًا من الأمثال الشعبية والحكم، ودوّن الوصفات والأدوية الشعبية والحكايات والقصص، وذكر أنواع السلع والبضائع، بل وثمن الحبشيات وشكل بشرتهن، وتطرق إلى الضرائب، ونمط الزراعة، وحيوانات المنطقة وطرائق معالجتها من الأمراض، وعادات البدو، ورقصات الأهالي.

وقد جمع ذلك كله وضمه بين دفتي كتاب في مجلدين أسماه (مسرد شخصي لرحلة حج إلى المدينة ومكة) لم ينته من وضعه إلا بعد عامين من عودته إلى لندن عام ١٨٥٥م. وساهم هذا الكتاب في شهرة بورتون وذيوع صيته، وأصبح

> كان بورتون فوضويًا متقلب السلوك، مغرقًا في التناقض، جمع بين التعالي والتواضع، واللطف والقسوة، وكان يحب الشهرة، لكنه كان دائم الإحساس بأنه لم يُوفَّ حقَّه

من «أوثق» المراجع عند الأوربيين، وقد طبع عدة طبعات ولقي انتشارًا واسعًا، وحقق إيرادات جيدة. وترجمه مؤخرًا الباحثة د. عبدالرحمن الشيخ إلى اللغة العربية تحت عنوان «رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز» وصدر بمصر. وقد عرضت في شهر أبريل عام ١٩٩٩م الطبعة اللندنية للكتاب التي تعود إلى عام ١٨٥٥م للبيع في مزاد علني بدار كريستيز بلندن. كما عرضت الرحلة مع المجموعة الكاملة لأعمال بورتون في ٧٠ مجلدًا باللغة الإنجليزية، ومن ضمنها ترجمته لألف ليلة وليلة في ١٢ مجلدًا مجلدة بالجلد الأحمر المغربي ومزخرفة ومذهبة الأطراف. وعرضت بدار سوذبيز للمزاد بنيويورك، كما بيعت في فبراير عام ١٩٩٩م الطبعة الأمريكية ١٨٥٦م لرحلته مع ١٢ عملاً آخر في مزادات مؤسسة سوان النيويوركية. وفي مدينة شوندن البريطانية عرضت مؤسسة دومنيك ونتر للمزادات - ضمن مجموعة من الكتب حول المنطقة العربية - نسخة من الرحلة طبعت في أمريكا عام ١٨٩٣م. أما مؤسسة سوذبي اللندنية فقد بيعت بها نسخة من طبعة عام ١٨٧٩م.

بين مادح وقادح

اختلف النقاد في تقويم رحلة بورتون ونظرته إلى العرب، فمنهم من رأى أن تأثر ريتشارد بالجزيرة العربية - التي كان يعدّها أرضه المفضلة - جعله شديد الحماسة للعرب وأنه رأى النقد الأوربي للعرب - وقتذاك - كان من النوع السطحي الذي قال به مغامرون ولم يحتكوا إلا بالنماذج غير السوية. وأكنّ للبدو إعجابًا لا حدود له وذلك لشهامتهم، ونبل أخلاقهم، كما لمس في حياتهم اليومية العفوية، والاستخفاف بالماديات، والبساطة التي تجمع بين الخشونة والرقة معًا.

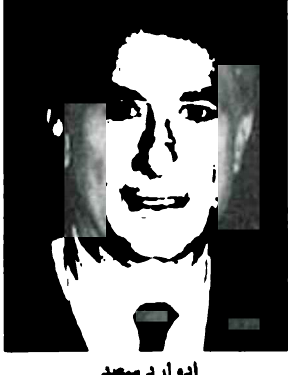
ويقول ماكلين: إن كتابات بورتون عن الأدب والثقافة العربية «كانت مفعمة بالملاحظات السلبية تجاه المسيحية»، واعترض - تحديداً - على فكرة الخطيئة الأصلية وكراهية الجسد. وعرف عن بورتون كراهيته للبابا، فقد وصف روما بأنها زريبة خنازير.

ويسترسل فرانك ماكلين مضيفاً أن عبقرية بورتون المستعرب هي التي زودت إنجلترا في العصر الفكتوري بأكمل صورها. ويقول أحد الباحثين: إن بورتون ترك للغربيين شهادة دقيقة على عصر لم يعد قائماً.

لكن في المقابل شكك بعضهم في نواياه العلمية بسبب تعصبه الواهم، وميوله السياسية، فكتب دي سباخ أن بورتون كان يكره الإدارة البريطانية وجيوش المبشرين والمستعمرين، إلا أنه كان مخلصاً لملكه، ومقتنعاً بتفوق الجنس الأبيض على كل الأجناس الأخرى. ويرى بعضهم أن بورتون كان إمبرياليًا بلا حدود ، وأنه لازمه الحلم بأن يمتدّ الحكم البريطاني إلى الجزيرة العربية كلها، ولذلك قدم اقتراحات كثيرة في كتبه حول سبل اكتساب البدو، وتجنيدهم في جيش الإمبراطورية. ويوضح روبن بادويل أن ما كتبه بورتون عن الحج يُعدّ، مثل كل كتبه، مملوءاً بالمشاهدات المفصلة والمعلومات الهامشية، ومملوءاً كذلك بالتحامل المتطرف المزوج بالفكاهة الممقوتة، وأنه لم يضف كثيراً للمعرفة الإنسانية، ولكنه نقل الجو السائد هناك، وروى لنا القصة بشكل أفضل، وبأسلوب مشوق أكثر مما فعل سابقوه. وأضاف بدويل أنه من المعروف أن اهتمامات بورتون بالرذائل كانت أكثر من اهتماماته بالفضائل. وقال أحد الباحثين: إن بورتون لم يَحد عن كونه رحالةً بزي عربي، لكنه بريطاني أجنبي التفكير، نصراني العقيدة.

أما إدوارد سعيد فيرى أن المراد من حجات بورتون وغيره في تلك الحقبة هو طرد العفونة التي سادت سجلات المحفوظات الاستشراقية السابقة، وكان ينتوى لكتابات هؤلاء الرحالة أن تكون مخزوناً طريًا للتجربة الاستشراقية بعد أن أصبحت كتابات المستشرقين مؤطرة إلى درجة سلبية بالمتطلبات الرسمية للمعرفة الاستشراقية. وإذا كان مستشرق القرن التاسع عشر إمّا باحثاً وإمّا موهوباً، فإن بورتون كان كلا هذين، لقد أراد من الشرق شرقًا فعليًا وليس إلهاميًا فقط، ولم يستخدم - كغيره - إقامته في الشرق لغرض محدد هو تزويد الاستشراق بمادة علمية فقط، بل كانت له النية المزدوجة للعمل في الوقت نفسه بأن يستخدم إقامته للملاحظة العلمية، مع الاحتفاظ بحضور قوي لشخصيته وأناه الفردية. ففي كل الكمية الضخمة التي نقلها من الاستشراق التاريخي والسياسي والاجتماعي لم تكن كتاباته أبداً خالية من بروز التفاعل الشخصي وكذلك حضور (الأنا) الغربية/ المتفوقة في مواجهة الشرق الضعيف. ويمكن ملاحظة ذلك في كتاباته من خلال لمس تصادم المعرفة الشخصية المتعاطفة والإنسانية بالشرق والمعرفة الرسمية الأوروبية بالشرق، أي تصادم الأنا الأوروبية والإحساس بالشرق.


عبد القادر الجزائري


إدوارد سعيد

منبع النيل

لم يستسلم بورتون، كعادته، لحياة الدعة والخمول، وانطلق مجدداً إلى عالم المغامرة، واختار هذه المرة منطقة القرن الإفريقي، وكان أول أوربي يصل إلى مدينة هرر في أرض الصومال، وكان ذلك إنجازاً باهراً يعد أخطر من رحلته إلى مكة. فقد تزيّا بزي بحّار مع ثلاثة من مرافقيه، ونزل على شاطئ زيلا، وكان ذلك يوم ٢٧نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٨٤٥م، ثم سار نحو

هرر على رأس قافلة صغيرة، ومثل بين يدي السلطان أحمد بن أبي بكر، وأدلى له بوثيقة مزورة تفيد بأن حاكم عدن هو الذي انتدبه ليمثله لدى السلطان، وانتهز فرصة وجوده في المدينة ليرصد كل ما يراه، ويتعلم اللهجة المحلية. وساح بورتون في أرض الصومال، وهاجم ذات ليلة بعض الأهالي معسكره، فقتل ضابط إنجليزي، وأصيب رينشارد بضربة رمح في وجهه تركت به ندبة طوال حياته.

تابع بورتون رحلاته في مجاهل إفريقية، واكتشف بحيرة تنجانيقا، وكان يظن أنها هي منبع النيل، وأرسل مساعده سبايك لاستكشاف بحيرة أخرى تقع إلى الشمال حدثه أهل المنطقة عنها، وهنا ارتكب غلطة حياته إذ ترك لسبايك مجد اكتشاف بحيرة فكتوريا التي هي المنبع الحقيقي للنيل. وعاد سبايك إلى لندن لينسب كل شيء إلى نفسه، ويحوز وحده على المجد والشرف والشهرة.

في بلاد الشام

لبث بورتون في لندن، وتزوج عام ١٨٦١م من سيدة شديدة التدين من أصل نبيل تدعى إيزابيل أروندل، على الرغم من رفض عائلتها مباركة الزواج، فقد كانت مغرمة به إلى حد الجنون، ونذرت حياتها له، عانت معه الكثير، وشدت معه الرحال أينما اتجه، وكانت ذات أثر كبير في مجده وعمله. واستطاعت بفضل علاقاتها أن تلحقه بالسلك الدبلوماسي فعين قنصلاً بإحدى الجزر على الساحل الغربي لإفريقية، ثم في البرازيل. وقد عانى بورتون الأمرّين في هذين المركزين. ونجحت الوساطات المتعددة في نقله إلى دمشق، وفيها وجد ضالته: سحر الشرق، وعبق التاريخ، وعراقة الحضارة، وبساطة الحياة، وحرارة الإيمان.

أشكال لتسريحات الشعر عند البدو كما جاء في كتاب (Personal Narrative of A pilgrimage to Al-Madinah and Meccah)

لبس الملابس العربية، لكنه أخفق في إيجاد متعة في التخفي، إذ كان معروفًا في دمشق بالقنصل البريطاني. وأكدت زوجته أنه لم يخف هويته بعدما أصبح «عربياً مسلماً»، ولبست بدورها الزي العربي الرجالي، زي الرجال السوريين الفضفاض والبرنس، فاعتقد الناس أنها ابن لبورتون.

وتسمى هذا الأخير باسم الحاج عبدالله، وأمّ المساجد، وحضر حلقات الذكر الصوفي، وأيد الحركة الشاذلية التي قامت بالمدينة، وربطته عرا الصحبة مع الأمير عبدالقادر الجزائري في منفاه الشامي. لكن الرياح تجري بغير ما تشتهي السفن إذ اكتسب بورتون عداوة الكثيرين، وكما تقول لزلي بلاتش: «في حين حاول بورتون أن يحافظ على تجرد حاذق في تعامله مع المسلمين، فقد كان مستحيلا عليه أن يخفي تفضيله لهم على اليهود والمسيحيين. ومع ذلك فقد صنع لنفسه الأعداء بسهولة بسبب نزعة التدخل في الشؤون الداخلية المحلية». فحاصرته الشكاوى المرسلة ضده إلى وزارة الخارجية البريطانية من كل جانب:

ـ المسلمون وقفوا ضد محاولات التبشير التي رعتها زوجته للترويج للنصرانية بمذهبها الكاثوليكي.

- المبشرون هاجموه لمنعه إياهم توزيع نشراتهم التبشيرية، واتهموه باللادينية وبارتياد المساجد.

- الرعايا البريطانيون لمسوا منه غروراً، واتهمه بعضهم بالجنون.

- أما اليهود؛ وجلهم من ذوي الجنسية البريطانية؛ فقد كانوا يلجؤون إليه يطالبونه باستعمال سلطته ونفوذه لتحصيل الديون ونسبة الربا الفاحشة المترتبة على الأهالي، فكان «يتلكأ». ومع كراهيته لليهود، وكشفه لأساليبهم الخسيسة في نهب الأموال واستغلالها، وإذكاء النعرات بين الأهالي (مسيحيين ومسلمين)، وكانت تهمة «العداء للسامية» جاهزة لتلصق به.

- الوالي التركي كان يتهمه بالتدخل في الشؤون الداخلية، وإثارة المستضعفين ضده.

فتم استدعاؤه في أغسطس/آب عام ١٨٧١م. وأصيب بورتون وزوجته بالذهول حين تلقيا النبأ، لأن الخروج من دمشق بالنسبة إليهما أشبه بالخروج من جنة عدن.

ذهب مدين

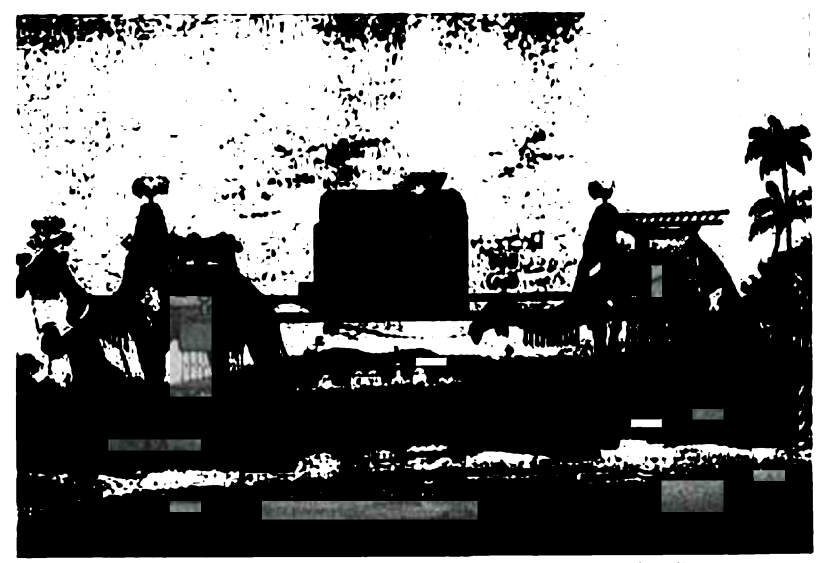
ما كان لبورتون أن يهنأ - على الرغم من الشهرة - بحياة لندن الرغدة، إذ سرعان ما تاق إلى سحر الشرق وحياة المغامرة والترحال؛ فكان المقصد هذه المرة أرض مدين القديمة بأقصى شمال الجزيرة، والتي لا يفصلها عن سيناء سوى خليج العقبة، بعد أن أقنع خديوي مصر عام ١٨٧٧م بأن يمول بعثة للبحث عن الذهب. وغطت البعثة ٢٥٠٠ ميل في غضون أربعة أشهر، وتم مسح ١٨ موقعاً لمستوطنات قديمة. وإذا كانت قد أخفقت في مهمتها الأصلية «العودة بالذهب» فإن عملية المسح التي أجراها بورتون في المنطقة عُدّت في رأي الجغرافيين أكبر مساهمة في زيادة المعرفة عن الجزيرة العربية، وأهم بكثير من رحلته الأولى.

خيمة يعلوها صليب

منح ريتشارد لقب فارس سان جورج عام ١٨٨٨م، ولقب فارس سان ميشيل تقديراً لخدماته للإمبراطورية البريطانية. ومنحته الملكة فيكتوريا لقب «سير»، ومنحته الجمعية الجغرافية الميدالية الذهبية، وكذلك فعلت الجمعية الجغرافية الفرنسية.

وفي ٢٠ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٨٩٠م رحل ريتشارد فرانسيس بورتون عن عالمنا، وقامت زوجته ببناء ضريح له في مقبرة مورتليك على شكل خيمة عربية من الحجارة والرخام يعلوها صليب.

وفي متحف مدام توسو ينتصب تمثال شمعي له بالملابس التي حج بها إلى مكة.



المحمل (Personal Narrative of A pilgrimage to Al-Madinah and Meccah)

أعماله

كتب بورتون في كل شيء: في الطعن بالسلاح الأبيض، والصيد بواسطة الصقور، وهندسة المناجم، وعلم الآثار، والتعدين، وحياة الثعابين، والطب، والرحلات، وتسلق الجبال، والدين...إلخ، وكان من جملة اهتماماته الغريبة قضايا الجنس



رمي الجمرات من كتاب (Personal Narrative of A pilgrimage to Al-Madinah and Meccah)

والانحرافات الجنسية، وترجم فيها عدة كتب إلى الإنجليزية، ومنها كتاب «الروض العاطر» للنفزاوي، وقضى في ترجمته ١٤ سنة، وأوشكت كتاباته في هذا المضمار أن تؤدي إلى تقديمه إلى المحاكمة بموجب قانون المنشورات المعمول به آنذاك. وقد نشرت بعض المؤلفات الأكثر جرأة في طبعات خاصة عادت عليه بثروة.

أما في وصف رحلاته فقد صنف ٤٠ مجلداً حازت إفريقية وحدها على ١٣ كتاباً. ومن رحلاته: «مسرد شخصي لرحلة حج إلى المدينة ومكة» عام ١٨٥٥م، و«الخطوات الأولى في إفريقية الشرقية» عام ١٨٥٦م، و«مناطق البحيرات في إفريقية» عام ١٨٦٠م؛ وهو أهم المراجع في الدراسات الإفريقية، و«التطواف بإفريقية الغربية»، و«زنجبار»، و«جبال البرازيل العالية» عام ١٩٨٩م، و«مدين»، و«سورية غير المستكشفة»، إضافة إلى عدة مجلدات في فلكلور الشعوب التي اختلط بها، وديوانين شعريين، وعدة ترجمات عن اللاتينية والبرتغالية والعربية، أشهرها ترجمته لـ: ألف ليلة وليلة وصدرت في ١٦مجلداً مع شروح وتعليقات مهمة وفريدة في مطابقتها للأصل، طبعت عدة طبعات، وحازت على شهرة واسعة، حتى إن بورتون قال بأنها: «أشهر كتاب في إنجلترا بعد التوراة» مضيفاً: «لقد كافحت ٤٧ عاماً من أجل أن أميز نفسي بكل طريقة مشرفة ممكنة، إلا أني لم ألق إطراء أو كلمة شكر من أحد. وها أنذا الآن أترجم في شيخوختي كتاباً مشكوكاً فيه، فأحصل فوراً على ١٦ ألف جنيه».

وحاول بورتون - مع غيره - ترجمة القرآن الكريم بالسجع الشعري، كما نقل عن السنسكريتية كتاب «الحكمة»، وألف في الفلك ثلاثة كتب.

المراجع

١. «غربيون في بلادنا»، د. محمود السمرة.
٢. «قافلة الحبر: الرحالة الغربيون إلى الجزيرة العربية»، سمير عطا الله.
٣. «الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية»، د. روبن بدويل.
٤. «الاستشراق»، إدوارد سعيد.
٥. «المستشرقون»، د. نجيب العقيقي.
٦. «الدراسات العربية والإسلامية في أوربا»، د. ميشال جحا.
٧. «الموسوعة العربية الميسرة»، ج١، محمد شفيق غربال.
٨. «المرأة في الرسم الاستشراقي» بالفرنسية، لين تورنتون.
٩. مجلة «المقاصد» اللبنانية - ع ٤٣ - نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٨٥م.
١٠. مجلة «المنهل» السعودية - ع٤٧٥ - أكتوبر / تشرين الأول ١٩٨٩م.
١١. مجلة «الفيصل» السعودية - ع ٣٩ - يوليو/تموز١٩٨٠م.
١٢. مجلة «الفيصل» - ع ٧١ - فبراير/شباط ١٩٨٣م.
١٣. مجلة «المجلة» - ع ٧٦١ - ١٩٩٤/٩/١٧م.
١٤. جريدة «أخبار الأدب» المصرية - ع ٧٩ - ١٩٩٥/١/١٥م.
١٥. جريدة «الشرق الأوسط» اللندنية - ع ٥٤٩١ - ١٩٩٣/١٢/١٠م.
١٦. جريدة «الشرق الأوسط» اللندنية - ع ٦٦٨٦ - ١٩٩٧/٣/١٧م.
١٧. جريدة «الشرق الأوسط» اللندنية - ع ٧٧٤٦ - ١٩٩٩/٤/١٨م.
١٨. جريدة «الشرق الأوسط» اللندنية - ١٩٩٩/٧/٢١م.

رحلة عالم نبات أوربي في المشرق العربي

لطف الله قاري
ينبع الصناعية - السعودية

ليونهارد راولف Leonhard Rauwolf (١٥٣٥ - ١٥٩٦م) عالم نبات ألماني، قام برحلة علمية إلى بلاد الشام والعراق من أجل دراسة النباتات التي تنمو في بلاد العرب، بعد أن قرأ عنها في الكتب الجامعية التي كانت مترجمة من العربية. ثم عاد إلى بلده وكتب عنها. فأصبح كتابه ومجموعته النباتية مراجع ثمينة لمعاصريه ولمن أتوا بعده. فهذه المقالة تسلط الضوء على رحلته وعلى خلفيته العلمية العربية في ناحية واحدة من نواحي تأثير حضارة الإسلام في الغرب. فتمرّ بنا في مقالتنا ثلاثة مشاهد: المشهد الأول: صورة إجمالية عامة للمؤلفات العربية في هذا المجال. والمشهد الثاني: نظرة عامة إلى مراكز الترجمة من العربية إلى اللغات الأوربية. والمشهد الأخير: عرض سيرة العالم المذكور ورحلته وتركته العلمية والتأثير الذي خلفه، والتقدير الذي لقيه بعد وفاته.



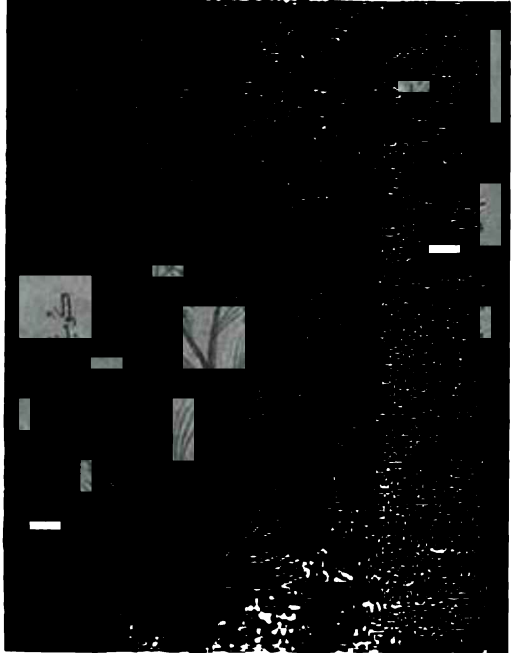
صورة جزء من صفحة لمخطوطة الترجمة العربية لكتاب ديسقوريدس

النباتات عند العرب

بدأ العرب يكتبون في النبات منذ القرن الثاني الهجري عندما ابتدأ علماء اللغة في تأليف المعاجم والكتب الخاصة بأسماء النبات والشجر؛ إذ نجد كتب تاريخ علم النبات العربي تمدّنا بأسماء عدد من المؤلفين، وعناوين مؤلفاتهم؛ وكان أبرز هؤلاء اللغويين أبو حنيفة الدينوري (ت: ٢٨٢هـ/٨٩٥م) صاحب كتاب «النبات» الذي وصل إلينا منه الجزآن الثالث والخامس، وكان موضوعه الرئيس معجمياً، يرمي إلى جمع الأقوال حول الأسماء والتعبيرات المستعملة حول النباتات وحياتها، نقلاً عن الأشخاص الذين قابلهم من بادية وحضر، وأقوال الشعراء وكتب اللغة السابقة له. وقد ترك كتابه أكبر الأثر في المؤلفين الذين

أتوا بعده، فنقلت أقواله معاجم اللغة مثل «القاموس المحيط» والمعاجم المتخصصة مثل «المخصص» لابن سيده والمعاجم العلمية مثل «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» لابن البيطار. ويمتاز الدينوري من غيره من علماء اللغة بأنه خبير نباتات مجرِّب، يمزج علوم اللغة والشواهد الشعرية بمشاهداته الميدانية، ولكن مصادره عربية خالصة. فهو لا يهتم بالناحية الطبية للنبات، ومن ثمَّ لا يحتاج إلى الرجوع إلى مصادر أجنبية فيما يكتب.

ونتيجة لحركة الترجمة التي ابتدأت منذ القرن الأول الهجري ترجمت كتب كثيرة في علم النبات، نجد أسماءها في مصادر تاريخ العلوم العربية والمراجع الحديثة. وكان أبرزها كتاب «هيولي الطب» Materia Medica، أو «الحشائش» للطبيب الهليني ديسقوريدس Di-oscorides من عين زربى، قرب مدينة طرسوس في تركيا الحالية. وقد ترجم أولاً من قبل إسطفان بن بسيل الذي ترك أسماء معظم النباتات باليونانية، لأنه لم يجد ما يقابلها بالعربية. وهو كان معاصراً لحنين بن إسحاق (ت: ٢٦٠هـ/٨٧٣م). وقد أصلح حنين تلك الترجمة، ولكنها ظلت بحاجة إلى مراجعة شاملة لتعريبها بالكامل. وفي سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م أهدى ملك القسطنطينية إلى عبد الرحمن الناصر الأموي بقرطبة نسخة جيدة من الكتاب في أصله اليوناني، مزينة بالرسوم، فطلب الناصر من الملك البيزنطي أن يبعث إليه مترجماً يجيد اليونانية واللاتينية، فأرسل إليه عالماً يدعى «نقولا الراهب». فاجتمع بأطباء الناصر، فأعادوا ترجمة الكتاب بعد مراجعة بعض النباتات على الطبيعة، ثم أعيدت الترجمة كذلك مرتين في عهد الدولة الأرتقية في ديار بكر «شرق تركيا الحالية» في القرن السادس الهجري (١٢م)،


صورة صفحة من مخطوطة «جامع المفردات» للغافقي

وألف بعض العلماء شروحاً للكتاب من أجل إيضاح مصطلحاته، وتعريب الكلمات الأجنبية التي بقيت فيه. وهؤلاء هم ابن جلجل (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، وأبو العباس النباتي ابن الرومية (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) وأبو الحسن الإشبيلي غلام الحرة (القرن ٧هـ/١٣م)، وابن البيطار (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م). وشرح ابن البيطار، وهو أوفى الشروح وأتمها، نتج عن خبرة عملية طويلة في فحص النباتات ودراستها، في رحلات علمية قام بها طوال حياته. ونجد في كتابه الآخر «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» خلاصة تجاربه وعلمه الغزير، فقد كان ينقل عن ١٥٠ مؤلفاً سابقاً له. وكان ابن البيطار أحد العلماء العرب الذين قضوا فترات طويلة من حياتهم في الوقوف على النباتات، وتدوين صفاتها، والسفر إلى مواطنها. ومن هؤلاء شيخه ابن الرومية السابق ذِكْره، ورشيد الدين الصوري (ت ٦٣٩هـ/١٢٤١م) الذي كان يصطحب رساماً مع إصباغ وأحبار متنوعة، فيتم رسم النبات في أول نموه وطراوته، ثم يرسمه مرة أخرى عند اكتمال نموه وظهور بزره، ثم مرة ثالثة عند ذبوله ويبسه.

وأفردت كتب الأطباء أبواباً ومجلدات في وصف النباتات الطبية وخواصها، كما ألف هؤلاء كتباً مستقلة في الصيدلة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر البيروني، وابن سينا، والرازي، وابن الجزار، وداود الأنطاكي (ت ١٠٠٨هـ/١٦٠٠م)، ومن هؤلاء أيضاً الغافقي (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م) الذي يذكر المستشرقون أن وصفه أحسن وصف نجده عند العرب، وكان أعرف أهل زمانه بقوى الأدوية المفردة ومنافعها وخواصها وأعيانها، ومعرفة أسمائها من أصلية وبربرية وعربية. وقد وضع ابن الرومية مؤلفاً يمثل استدراكاً

وتصحيحًا لكتاب الغافقي. وقام الشريف الإدريسي الجغرافي المشهور (ت ٤٩٣هـ/١٠٩٩م) بتأليف كتاب جامع للنباتات والحيوانات والمعادن، فذكر أسماء النباتات بالعربية، وتسع لغات أخرى، والفوائد الطبية لكل نبات وما يستخرج منه من صموغ وزيوت.

انتقال الطب العربي إلى أوربا

بدأت الترجمة من العربية إلى اللاتينية منذ القرن الخامس الهجري (١١م)، ومن المراكز المهمة التي انطلقت منها الترجمة المدرسة الطبية في سالرنو بجنوب إيطاليا، وهي نشأت منذ القرن التاسع الميلادي. وفي القرن الحادي عشر الميلادي قدم إليها المترجم التونسي قسطنطين الإفريقي (ت ١٠٨٧م)، مع أنه لم يكن عالمًا ولا طبيبًا ولا ضليعًا من العربية أو اللاتينية، غير أنه قام ببعض الترجمات الرديئة لبعض المؤلفات الطبية العربية المهمة. ولم يكتف بذلك، وإنما انتحلها لنفسه، وادعى أنها من تأليفه. وقد استحسن الأوربيون حينذاك أعماله استحسانًا كبيرًا، وذاعت واشتهرت بينهم. واستمر الإقبال عليها قرونًا متعددة، حتى بعد ظهور ترجمات أكثر ضبطًا منها منسوبة إلى مؤلفيها الأصليين. ويعدّ قسطنطين أول من قدم الطب العربي إلى العالم اللاتيني.



صورة صفحة من الترجمة العربية لكتاب ديسقوريدس

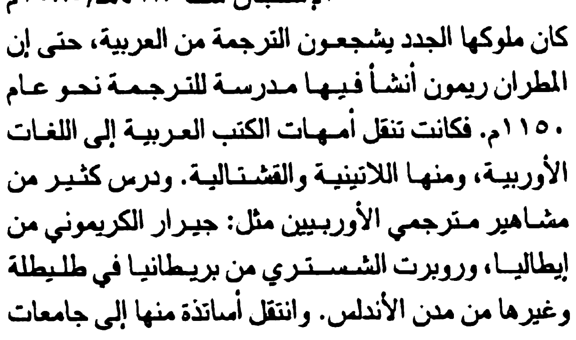
بدأت حركة الترجمة تؤتي ثمارها، وبدأ يظهر مؤلفون سالرنيون لاتين. وعلى الرغم من أن مؤلفاتهم كانت متواضعة المستوى جدًا بالنسبة إلى المؤلفات العربية، ولم تكن أكثر من مجرد نقل من الكتب العربية واليونانية التي نقلت من العربية، إلا أنها كانت في غاية الأهمية. فقد كانت إلى حد كبير أحد المعابر التي عبرت عليها أوربا إلى عصر نهضتها.

وفي صقلية التي حكمها العرب المسلمون قرونًا من الزمن وكانت عاصمتها بالرمو، من أهم مراكز انتقال العلم العربي إلى أوربا، وقد ظل حكامها النورمنديون منذ القرن الحادي عشر الميلادي يشجعون العرب على الإقامة والتدريس فيها. ومن هؤلاء الشريف الإدريسي.

وفي صقلية أيضا نشأ الإمبراطور فردريك الثاني (ت ١٢٥٠م) فتأثر بالثقافة العربية تأثرًا كبيرًا، وظهر هذا التأثر عندما صار إمبراطورًا يحكم إيطاليا. فلبس الملابس العربية، وحجّب نساءه، وامتنع عن المشاركة في الحروب الصليبية، وكان يختلف باستمرار مع البابا الذي حرمه مرتين. وكان يقرأ كتب الفلاسفة العرب بالعربية التي كان يجيدها. وبرز في بلاطه عدد من مشاهير المترجمين من العربية.

وقد عزّز هذا الإمبراطور مكانة مدرسة سالرنو، وأنشأ جامعة نابولي، وجعل منها أكاديمية لنقل العلوم العربية إلى العالم الغربي. ومع امتداد التأثير العربي صارت الجامعات الإيطالية الأخرى مراكز لتدريس الطب العربي، ولعل أشهرها بولونيا، وبادوا، والبندقية.

وفي الأندلس كانت مراكز الترجمة تنشأ في عدد من مدنها. ففي القرن الرابع الهجري (١٠م) أنشئت جامعة قرطبة، فكانت الجامعة الوحيدة في كل أوربا. وفي طليطلة التي سقطت بيد الإسبان سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م



كان ملوكها الجدد يشجعون الترجمة من العربية، حتى إن المطران ريمون أنشأ فيها مدرسة للترجمة نحو عام ١١٥٠م. فكانت تنقل أمهات الكتب العربية إلى اللغات الأوربية، ومنها اللاتينية والقشتالية. ودرس كثير من مشاهير مترجمي الأوربيين مثل: جيرار الكريموني من إيطاليا، وروبرت الشستري من بريطانيا في طليطلة وغيرها من مدن الأندلس. وانتقل أساتذة منها إلى جامعات

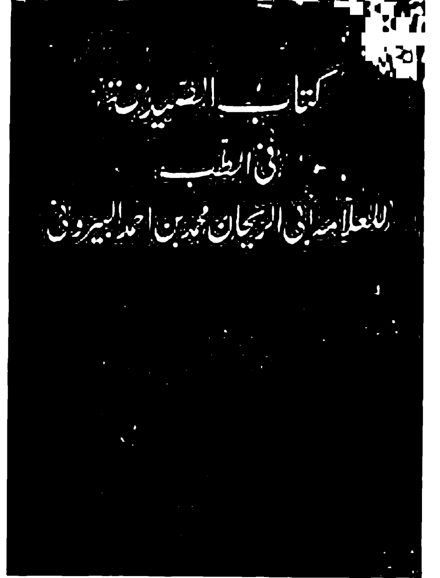
أوربا وإلى بلاط بعض حكام الدول الأوربية يترجمون ويدرسون. وكانت مملكة قشتالة (كتلونيا) ذات دور بارز في حركة الترجمة هذه، فقد ترجمت عدداً من الكتب العربية في تلك المنطقة. وفي عام ١٢٥٤م أنشأ الملك ألفونسو العاشر الحكيم جامعة إشبيلية وخصصها لدراسة العربية واللاتينية.

وفي جنوب فرنسا نشأت مدرسة للطب في مونبلييه Monpellier في وقت غير معروف، إلا أنها اشتهرت في القرن الحادي عشر الميلادي. وكان كثير من سكان تلك البلدة عرباً وكتلونيين أندلسيين، إلى درجة أنه من كثرتهم أوصى حاكمها عام ١١٢١م بإقصاء العرب من الوظائف العمومية. وأسست كلية الطب فيها عام ١٢٢١م حين أمر الكاردينال مندوب البابا في المدينة بإنشاء الكلية، ومنع ممارسة الطب إلا لمن حصل على إذن من لجنة تحكيمية مكونة من أطباء، ويرأسهم رجال الدين. وفي عام ١٣٠٩م أصدر البابا أمراً بتنظيم التدريس في الكلية، ووضع لها منهاج رسمي يحتوي على مؤلفات ابن سينا والرازي وإسحاق بن سليمان الإسرائيلي وقسطنطين الإفريقي الذي انتحل مؤلفات ابن الجزار وغيره ونسبها إلى نفسه كما ذكرنا، وأبقراط وجالينوس. وكان من ضمن العاملين في المدرسة مترجمون من العربية، اشتهر منهم أبناء طبون في القرن ١٣م، وهم يهود من الأندلس، أقاموا في مدن عربية، وكان بعض الأساتذة في مونبلييه يؤلفون الكتب الطبية آخذين معلوماتهم من المؤلفين العرب، ولكنهم ينسبونها إلى أنفسهم كما فعل قسطنطين الإفريقي. إلا أن أساتذة آخرين فيها ظلوا يدرسون الطب العربي بنزاهة إلى القرن السابع عشر الميلادي. وقد وصف أستاذ في كلية باريس أساتذة مونبلييه عام ١٥٥٠م بأنهم متشيّعون للعرب والبربر.

راولف في مونبلييه

ولد راولف في مدينة أوسبرك Augsburg بمقاطعة بافاريا الألمانية عام ١٥٣٥م. وكان أبوه على الأرجح من طبقة التجار في تلك المدينة الصناعية، وكانت الأسرة من أتباع المذهب اللوثري أو البروتستانتي المخالف لمذهب الكنيسة الكاثوليكية البابوية.

وقد التحق بجامعة وتنبرك Wittenberg عام ١٥٥٦م، وفي عام ١٥٦٠م التحق بكلية الطب بمونبلييه الشهيرة في عصره. وكان المنهاج الدراسي في تلك الأيام معتمداً على ما كتبه العرب والمسلمون في ذلك المجال كما ذكرنا. فدرس صاحبنا مؤلفات ابن سينا والرازي وغيرهما. وهذه الدراسة ساعدته فيما بعد على دراساته النباتية في المشرق العربي. ودرس كذلك كتاب ديسقوريدس على يد عالم نبات شهير في عصره اسمه روندليه. فكان الطالب راولف يقوم بتجميع عينات النباتات في مقاطعتي بروفنس ولانجدو، وهما من محافظات جنوب فرنسا حيث تقع مونبلييه. فجمع ما يزيد على ٤٠٠ جنس من النباتات المختلفة. وكانت تلك البداية لمجموعة الأعشاب المتميزة التي جمعها. وكان يرافقه في رحلاته تلك طالب آخر أصبح فيما بعد عالم نبات شهيراً، وهو جان بوهن Jean Bauhin من مدينة بازل السويسرية.



غلاف كتاب «الصيدنة في الطب» للعلامة أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني

وفي عام ١٥٦٢م انتقل راولف إلى جامعة فالنس Va-lence التي حصل منها على الدكتوراه في الطب بعد سنة، فغادر بعدها إلى بلدة أوسبرك مسقط رأسه. ولكنه لم يسافر سفرة عادية، وإنما كان يقابل العلماء، ويجمع الأعشاب في طريقه، فجمع ٢٠٠ نوع من شمال إيطاليا وسويسرا. وقد استقر راولف في بلدته، فأنشأ حديقة نباتية قام على رعايتها وتنميتها، وكان يزوره بعض العلماء من آن إلى آخر. وقد مارس الطب في بلدته والبلدات القريبة المجاورة،

وحصل عام ١٥٧٠م على لقب «طبيب المدينة». وهو منصب كان يدر عليه دخلا جيدًا.

راولف في المشرق العربي

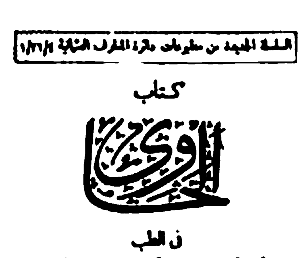
في عام ١٥٧٣م غادر راولف بلدته إلى ميناء مرسيليا بجنوب فرنسا. ومن هناك أبحر إلى المشرق العربي مبتدئًا رحلة علمية يأمل من خلالها تحقيق حلمه باكتشاف كيفية تعرُّف النباتات الجميلة والأعشاب التي وصفها ثيوفراستس Theophrastus، وديُسقريدس، وابن سينا وسرابيون الأصغر وغيرهم، وذلك في المواطن الطبيعية التي تنمو فيها. وكان يسعى كذلك إلى حث الصيادلة على جمع تلك الأعشاب من أجل مداواة المرضى.

كانت فرصة السفر هذه جاءته عندما عُيِّن طبيبًا لدى الوكلاء التجاريين لمؤسسة تجارية اسمها ملشيو مانلش Menlchior Manlich. وكانت هذه المؤسسة ترمي إلى الاستفادة من اكتشافاته لنباتات وعقاقير جيدة في الشرق الأوسط. وساعده على ذلك أن أخاه جورج كان وكيلاً تجاريًا للمؤسسة، مقيمًا في طرابلس الشام.

استغرق سفر السفينة ٢٩ يومًا لتصل من مرسيليا إلى طرابلس، فاستقر راولف في الأخيرة عدة أسابيع قبل أن يغادرها إلى حلب. وفي كلتا المدينتين كان يكتب أوصافًا للنباتات المحلية، ويجمع عينات منها لمجموعته النباتية.

وبعد أن استقر في حلب مدة تسعة أشهر غادرها إلى مدينة بر Bir في الفرات الأعلى شمال العراق أو شرق الأناضول. ومن هناك استقل قاربًا إلى بغداد. واستغرقت الرحلة النهرية إلى الفالوجة (وهي المرفأ الأقرب إلى بغداد على الفرات) خمسة وعشرين يومًا. فكانت فرصة لصاحبنا لكي يتأمل النباتات التي تنمو على ضفتي النهر. وكان هذا يتم أول مرة، أي هو أول عالم نبات أوربي يدرس نبات ضفاف الأنهار في هذه المنطقة.

كان الهدف التالي للباحث أن يسافر إلى الهند، بلاد التوابل والعقاقير التي من أجل فتح الطريق إليها قامت الحروب الصليبية، ولأجل الغرض نفسه تم استكشاف طريق رأس الرجاء الصالح، وحصل اكتشاف العالم الجديد بالمصادفة. ولكن تغيرت خططه عندما علم أن المؤسسة التجارية التي تموله أشهرت إفلاسها. فعاد برًا إلى طرابلس الشام، مارًا بمدن الموصل ونصيبين وأورفا وحلب. وهي رحلة رائدة بالنسبة إلى الأوربيين، ولا يخفى على القارئ ما فيها من مخاطر وعقبات تعترض طريق المسافر في ذلك الزمن، ولاسيما من ناحية الأمن.



كتاب
الحاوي
في الطب
لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب
(المتوفى سنة ٣١٣هـ - ٩٢٥م)
(الجزء الحادي والعشرون)
(القسم الأول)
في الأدوية المفردة
صحح
من نسخة اسكوريال الوحيدة [رقم ٨١٤]
طبع
تحت مراقبة
الطبعة الأولى
١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م

غلاف كتاب «الحاوي في الطب» لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب

واستقر راولف في طرابلس فترة من الوقت، ثم انطلق منها إلى رحلات نحو غابات الأرز المعروفة في جبال لبنان، وقام أيضًا برحلة حج إلى القدس الشريف حسب مذهبه البروتستانتي. وفي عام ١٥٧٥م أبحر من طرابلس إلى البندقية، أي بعد ٣٠ شهرًا من قدومه إلى ساحل الشام. ومن هناك عاد إلى بلدته آوسرك.

استقر في بلدته يمارس الطب، ويعتني بحديقته النباتية، ويتبادل الخبرات والعينات مع مشاهير علماء النبات في عصره. وفي عام ١٥٨٢م تولى الحكم في بلدته كاثوليكيون، فاختلف معهم، وغادر البلدة إثر ذلك ليستقر ٨ سنوات في مدينة لنتس Linz. وفي عام ١٥٩٦م انضم إلى الجيوش الإمبراطورية التي كانت تحارب العثمانيين في المجر. ولكنه هلك في السنة نفسها إثر نوبة شديدة من الزحار أو (الديزنطاريا).

آثار راولف وتأثيره فيمن بعده

في عام ١٥٨٢م ألح عليه أصدقاؤه بأن يؤلف كتابًا حول رحلته في المشرق العربي، فكتبه باللغة الألمانية السوابية Swabian. وكان يعتمد في كتابه على المذكرات المفصلة التي دونها خلال رحلته. ويحتوي مؤلفه على معلومات دقيقة

عن الناس والأماكن والتجارة والأديان والتقاليد والحياة السياسية، بالإضافة إلى وصف كثير من النباتات. وفيه وصف مفصل للمخاطر والمصاعب التي اعترضت الرحالين العلماء في ذلك الزمان. وكان من علماء العرب والهيلينيين الذين اقتبس من آرائهم في كتابه: ثيوفراستس، وديسقوريدس وبليناس، وجالينوس، وبولس الأجلنيطي، ومسترابون، وأرسطو، وفلوطرخس، وبطليموس، ويومنفوس، وابن سينا، والرازي، وسرابيون الأصغر.

واقتبس كذلك من مشاهير معاصريه. وقد احتوى التحرير الثالث للكتاب الذي صدر في ثلاثة تحريرات أو طبعات منقحة خلال عام واحد على ٤٢ رسماً مطبوعاً بقوالب الخشب لنباتات غريبة عن الأوربيين.

واشتهر راولف أكثر عندما اقتبس غيره من العلماء في كتبهم المؤلفة حول النباتات الطبية فنسبوا إليه الكثير من المعلومات التي لم يكن بإمكانهم الحصول عليها من مصدر غيره. بعضهم نقل نقلا حرفيا مع استنساخ الصور من كتابه، وبعضهم الآخر اقتبس معلومات مستفيضة ومدحه قائلاً بأنه «أكثر الناس علماً، لا يكل ولا يتعب في دراسة واستقصاء الطبيعة». وبلغ مجموع من نقلوا عنه ستة من مشاهير العلماء المعاصرين له أو الذين أتوا بعده بقليل.

وقد جمع راولف بعد عودته من المشرق أربعة ألبومات من نماذج الأعشاب المجففة المرتبة ترتيبا نظامياً؛ وتحتوي تلك الألبومات على ٨٣٤ نباتاً أوربياً وشرقياً. وقد بيعت تلك المجموعة إلى دوق بافاريا، وتم حفظها في صالة الفن Kunstkammer بمدينة ميونخ. ولكنها أخذت إلى السويد خلال حرب الثلاثين عاماً ١٦١٨ـ١٦٤٨م. وفي نحو عام ١٦٥٠م أهدت ملكة السويد كرستينا المجموعة إلى إسحق فوسيوس Isaac Vossius وهو العالم الهولندي الذي عاد بالمجموعة إلى لندن بعد انتقاله إليها من السويد. وفي لندن قام بدراستها مجموعة من علماء النبات هناك.

وفي عام ١٦٨٠م بيعت المجموعة إلى جامعة لايدن بهولندا، وبقيت محفوظة هناك كأحد الممتلكات الثمينة.



غلاف كتاب «عمدة الطبيب في معرفة النبات» لأبي الخير الإشبيلي

كان راولف أول عالم نباتي حديث يجمع ويصف النباتات من بلاد المشرق. وتعد مذكراته عن الحياة المدنية المشتغلة والمتفتحة على العالم في العواصم الإقليمية التي زارها، وهي طرابلس وحلب وبغداد، ذات معلومات قيمة وماتعة. فمثلاً يعد وصفه لتحضير القهوة وشربها في حلب، وهي التي عرفت للتو في ذلك العهد، أول وصف يكتبه أوربي عن ذلك الشراب الجديد.

في عام ١٧٠٣م أطلق العالم بلوميه Plumier اسمه على جنس من النباتات المدارية تقديرا لإنجازاته في عالم النبات. وهو الجنس الذي سمي راولفا Rauwolfa Serpentina. واليوم تستخدم المركبات شبه القلوية لنبات راولفا بكثرة في المعالجات الطبية، بسبب تأثيرها المهدئ والمخفض لضغط الدم.

المراجع

١. حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي، تأليف جلال مظهر، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٧٤م.
٢. «أثر الطب العربي في جامعة مونبلييه»، تأليف عبدالرحمن التليلي، أبحاث الندوة العالمية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب» المنعقدة بجامعة حلب في ١٩٨٧م، نشر معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، ١٩٩٢م، ج١ ص١٣١ ـ ١٥٧.
٣. «انتقال العلوم العربية الطبية إلى الغرب»، تأليف محمد يحيى خراط، أبحاث الندوة العالمية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب المنعقدة بجامعة حلب في ١٩٨٧م، نشر معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، ١٩٩٢م، ج٢ ص ٣٠٩ ـ ٣٢٦.
٤. تاريخ النبات عند العرب، تأليف أحمد عيسى، نشر كلية الطب بجامعة فؤاد الأول «جامعة القاهرة فيما بعد»، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م. ط٢ نشر دار الفضيلة بالقاهرة، ١٩٩٥م.
٥. تفسير كتاب ديسقوريدس في الأدوية المفردة، لابن البيطار، تحقيق إبراهيم بن مراد، نشر دار الغرب الإسلامي ببيروت، ١٩٨٩م.
6 - Dannenfeldt, Karl - Leonhard Rauwolf,16th Century Physician, Botanist & Traveller, Cambridge (Masss., USA), 1968.
7- Dannenfeldt, Karl - Leonhard Rauwolf, Dictionary of Scientific Biography, 1981, Vol. 11, pp. 311-312.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٢٨٣)

محرم ١٤٢١هـ - أبريل/مايو ٢٠٠٠م

الفائز الأول: **نورة إبراهيم فالح - الأردن**

الفائز الثاني: **حسن بن محمد حسن - السعودية**

الفائز الثالث: **منال محمد عبدالله عيسى - مصر**

الفائز الرابع: **عادل صالح ناصر طماح - اليمن**

حل مسابقة العدد (٢٨٣)

بدأت الطباعة الحديثة في المملكة العربية السعودية: في المطبعة الميرية بمكة المكرمة سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م.

نياسا لاندهو : الاسم السابق لجمهورية مالاوي.

القلمار: طائر بحري من طيور القطب الشمالي.

ميلان كونديرا: روائي وكاتب تشيكي معاصر.

قال البشاشة ليس تسعد كائناً ... يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغماً

قائل البيت: إيليا أبو ماضي.

مسابقة الشهر (العدد ٢٨٦)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) القرصانيّة؛ الشبّاكة:

(٢) البونراكو:

(٣) المِيْتوب:

(٤) قدموس:

(٥) من قائل هذا البيت:

ومن عجب تُشيِّب عاشقيها ... وتُفنيهم وما برحت كعابا

- ☐ سفينة صغيرة ثلاثية الصواري استخدمها القراصنة في البحر الأبيض المتوسط
- ☐ أرغفة مجدولة مزينة بالسمسم تشتهر بها المناطق الشمالية من المملكة العربية السعودية.
- ☐ اسم لمسرح العرائس الياباني التقليدي
- ☐ حساء يعد من جذور بعض الأشجار في الأمازون.
- ☐ الفسحة الفاصلة بين واجهتين في إفريز أو طُنُفٍ مشيد
- ☐ حامض أميني يوجد في البروتينات كزلال البيض والخميرة.
- ☐ في الأساطير، أمير فينيقي نشر الأبجدية في الغرب
- ☐ فيلسوف يوناني قال بأن العالم يتألف من ذرات مختلفة شكلاً وحجماً ووزناً.

☐ بدوي الجبل ☐ أحمد شوقي.

الاسم: ---------- ص.ب: ----------

العنوان: ---------- الرمز البريدي: ----------

المدينة: ---------- هاتف: ----------

الدولة: ---------- ناسوخ: ----------

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يوماً من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وقرعة أخيرة للفائز الأخير.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

الجوائز

الجائزة الأولى:
١٥٠٠ (ألف وخمسمئة ريال سعودي).

الجائزة الثانية:
٧٠٠ (سبعمئة ريال سعودي).

الجائزة الثالثة:
٥٠٠ (خمسمئة ريال سعودي).

الجائزة الأخيرة:
(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

عنوان المجلة:

ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

كتاب لنشر

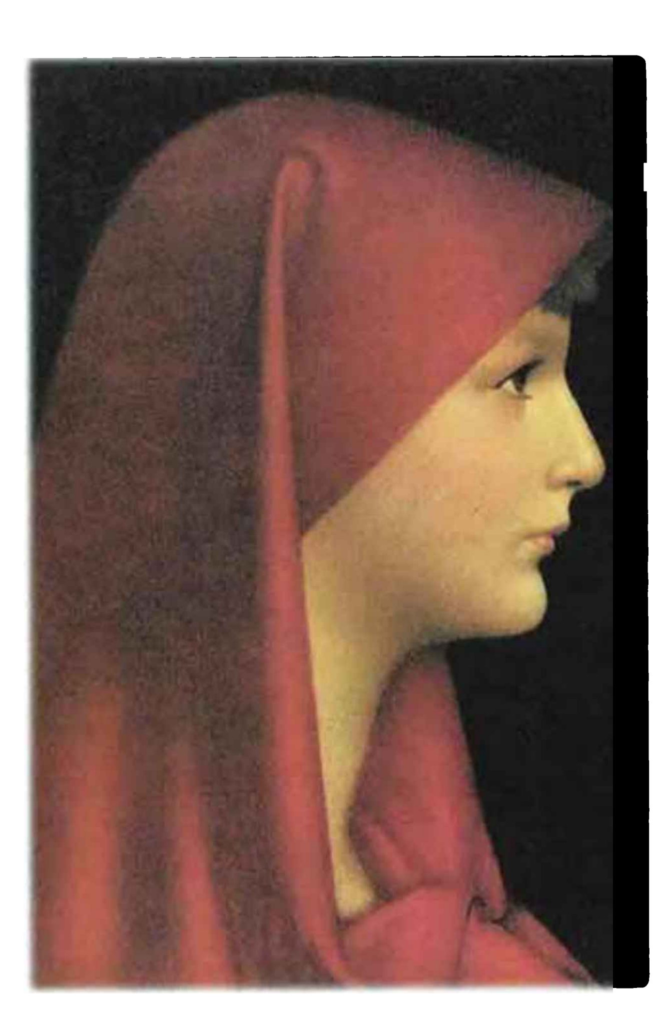
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ص.ب. ٥١٠٤٩ الرياض١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية

هاتف:٤٦٥٢٢٥٥(٩٦٦١) ناسوخ :٤٦٥٩٩٩٣(٩٦٦١)

بريد إلكتروني: e-Mail:rkfcris@kff.com

مواجد

أحمد صالح الصالح
الرياض - السعودية

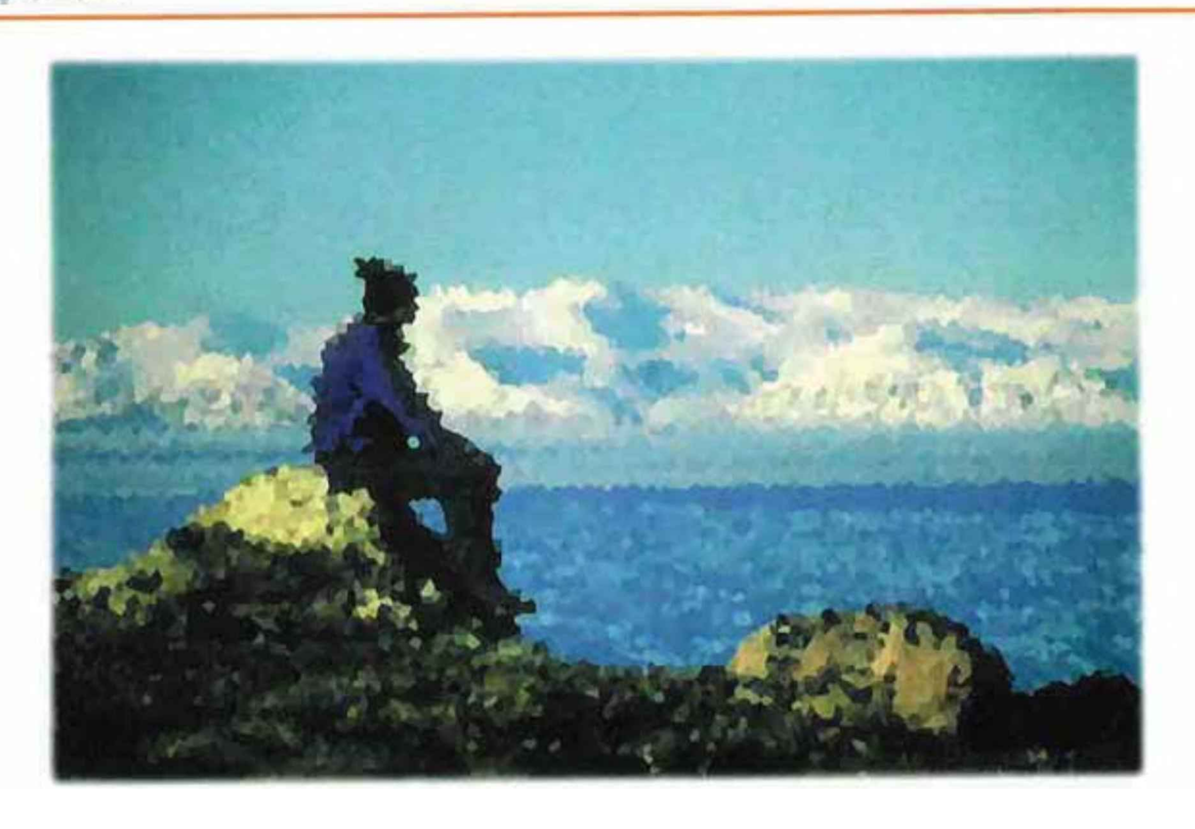


حديثك العذبُ.. في سمعي له ألقٌ
يسري كنفح الصِّبا.. أيام تشرين
تحدثي:كم إلى عينيك بي عطشٌ
وكم لديك أوار الشوق يغويني
ودفءُ بوحك.. لا أرضى به بدلاً
كأنني الطفل.. والتَّحنان يغريني
وأنت - في زحمة الأشواق - مشرعةٌ
أمام صَبوة قلب منك تُدنيني
ألقي إليّ: معينًا.. لو ثملت به
لأسكرتْ أغنياتي كلَّ مفتون
ومدَّتِ الأرضُ أفقًا لا حدود له
- على الثرى - مُغدقًا أظما ويرويني
ونوَّرتْ كلُّ أزهار الهوى - بدمي
كأنه حقل.. أطياب.. ونسرين
غنيْتُ بالشعر.. أيام الصِّبا نضرًا
ولم تزل جذوة الذكرى تُسلّيني
حتى إذا اكتهلت تلك السنون بنا
تبرعمَ العشقُ نبضًا في شراييني
ونحن.. والحب يسري في جوانحنا
والعمر يركض فينا ركض مجنون
نخاف من وحشة الأيام.. تأخذنا
فلم يكن غيبُها يومًا.. بمأمون

مُناخ صوفيّ

راضي صدّوق
الرياض - السعودية

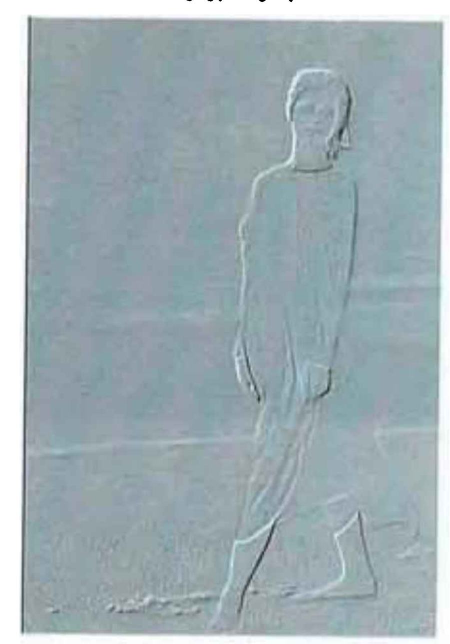
من يسألني عن زمني ذاك الأبله..؟
قل لي: كيف يبوحُ القلبُ ويكشفُ سرَّ الخفقةِ والدّمعِ عصيّ؟
أنا طوّفتُ الأرضَ، حرثتُ مجاهيل الغيب، طلعتُ على الشُّرفة، أبصرتُ هنالكَ ما لا تُبصره الأعينُ.. فارتدَّ إليَّ هذا الطّرْفُ المجروحُ.. المقتولُ.. كسيحًا لا يفقه شيّ!
قُلْ لي: ما هذا العالمُ؟ كيف تناسلَ هذا التّنّينُ، وأقعى كدرًا يطفو فوق الماء؟
قل لي: هذي اللعنةُ كيف تحطُّ على أعشاش الفقراء؟!
قُل لي: كيف تغيمُ الرؤيةُ؟.. كيف يموتُ النّورُ وتَنْسَلُّ الأضواء؟
يا هذا الصارخُ في الليل لعل الفجرَ الغائبَ يحضرُ من خلفِ الظلماء
الفجرُ هباء
والرّحلةُ عمياء
والدّربُ دماء
أغمضْ عينيك على الحلمِ الورديّ فإنّ الليلَ طويلٌ.. وطويلٌ.. وطويلٌ..
والموتَ لأحلامِ الشعراء
لو أنّي هاجرتُ إلى الشاطئ غيرِ المنظور.. وراءَ العالم، ماذا أبصرُ خلفَ الغيبِ؟
قلبي ربّاني
وشراعي أحزاني
وأنا أركبُ صهوةَ إيماني
لكنّ الموجَ عتيّ
ورتاجُ البابِ الموصدِ سرٌّ أزليّ
البابُ المُغلقُ سرٌّ
وطريقي سرٌّ
والغايةُ سرٌّ
قدمي تائهةٌ والخطوُ غبيّ
من يُنجدُني وأنا وحدي أعلنُ عصياني؟
من ينصرني ويؤازرني في معركتي ضدَّ الكلِّ وضدَّ اللاّشيّ؟
يا هذا العالم إنّي أشتاقُ وصالَ الغيبِ..
أتوقُ إلى عُمقِ اللحظة حتى يتّحدَ المعلومُ المجهولُ الأبديّ
لكنّ الطّينَ يجورُ عليّ!
جسدي نُطفةُ طينْ
قلبي ملعونٌ ملعونْ
روحي سرٌّ مكنونْ
وأنا المأسورُ المسجونْ
ما بين الحلم وبين اللّهفةِ يغمرني الإشراقُ ويُطلقُ أجنحتي في المجهول الأسمى..
وأنا أصعدُ.. أصعدُ.. أطوي السلّمَ بالدّمعةِ والخفقةِ والتّوْقِ.
هذا همسُ الجنّياتِ يُراودني عن ذاتي..
هذا مطرٌ يهطلُ في ظلماتي



يمتدُ كخيط الضوءِ وومضِ البرقِ
مـا بين المهجةِ والمقلـة يتحدُ العشقُ..
الشوقُ
أتضاءلُ
أتداخلُ
أهربُ من وطنِ الطين إلى قمر الوصْلِ
أحطُ على شجر النور ندى
يغـمـرني هذا الألقُ الـدافقُ من كـهف
المجهولِ فتشتعلُ الأحداقُ ويستيقظُ في
الداخل روحُ الطفل.. تشعُ الأعـمـاقُ
هدى..
أنظرُ حولي
أمسحُ كلَ المرئيِ ورائي.. قدامي..
أصعدُ في بصري فوقي
أهبطُ تحتي
أبحرُ في غيبِ الغيبْ
أتخللُ همسَ الروح ونبضَ القلبْ
ماذا أبصرُ؟
هذا أنا وجهٌ آخرْ
والكونُ رحيبٌ.. آفاقٌ تتوالدُ من آفاقْ
وضياءٌ ينهلُ كنهر الأشواقْ
وحـدائقُ مـن ثمـر العـرفـان وروح
الشكرانْ
إحتجبَ الأصلُ وقام الظلُ
وغـيبَ منظورُ الإنسـان.. الشكلَ..
الصوتَ.. اتحدا..
هذا وقتُ الموعد أنظرُ للباب الموصد
إني أتخففُ من ثقلي حتى لا يبقى غيرُ
الحبِ هنا باسم الله
على اسم الله
عبرتُ الدربْ
غدوتُ الآنَ رؤى وصدى

لحظة هاربة

علي مغازي
بسكرة - الجزائر



لحظة هاربة..
لؤلؤة تعتقل العمر، وبرق
يكسر الليل على ضفة عينيك.
أنا الصمت الذي يفترش البحر،
أنا شلال أحزان وليل
وأنا نزف القتيل
لحظة هاربة..
من أنت في هذا المدى المتخم
بالأشباح والذكرى،
ورايات الرحيل؟
كان للبحر مساء
يكمل اللوحة، أو يحرقها
كان للفنان وجه امرأة يعشقها
كان للشارع مصباحان..
للشوق ذراعان
وللشباك عنقود.. وسر..
وهديل
كان لي وجهك يا منقذتي
من جنتي
يا دمي العالي.
أنا الممتد من لحم البدايات
إلى نبض الزمان المستحيل.

زوج الطبيبة

ناريمان العالم
الرياض - السعودية

ذهلت، بل صعقت عندما أخبرتني أمي أن الإنسانة التي سأتزوجها طبيبة، ولا أبالغ إن قلت: إن الدنيا قد اسودت في عيني لأني أعرف تمامًا ما معنى أن تفوق الزوجة زوجها دراسيًا، سيكون هناك فرض الرأي من قبل الزوجة، والتسلط، وسينتج ذلك ضعفًا في شخصية الزوج مما سيجعله خاتمًا في إصبع الزوجة.

- لا يمكن أن أمضي حياتي مسيرًا من قبل امرأة، لا يمكن.

قلت ذلك بأسى وبعد فوات الأوان، فأمي - حفظها الله - قد اتفقت مع الجماعة على كل شيء، وكانت غلطتي عندما لم أسأل منذ البداية عن المؤهل الدراسي للعروس، ربما الذي منعني من ذلك هو أني كنت موقنًا بأن التي ستوافق على شاب يحمل الشهادة الثانوية، وموظف على المرتبة الرابعة لن تكون إلا مثله أو أقل منه.

وعندما سألت أمي إذا كانت الطبيبة تعرف مؤهل عريسها، قالت وقد اتسعت حدقتا عينيها:

- طبعًا ياولدي، أتظن أني سأخدعهم، وأقول خلاف الحقيقة؟!

ثم أردفت مبتسمة:

- إنهم يعرفون كذلك أنك درست الثانوية في خمس سنوات.

أغمضت عيني بقوة لدى سماعي كلامها، وكل الذي خطر ببالي ذلك الحين، هو أني لن أكون خاتمًا فقط بل طقمًا بأكمله.

وعندما عرف أصدقائي بالأمر قدموا لي أحر العزاء والمواساة مما جعلني أرى أن زواجي من طبيبة نكبة عظيمة، فمنهم من قال:

- أعانك الله على فلسفتها.

وقال آخر: رائع جداً أن تتعلم كيف تطبخ!

وقال الثالث: سيكون لك مركز بيننا، فأنت زوج الطبيبة!

وغيرها من التعليقات الكثيرة، وكلها تدور حول أني سأكون تابعاً لها، ومسيّراً من قبلها. فقررت ألا أجعلها تظن أني أقل منها دراية وعلماً. فأصبحت أجمع المقالات الطبية التي تتحدث عموماً عن الأغذية وفوائدها، وأتابع البرامج التي تدور مواضيعها حول الأمراض وتناقش أسبابها وطرائق علاجها، وأحفظ أسماء الأدوية التي جعلتني أشعر مدة ليست بقصيرة بأن لساني ملتفٌ حول نفسه! وبعد كل هذه التحصينات، ارتحت نفسياً، واستعددت للدخول في القفص الذهبي.

وعندما دخلت ذلك القفص الذي كنت أراه أشبه بغرفة العمليات، حرصت كل الحرص على ألا أناديها بالطبيبة حتى لو كان ذلك على سبيل التدليل، وكنت دائماً أحاول إيجاد الفرص المناسبة حتى أعرض ثقافتي الطبية، لكني في كل مرة أبوء بالفشل، إلى أن جاءت تلك اللحظة، وكانت زوجتي تقلب قطعة السكر في الشاي، وكنت أتأملها، بل كنت أراقبها، وأتصيّد الفرصة التي طالما انتظرتها.

رفعت كوبي واحتسيت منه، وبسرعة وضعته مرة أخرى على الطاولة، وقطبت حاجبيّ، وأخذت أنظر إلى زوجتي الطبيبة بعتاب، وهمّت زوجتي بالكلام إلاّ أني قاطعتها قائلا:

ـ ماهذا؟! ألا تعرفين أنه يجب علينا أن نحتاط من تناول السكر بكثرة؟! ومرة أخرى همّت بالكلام، وكنت أعرف أنها ستحاول أن تبرر موقفها بحجج علمية، وتشعرني بقلة ثقافتي فقاطعتها:

ـ صحيح أن مرض السكر مرض وراثي، لكنه اكتشف أخيراً ياطبيبة..

وقصدت أن أضغط على كلمة طبيبة: بأن الوراثة ليست عاملا أساسياً للإصابة بهذا المرض.

وأردفت بسرعة قبل أن تجيب:

ـ لذلك، لا نستغرب إذا وجدنا شخصاً قد أصيب بهذا المرض، ولم نجد أحد والديه أو جدّيه مصاباً به.

ثم ضحكت عالياً ولويتُ شفتي بسخرية وأكملت:

ـ طالما أن السبب معروف..

قلت الكلمة الأخيرة باستخفاف: وهو أن يُصاب عضو البنكرياس بخلل يمنعه من تنظيم السكر في الجسم، فلِمَ نتهم الوراثة بهذا المرض؟!

كنتُ أراقبها وأنا أتكلم، فوجدتها تنظر إليّ بدهشة، فتشجعت أكثر، وقلت بلهجة حادة نوعاً ما:

يجب أن تكوني أكثر حذراً في المرات القادمة، فالسكر هو مرض العصر.

كانت لا تزال تنظر إليّ بدهشة فشعرت بالانتصار، إذ إن دهشتها هذه كانت ناتجة عن ثقافتي الطبية، وهكذا، جعلتها تعرف أني لست أقلّ منها.

رفعت كوبي مرة أخرى واحتسيت منه، فأحسست بطعم غريب. نظرت إلى زوجتي فرأيتها تتأملني مبتسمة، وكان لابتسامتها مغزىً لم أفهمه إلا بعد أن قالت:

ـ كوبك لم يكن فيه سكر.



هوت هذه الجملة على رأسي كالمطرقة، وأخذت أحملق في كوبي بغباء، ثم نظرت إليها مرة أخرت وقلتُ متلعثماً:

ـ لِمَ لَمْ تخبريني بذلك من قبل؟!

أجابت ولا تزال مبتسمة:

ـ لم تعطني الفرصة لأخبرك، كنت تقاطعني بسرد معلوماتك.

ثم أردفت:

ـ على كل حال، معلوماتك لا بأس بها.

شعرت بحرج شديد من تصرفي هذا، وتمنيت أن الأرض تنشق وتبتلعني في ذلك الحين، أو أني أتحول إلى غبار تذروه الرياح، أو أي شيء آخر يجعلني أبعد عن مكاني هذا أو يُبعدها. وقطعَت حبلَ أفكاري حركتُها وهي ترفع قطعة سكر ثم تقول:

ـ هل تناسبك قطعة واحدة؟

رفعتُ عيني إليها بخجل، فوجدتها مبتسمة غير ابتسامتها الأولى، فناولتها كوبي وقلت:

ـ بل قطعتين.

عقل مشلول

شما الكواري
الدوحة - قطر

تحيا على أمل رؤية طريق ما لتجدد القديم، شيء ما، أي شيء، أي شيء ليجدد القديم.

شيء لم يكتشف بعد:

قضية أم لا. التجديد. تجديد القديم، ليكونا كالطين والحديد حينما يختلطان بالياقوت والزمرد. إنه شيء ما، شيء لم يكتشف بعد! ليل هادئ إلا من نسمة هواء تهز أوراق الشجر. أطللت من الشباك، وأمعنت النظر في الوريقات الخضراء:

ـ تعلمت أن أصمت وأفكر. ولد فكري معي، هو حياة مركبة بداخلي منذ سنين طوال حتى صار ديناصوري العمر، وصار لزاماً أن أجدد تفكيري...

أخذت نفساً عميقاً:

ـ حاولت أن أجدد تفكيري، لكني لا أدري أنجحت أم أخفقت؟ حولت البحيرات والمحيطات إلى نقاط حبر سوداء، عقلي حمل قطرة ماء، جاب بها المكتبات والمتاحف، خلطها بقوس قزح ولحاء الشجر، ثم بنى مصنعاً، وركب فوق الطوب الأحمر الورد والزجاج، وأرسى على الإسمنت المركب دون شراع و...

وأمسيت أحمل ما في نفسي في نفسي، كل تلك الأعوام حتى صار عمر عقلي ديناصوري الوجود.

ألقت نظرة خاطفة نحو عقارب الساعة الدائرة:

ـ وجدتها في محل قديم في السوق القديم، شيء لا يحتاج إلى التجديد، أحبه أن يبقى قديماً، وأن يظل يذكرني بأمي حين كانت تأخذني إليه.

تنهدت بعمق:

ـ أمي، هناك أناس لا ننساهم.. يستحيل أن ننساهم، تماماً كهذه المرأة التي جرحت مشاعري كثيراً فأضحت تفكيري وهدفي، وأصبحت عقدتي وحلها.

واجهت نفسها في المرآة، شعرها المصبوغ، وهذه اللفائف «المتشربكة» بلا انتظام:

ـ تسريحة حلوة، فستان جديد، ومنصب مرموق، سيكون يوماً ما لي ولأمي، وسأصفع تلك المرأة....

بحثت عنها أمداً.. مجرد عاملة نظافة في مدرسة ابتدائية، لكن لم تكن عاملة عادية، ما أزال أذكر كيف كانت تجلس في زاوية الممر المؤدي إلى الساحة، وقد بسطت فراشاً أمامها، وصفت اللبن المثلج والريبان، والعلك، والصبار، وكلما مرت الطالبات صاحت بهن ليشترين منها، ولم تكن تفعل الشيء ذاته معي..

كانت تجرني من ذيل مريولي، وتعيّرني.. أجل تعيّرني أمام زميلاتي وتصيح بي:

ـ يابنت الهندية، تعالي واشتري مني..

لطالما حاولت الهروب منها، الركض بعيداً، كانت تقف أمامي، تصدني، تجرني بقوة، تكاد تمزق ثيابي، وتأخذ الريال من يدي قهراً، وتشتري هي من نفسها... وتبيع هي كرامتي وكبريائي.. وأمضغ أنا علكاً ممزوجاً بأمنية ابتلاع الأرض لي..

وأبقى طالبة ضعيفة في الصف الثالث الابتدائي، وتبقى هي عاملة النظافة السمينة الطويلة، القوية اليد، السليطة اللسان، ولا أدري لِمَ لَمْ أشتكها إلى أية مدرسة، أو الوكيلة، أو المديرة... كنت خائفة...

ما عدت خائفة..

أجل كنت خائفة من سلاطة لسانها، وقوة يدها، لقد رأيتها ذات حين، وقد اختلفت مع عاملة نظافة أخرى ـ هندية كأمي ـ حول من ينظف الصف، فرأيتها كيف تتفاهم معها، لم تأخذها إلى أية مسؤولة لتحل الإشكال.

لقد تلاسنتا طويلا أمام الطالبات المتحلقات حولهما بدهشة، وكنت من ضمنهن، وكأننا في حلبة صراع، لكن الجماهير بريئة لا تعي شيئاً ولا تشجع أحداً...

أذكر كيف جرتها من شعرها، ثم صفعتها على وجهها، فسالت الدماء من شفاهها...

لطمة لقوية من كفها القوية...

شيء أريد أن أصنع مثيله لها!

وحينما ارتفع صوت الصراخ، جاءت المسؤولة وانفضت



الحلقة، بعدها رن الجرس، وأسرعت للباص...

كنت أول من يركب الباص، وآخر من يخرج منه، إذا تأخرت ثانية، أو حتى دون أن أتأخر، كانت تسمع الباص كله، وجيراننا في الباصات الأخرى كلماتها الجارحة، بلهجتها المقيتة:

ـ جريجة... يالله بسرعة يا بنت الهندية... يا جريجو!!

ولأنها جارتنا، فقد كانت تنزل قبلي، ثم أخيراً أنا، وهذا زادني ألماً، فهي ما تزال تطلق الحديث ذاته، وتكرر كلام أمي المتكسر ساخرة.

ارتاحت على سريرها، مدت ساقيها، عاودت النظر نحو الساعة، ثم نحو أصابع يديها وقدميها، وصارت تعدها وهي تستعجل الثواني والدقائق أن تتحرك، ثم بلا وعي أخذت تقضم أظافرها بأسنانها:

ـ لم تعد جارتنا فقد توفي زوجها، ثم انتقلت مع ابنتها الوحيدة إلى مكان آخر لا أعلم أين؟

لكن أعلم أني لم أتمكن من نسيان إساءتها مع أن أمي قالت ذات حين:

ـ لقد انكسرت قوتها بعد وفاة زوجها، وربك منتقم جبار فانسي يا ابنتي واتركيها لله.

لم أتمكن من النسيان.. حقاً لا أستطيع ذلك.. كانت في عقلي، وما تزال في عقلي، لا أستطيع.. كنت معلمة، ترقيت لوكيلة، بحثت عنها وظللت أبحث، ووجدتها، وجاهدت لأنتقل إلى المدرسة التي تعمل فيها. أنا الشابة المسؤولة، وهي العجوز العاملة، وحان موعد لقائنا، إنه الغد، أول يوم في الدوام المدرسي للسنة الجديدة.

أمعنت النظر في الليل الحالك:

ـ ألم يأن للصباح أن يطلع!!

ارتدت أفضل ما عندها، صففت شعرها، ربطت حذاءها، ثم ارتدت حجابها وعباءتها وخرجت.

رأت المدرسة من بعيد، وبحرارة قالت:

ـ إنها هذه المدرسة التي ستشهد يوم عمري.

توقف السائق ليحادث البواب، ثم عاد إليها:

ـ يقول إن الوقت مبكر جداً لدخول المدرسة.

هزت رأسها وقال بأسى:

ـ خذ لفة، ثم عد.

أخيراً دخلت، وجاءت المسؤولات الواحدة تلو الأخرى، وكانت أول من وقع في دفتر الحضور.

جلست على مكتبها، وأمسكت ملف العاملة حمدة:

ـ لا بد أن تكون قد وصلت الآن.

قامت ورمت الملف بقوة على أحد الكراسي الجانبية، وكأنها تضرب صاحبته، نظرت نحوها السكرتيرة باستغراب، واندفعت بقوة في مشيتها مستهدفة حجرة العاملات، وفي الطريق ألقت عليها إحدى المعلمات السلام، لكنها لم تسمع، فلم ترد.

تعجلت الخطى كأنها تعدو في سباق، وسمع طرق حذائها وارتفع صدرها وهبط، وأنفاسها تتقطع ثم توقفت...

ابتسمت ابتسامة صفراء وفكرت:

ـ كيف أدخل عراكاً معها، لا بد من سبب.. أي سبب!

مشت بلا اهتداء في الممر القريب، وجدت قصاصة ورق مرمية.

هزت رأسها بسرعة:

ـ أجل .. هذا سبب!!

خطت مسرعة، ودفعت الباب لتجد لا أحد، واصطدمت بفراغ الحجرة الصغيرة.

ـ أين هي الكسولة البليدة!

ابتلعت الكلمات الثقيلة، وصفعت الباب بقوة وهي تتجه نحو الحمامات، لترى عاملة تنظف، وخرجت مسرعة لتجد الأخرى تلتقط القصاصة من الممر.

رفعت رأسها نحو الطابق العلوي، ربما هي هناك، ستجد أي سبب لتنتقم، أي شيء، أي شيء جديد ليصلح القديم.

بحثت في كل الحمامات العلوية، في حجرة المرسم، والرياضة، وفي الممرات، لكنها لم تجدها!

ربما هي في المقصف أو الساحة الأمامية أو الخلفية.

الشمس حارة، لكنها لا تنافس حرارة قلبها المكلوم، أخذت شعرها بلا انتظام للخلف، وركضت في الساحة هنا وهناك، كادت تصرخ منادية إياها..

ألقت نظرة نحو المقصف، إنه المكان الوحيد الذي تبقى في المدرسة، لابد أنها هناك.

فتحت باب المقصف بقوة، أظلم المكان في وجهها، وحرارة الشمس تشع من جسدها، وتطلعت زميلاتها نحوها بتعجب، وقد خرجت بلوزتها بلا انتظام، وهدأن عن الأحاديث.



اقتربت منها إحداهن، هامسة في أذنها:

ـ هل أنت بخير؟

بلعت ريقها:

ـ أجل.

ـ حسنًا، هل تريدين أن تشربي شيئًا الجو حار؟

فكرت بسرعة:

ـ لدي عمل كثير في المكتب، كنت فقط أتفقد المدرسة، أخبري ... أخبري العاملة حمدة أن تحضر لي أي شيء بارد، شاي أو قهوة...

لم تفطن أنها تطلب أشياء حارة بعد أن طلبت الشيء البارد، ولم تفطن لنظراتهن المتفحصة، عقلها مقيد بالانتقام... ستتشاجر معها إذا تأخرت، بل ستتصنع أنها قد تأخرت، المهم أن تزعجها.

نطقت زميلتها بهدوء:

ـ حمدة.. ألا تدرين!

ـ ماذا!!

ـ حمدة أنهت خدمتها السنة الماضية.

ـ ماذا؟

ـ نعم، بعد وفاة وحيدتها بدرية، تكفلت بأحفادها الستة.

ـ بدرية ماتت!

ـ هل تعرفينها؟ ألم تسمعي بمأساتها؟ لقد ماتت في حادث سيارة.

ابنتها المسكينة تزوجت شابًا أصغر منها، عاطلا عن العمل.. شغله الشاغل كان الهاتف، والسهر مع الأفلام، ونوم النهار بطوله، لقد عانت حمدة الكثير، وكانت الدموع لا تفارق عينيها، فقد كان يسيء معاملة ابنتها ويضربها، ويأخذ النقود التي تعطيها إياها أمها.

اصطدمت بداخلها، بعقلها، وهذا الحديث... واصطدمت بفراغ نفسها وجفافها.

عادت كسيرة، ضعيفة، مسكينة كحالة العاملة حمدة. رمت بجسدها على الكرسي، تناولت الملف وأخذت تقرؤه، كيف لم تهتم بقراءته من قبل، لم تهتم إلا بالانتقام؟

رمت برأسها على سطح المكتب مقهورة الخاطر، وانكسر كعب حذائها وهي تنفس عن غضبها بالضغط عليه.

رن جرس الفرصة، ووصلت إليها أصوات الطالبات سعيدات بالاندفاع نحو الساحة.

رأت إحدى العاملات تمر مبتسمة، وإحدى الطالبات تندفع نحوها، لتتناول معها طعامها، فعرفت أنها ابنتها، ووقفت أمام الشباك تراقب الطالبات يأكلن ويتحدثن ويتمشين في مجموعات، وفرادى.

ـ لم يكن العيب في أصل أمي، ولم يكن العيب في طبيعة عمل حمدة، بل في طريقة معاملتها لي، وكان العيب، بل ما يزال العيب في عقلي المشلول بقيود الانتقام...

أمي قالت: انسي، ربك منتقم جبار، اتركيها لله... أنا قررت أن أصفعها، لأنتقم لضعفي وانكساري القديم.

عشت بعقلي القديم منذ وقتي القديم حتى وقتي الجديد.

وصار عقلي الديناصوري العمر أداة معرفتي للحياة ثم..

ثم صُفعت أنا بعقلي المشلول...

وبقي لي أن أجدده...

فصول من تاريخ ليبيا الثقافي

مراجعة: محمد القاضي
طنجة - المغرب

مؤلف هذا الكتاب الدكتور الهرامة من أصحاب التنوع في الدراسات التاريخية والبحث العلمي، فهو متخصص في الأندلسيات التي أنجز فيها أبحاثًا ودراسات مهمة، إضافة إلى اهتمامه بتراث بلاده الذي تجند له في السنوات الأخيرة باحثًا ومنقبًا ومحققًا وناشرًا.

وقد قدم للكتاب الأستاذ العالم علي مصطفى المصراتي أحد رجال الفكر الكبار في ليبيا والوطن العربي، حيث نوه بالباحث وعمله الذي نفض فيه الغبار عن مجموعة من أعلام الفكر والأدب في هذه البقعة من العالم العربي، لأن التاريخ الثقافي والحركة الفكرية هما نبض الأمة، والدليل على مدى إسهامها الحضاري.

إن ليبيا ليست مجرد صحراء شاسعة ولا هي مجرد آبار وبراميل بترول ومايتبعه، وإنما في ليبيا تاريخ ثقافي، وتراث حضاري، وجوانب جديرة بالاهتمام، وهي حلقة من حلقات الفكر العربي والتراث الإسلامي.

الحياة العلمية في جبل نفوسة

يجول بنا الدكتور الهرامة في كتابه عبر صحاري بلاده وجبالها ومدنها وقراها، وزواياها ومدارسها في العهدين العثماني والإيطالي. وهو مجموعة من الفصول يجمع بينها خيط واحد هو الذي يحمله عنوان الكتاب.

وقد سبق أن نُشرت في مجلات مختلفة، أو قُدّمت في ندوات علمية. وأول هذه الفصول عن الحياة العلمية في الجبل الغربي وهو جبل (نفوسة) الذي كان له في تاريخ الفكر الإسلامي دور مهم. ويتناول هذا الفصل جانبًا من العهد العثماني بضعفه وتخلفه، وعهد الاحتلال الإيطالي بقسوته وعسفه. وانعكاساتهما السلبية على الحياة العلمية بوصفها جزءًا من الحياة العامة التي تأثرت بالمحن الاقتصادية والحروب المتتالية، مما صرف الناس - إلى حدٍّ ما - عن مجالس العلم إلى معالجة الفاقة، ومقاومة الدخلاء. فقامت الزوايا بممارسة دور المسجد في الاقتصار على تحفيظ القرآن الكريم، بعد أن كانت مراكز متقدمة لدراسة علوم الدين واللغة.



فصول من تاريخ ليبيا الثقافي
د. عبدالحميد عبدالله الهرامة
بيروت: أصالة للنشر والتوزيع، ٢٩٣ص، ١٩٩٩م.

واشتهرت في منطقة الجبل الغربي تسع زوايا وهي: زاوية أبي ماضي، وزاوية العالم، وزاوية طبقة، وزاوية أبي زيان، وزاوية الباروني، وزاوية الفقهاء، وزاوية العميان، وزاوية نسمة، وزاوية السني. وقد أدت كلها دورًا مهمًا في تاريخ الحركة العلمية، وتخرج فيها عدد كبير من العلماء الذين اقتصرت دراستهم على الجوانب الدينية وأعمها فائدة، وقد أسست الأولى «زاوية أبي ماضي» في القرن الثالث عشر الميلادي، والثانية «العالم» في القرن التاسع عشر الميلادي.

وكان طلاب هذه الزوايا يدرسون القرآن وتفسيره، والفقه والحديث والسيرة واللغة والتوحيد والفرائض، وأشهر العلماء الذين تخرجوا في هذه الزوايا الشيخ محمد أحمد منيع (أستاذ الجماعة) في القرن الثالث عشر الهجري، وقد تخرج في حلقاته

عدد كبير من الفقهاء الأجلاء كان لبعضهم دور مشهود في المجتمع، ثم تلاه أولاده وأحفاده. ثم الشيخ أبو القاسم القلعاوي (ولد سنة ١٣٠٠هـ)، وأحمد بشير الرياني، ومحمد الإمام الزنتاني، ومحمد البصير الرياني، ومحمد منصور العكروت وغيرهم كثير.

كناشات أدبية

الفصل الثاني: خصصه المؤلف للحديث عن كتب الكناشات الأدبية في ليبيا خلال النصف الأول من القرن العشرين، وهي ما انتشر بين فقهاء هذه الفترة وأدبائها، وهي ضروب من المختارات الأدبية يمكن تصنيفها تحت عنوان الكشكول أو المجموع أو المنتخبات أو الكناشات، فهي جملة من المختارات المتنوعة في موضوعاتها ومبدعيها وأشكالها، ومن هذه المختارات يذكر مخطوطين للشيخ عبدالله منيع وأبي القاسم القلعاوي، وقد عُرف الرجلان ببغضهما للغزاة المحتلين، وفي مختاراتهما إشارات يُستشف منها ذلك.

وتقع مختارات القلعاوي في نحو خمسين ورقة مكتوبة على الوجهين، باستثناء الأخيرة، فهي مكتوبة بخط أندلسي. ولم يخف الشيخ مصادره، فقد ذكر منها: نفح الطيب للمقري، وخزانة الأدب لابن حجّة الحموي، وثمرات الأوراق للحموي، والسفينة القادرية لعبد القادر الجيلاني، وعقيدة محمد بن يوسف الحسيني الخطابي المسماة «إرشاد المريد لتحقيق عقائد التوحيد»، وقد انتهى من كتابتها أيام الحرب العالمية الثانية، وبالتحديد عام ١٩٤٠م.

أمّا مختارات الشيخ عبدالله منيع فتقع في نحو خمس وسبعين ورقة كتبت غالباً في صفحتين، وهي واضحة الخط، مضبوطة الشكل ضبطاً يسيراً، مشرقية الرسم مجهولة تاريخ النسخ.

والكشكول ينتقل بقارئه من الشعر إلى النثر، ومن العلم إلى الأدب.

كان طلاب الزوايا يدرسون القرآن وتفسيره، والفقه والحديث والسيرة واللغة والتوحيد والفرائض، وأشهر العلماء الذين تخرجوا في هذه الزوايا الشيخ محمد أحمد منيع (أستاذ الجماعة) في القرن الثالث عشر الهجري

مراكز المخطوطات والمكتبات

وفي الفصل الثالث يتناول الدكتور الهرامة أهم مراكز المخطوطات العربية الليبية وفهارسها. فيرى أن هذه المخطوطات هي من التراث الذي مايزال خافياً على كثير من المهتمين بتحقيق التراث الإسلامي ودراسته؛ لأن بروكلمان لم يشر إلى هذا التراث في فهرسه الشامل «تاريخ الأدب العربي» ولا أشار إليه فؤاد سيزكين الذي سبق أن زار شعبة المخطوطات بمركز جهاد الليبيين.

وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن أهم المكتبات العامة والخاصة كـ: مكتبة طرابلس التي يوجد بها ١٢٨٠ مخطوطة، وقد ضُمّت إلى مركز جهاد الليبيين، ثم المكتبة المركزية بجامعة قاريونس ويوجد بها أكثر من ٢٠٠٠ مخطوط، وشعبة الوثائق والمخطوطات بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، وقد تمكن هذا المركز من تصوير أكثر من ١٥٠٠ مخطوط، وجمع ما يزيد على ٢٥٥ مخطوطاً، وقد أضيفت إليها محتويات مكتبة الأوقاف، وصور محتويات فرع غدامس، وأغلب محتويات «معرض المخطوطات الليبي الحالي ١٩٩٠م» والمخطوطات المشاركة في السابقة الأولى للمخطوطات عام ١٩٨٩م، ومكتبة طبقة، وفيها أكثر من ١٥٠ مخطوطاً، ومقرها على بعد ٢٠٠كم من الجنوب الغربي من طرابلس، ومكتبة الجامعة المركزية بكلية العلوم بجامعة الفاتح، ومكتبة كلية التربية بسبها، وقسم الوثائق والمخطوطات بمشروع المدينة القديمة، ومكتبة كلية الدعوة الإسلامية، ومكتبة أوقاف المعهد الإسمري بزليطن ومكتبة الزروق بمصراتة.

أما المكتبات الخاصة فقد اهتم بالحديث عن أهم مكتبات رجال الفكر وأعلام الأدب، كمكتبة الأستاذ علي مصطفى المصراتي، ومكتبة آل منيع التي تضم نحو ٢٠٠ مخطوطة، ثم مكتبة محمد النعاس قرزة بنسمة وتضم ١٥٠ مخطوطة ثم مكتبة ضوي بغدامس وتضم ما يربو على ٤٠٠ مخطوطة في شتى العلوم، فضلاً عن عدد من الوثائق المهمة في توثيق العلاقات مع أهل السودان الغربي..

إضافة إلى مكتبات المدارس القديمة والأسر التي لها جد عالم أو ناسخ. وقد اهتم الدكتور الهرامة ضمن فصوله بالرسائل الليبية بين مخطوطات (تنبكتو) وذلك للوشائج التي كانت تربط بين ليبيا وسكان السودان الغربي بصفة خاصة، وسكان الأقطار الواقعة جنوب الصحراء بصفة عامة، وتتمثل في العلاقات التجارية والثقافية التي نجد في مخطوطات (تنبكتو) ما يؤكدها ويؤرخ لها، ويفصل طبيعتها.

وتوجد بمكتبة كلية الدعوة الإسلامية طائفة صغيرة من المراسلات التجارية والعلمية والشخصية لها دلالاتها وأهميتها لما فيها من أعلام وأحداث. كما يتعرض في أحد فصول الكتاب إلى مسرد لنماذج من مخطوطات الجبل الغربي، ويحتوي على نحو ٣٠٠ مخطوطة في علوم شتى. وتضم محتوياته مؤلفات لبعض أبناء ليبيا، وإن كان هذا المسرد لا يمثل أنفس المخطوطات الموجودة في الجبل الغربي، ولأن المؤلف يعترف بأن أنفسها ما زال في الخزائن الخاصة التي لم يطلع على أغلبها.

العلاقات مع إفريقية

وفيما يخص العلاقات الإسلامية الإفريقية فقد خصص الدكتور الهرامة الفصل الرابع للحديث عن واحة (غدامس) التي تقع على بعد ٥٠٠كم إلى الجنوب الغربي من طرابلس، والتي كانت خلال عصور متعاقبة حلقة الوصل المثلى بين الشمال والجنوب، وذلك لموقعها المتميز وأمن الطريق السالك إليها.

وقد توطدت تلك الصلات بعد دخول الإسلام إلى ما وراء الصحراء عن طريقها، فازدادت الروابط التجارية والاجتماعية والدينية والثقافية، وفيها كانت تتجمع القوافل المتجمعة جنوبا والقادمة من طرابلس وتونس والجزائر أحيانا. كما تتميز بنشاط سكانها في ميدان التجارة والتعليم والزراعة. وقد كان لعيونها - أشهرها عين الفرس التي اكتشفها الفاتح عقبة بن نافع الفهري إبان قدومه إلى هذه الواحة سنة ٤٢ أو ٤٩هـ على اختلاف الروايات - فضل في اتجاه القوافل إلى ربوعها المسعفة.

إلا أن أهمية هذه الواحة قد أخذت في التراجع عقب ضعف تجارة القوافل إلى أن اضمحلت كليا، وهي الآن مدينة أثرية خرج أهلها إلى موقع المدينة الجديدة.

آثار الأنصاري

ونقف في الفصل الخامس على آثار الأديب المتصوف والفقيه القاضي أحمد بن عبدالدائم الأنصاري أحد رجال القرن الثاني عشر الهجري (١٨م) والذي لفه الغموض فترة طويلة من الزمن، ولم يهتم به إلا في السنوات الأخيرة من طرف بعض الباحثين الليبيين. وقد ظلت الأعمال الأدبية والفكرية للأنصاري قليلة جدا حتى تم العثور أخيرا على مخطوطين مهمين في هذا الميدان: أولهما النص الكامل لرسالة أحمد الفقيه حسن الحفيد في ترجمة الشاعر، وتحتوي على ما جاء في كتاب «الإرشاد إلى معرفة الأجداد» للعسوس، وهو كتاب مفقود، كما تحتوي على بعض الإضافات المفيدة الأخرى.

أما المخطوط الثاني فهو كتاب صغير في الأولياء من تأليف زميل المؤلف عبدالرزاق الغرياني. ولما كانت أعمال هذا الأديب غير معروفة فقد صار من أهداف هذه الدراسة - كما يقول الدكتور الهرامة - أن نسهم بقسط متواضع في إضاءة هذه الأعمال وجوانبها التاريخية. فسلط الضوء على قصيدته في وصف طرابلس والدفاع عنها، ثم قصيدة استنجاده بالسلطان العثماني أحمد خان الثالث ليضع حدا لحصار الأسطول الفرنسي لطرابلس سنة (١١٤٠هـ/١٧٢٨م)، ورسالتين إلى محمد الماحي المغربي، ثم قصيدة في الرد على مجادل من مدينة جربة (تونس). أما باقي الفصول فقد تناول فيها المؤلف بعض المصادر العربية لتاريخ التصوف في ليبيا، والتي شكلت قضية ثقافية جديرة بالعناية والتتبع.

اهتم المؤلف بالرسائل الليبية بين مخطوطات (تنبكتو) وذلك للوشائج التي كانت تربط بين ليبيا وسكان السودان الغربي بصفة خاصة، وسكان الأقطار الواقعة جنوب الصحراء بصفة عامة

ثم فصل عن تراجم لبعض أعلام ليبيا في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، إذ يعرض فيه لمخطوط في تراجم الأولياء والعلماء لمؤلف عاش في الفترة نفسها، عايش وتتلمذ لبعض هؤلاء العلماء. وقام المؤلف بعرض كل التراجم المدونة في المخطوط. معتمدا قدر الإمكان على ألفاظ صاحبه حتى يكون العمل أشبه بالتحقيق منه بالتعريف العابر.

وختم كتابه بالحديث عن رسالة حول الحياة الأدبية في العهد الإيطالي كتبت بيد وطني غيور من داخل الوطن إلى مثيله في دار الهجرة بسورية وهو الأستاذ فوزي النعاس أحد المؤسسين لجمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي، وكان قد هاجر إلى الشام مع والدته ولم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره.

وقد اجتمعت الأدلة على أن المرسل هو الأديب الشاعر أحمد الفقيه حسن (١٨٩٤ - ١٩٧٥م) الأديب والسياسي، له ديوان شعر ومقالات أدبية قيمة، أسس النادي الأدبي عام ١٩٢٠م، والحزب الوطني عام ١٩٤٦م، وإليه يعود الفضل في العناية بمكتبة الأوقاف وتطوير محتوياتها.

قصة «ألف يوم ويوم»

مراجعة: شاه رستم شاه

الرياض - السعودية

هذا كتاب من تأليف المستشرق الفرنسي «بيتي دي لاكروا»، وقد نسبه إلى الصوفي الأصفهاني «مخلص»، وترجمه أ.د. نعمة الله إبراهيم، و د. زاهد منور، و د. تيمور مختار.

يحوي الكتاب مقدمة وستًا وأربعين حكاية تتقاسمها سبع قصص، تشبه في معظم حوادثها حوادث حكايات ألف ليلة وليلة. أما المقدمة، وهي مقدمة الناشر، فقد جاء فيها: «.. نرجو أن نجد فيها متعة حقيقية حينما تغوص مجددًا في عالم الحكايات العجيبة التي سبق لك الاطلاع عليها من خلال ألف ليلة وليلة»، إذن هي حكايات ليست جديدة، ولدى قراءة الكتاب سيتبين لنا صحة هذا الكلام، فحكايات فروخ ناز تكرار في كثير من حوادثها لما جاء في ألف ليلة وليلة، ولعل تسمية الكتاب باسم «ألف يوم ويوم» توحي بمثل هذا التكرار والتشابه، ولكن يظل فضل السبق للمتقدم.

والحكايات في هذا الكتاب تحمل المتعة للقارئ، وتجعله يسرح بفكره بعيدًا؛ وراء ذلك الهارب مرة، ووراء تلك المدللة مرة أخرى، وثالثة مع السحرة والمشعوذين.

نعمة الكرم

يبدأ الكتاب بقصة عنوانها «نعمة الكرم» وهي قصة «فروخ ناز، ملكة كشمير» التي تحلم حلمًا يصدها عن الرجال، بل يجعلها تشمئز من ذكرهم، وتلبية لرغبة أبيها السلطان، تبدأ مرضعتها «سوتولوميمي» بسرد حكايات عن الوفاء والحب على أمل إقناع فروخ ناز بالعدول عن موقفها من الرجال.

وبدأت المرضعة بقصة «أبي القاسم البصري» الغني الذي يوزع من ثروته على الناس، حتى إنه يعطي هارون الرشيد منها شيئًا، ويقص أبو القاسم هذا حكايته على هارون الرشيد، ونراه يخرج من قصة إلى أخرى متبعًا التشويق والمفاجآت، في هذه القصة نجد قصة حياة «داردانا» التي يراها في القاهرة، ويقذف معها في النيل، لكنه ينجو من الغرق، أما هي فلا يعرف عنها شيئًا، ويحزن على فراقها، وعلى غرار «ألف ليلة وليلة» فإنه يقابلها في بلاط هارون الرشيد، حيث ينقذها صياد.. وتحكي حكايتها.. ولكن قبل لقائهما يكون لأبي القاسم قصص عجيبة حيث يصبح فقيرًا، ثم غنيًا، ثم سجينًا، ثم تاجرًا، ثم صاحب كنز تكثر حوله الاتهامات والمكايد، إلى أن تظهر براءته، ويوليه هارون الرشيد على البصرة، لكنه يفضل أن تكون الولاية لشخص أنقذه من الموت.

الامتحان الصعب

وفي القصة الثانية «الامتحان الصعب» نجد نصيبًا للجان حيث يخرج الإمبراطور «روزان شاد» للصيد فيرى أيلًا أبيض «في قوائمه أطواق ذهب، وظهره مكسو بقماش أطلس موشى بالفضة»، ونتابع حكايات هذه القصة ومغامراتها مع السحرة والجن، حتى تسلمنا إلى قصة أخرى، وثالثة، وهكذا، ويكون خبير الإمبراطور هو المسيّر لهذه القصص حيث يكتشف أن الأيل امرأة جنية يتزوجها وينجب منها ولدًا وبنتًا هي بلقيس التي «ظلت ملكة لجزيرة شاهريستان حتى تزوجها النبي سليمان».



التضحية

والحكاية الثالثة هي «التضحية» وفيها قصة حياة «كولوز وديلارا الرائعة» وكولوز هذا ابن لتاجر دمشقي اسمه عبدالله يورثه أموالاً طائلة يبددها على أصحابه، فيرتحل، ولأنه تعلم الفروسية فقد شارك في حرب إلى جانب «خابال خان» حاكم كاراكوروم ضد حكام المناطق المجاورة، فيعجب به هذا الحاكم، ويصبح له شأن، ويقع في حب فتاة ويشاركه في حبها ابن الحاكم الذي أصبح حاكمًا بعد أبيه، ويطرد كولوز، ويواجه هذا صعابًا كثيرة إلى أن يلتقي بتاجر عجوز في المسجد، فيعطف الأخير عليه، ويأخذه إلى بيته، حيث يجد أن له ولدًا متزوجًا وقد طلّق امرأته، ويريد مراجعتها، ويطلب من كولوز أن يتزوجها ليلة واحدة ثم يطلقها، ليستطيع ابن التاجر مراجعتها، ويكون الزواج ويجد أن العروس هي فتاته ديلارا التي أحبها وطرد من أجلها.

لعبة الألغاز

أما الحكاية الرابعة «لعبة الألغاز» فتتقاسمها قصتان هما قصة «الأمير خلف والأميرة الصينية» وقصة «الأمير فضل الله بن أرتق ملك الموصل»، حيث نجد الصراعات والطرد والفقر والمكيدة، وتقمص الأرواح التي تحل في أجساد الآخرين، ونجد خلفاً يسمع قصة أميرة صينية جميلة كانت ترفض الزواج إلا ممن يحل ألغازها، ومن لا ينجح في حل الألغاز يقتل، وحينما يذهب للإجابة عن الأسئلة نجد محاولات كثيرة لإبعاده عن الموضوع خوفاً عليه، حتى إن والد الأميرة الصينية حاول منعه، ولكن خلفاً يصر على مقابلة الأميرة، وكان ذلك، فسألته ثلاثة أسئلة أجاب عنها كلها مما أدهش الإمبراطور والحاشية، فأقروا له بحقه في الزواج من الأميرة، فيسعد معها، ويحكم البلاد بعد موت حميه.

السعادة

وفي القصة الخامسة «السعادة» نقرأ قصة «الملك بدر الدين لولو ومستشاره عطاء الملك، الملقب بالوزير الكئيب» وفيها نرى الوزير لا يضحك أبداً، ويعترض عليه الملك، ويسأله عن سبب كآبته، فيقص عليه الوزير قصته، فقد كان ابناً لثري من أثرياء بغداد ورثه الكثير من الأموال، فبعثرها إلى أن أحس بالفقر، فأراد أن يشنق نفسه، إلا أنه يجد أموالاً مخبأة في جذع شجرة في حديقته فيتاجر بها، ويحدث له من المصائب الكثير، حيث يشتغل خادماً، ثم تعترضه ابنة الملك التي يشتغل في قصرهم واسمها زوليخا، ويحبها، ثم تموت، فيخرج حسن - وهذا اسمه - إلى بلاد أخرى فقيراً يتصدق عليه الناس، وحدث أن تعرف إليه أحد العبيد الذين كانوا يخدمون عند محبوبته الراحلة، ثم أخذه العبد إلى بيت نظيف، وطلب منه أن ينتظر أموراً طريفة، وجاءت وصيفة محبوبته، ومنها نعرف أنها اتفقت مع زوليخا على أن تمثل دور الميتة حتى تستطيع أن تخرج من البلد، وتتزوج الرجل الفقير حبيبها، وهكذا كان، وتأتي إليه زوليخا، ويحكي كل واحد للآخر ما لقيه من مصاعب وقطاع طرق، وعرف منها أنها جارية في بلاط الملك فيروز شاه. ويشي به صاحب له من الفقراء، ويتهدده الملك، ويأمر بقتله وقتل زوليخا، إلا أنه يخبر الملك بأن الجارية بنت سلطان كبير، وعندها يعرف الملك حكايتهما فيوافق على زواجهما، ثم يعودان إلى بغداد، حيث عاشا في سعادة إلى أن عاد ذات مساء إلى بيته فوجد الخدم جميعاً قد ذبحوا، ولم يجد زوجته زوليخا، وكان هذا سبب كآبته الدائمة، ثم تتوالى قصص كثيرة مثل قصة ابنة ملك ساراندیب، واسمها مليكة، وقصة مالك والأميرة شيرين، وفيها نجد الصندوق الطائر، ويذكرنا بالبساط الطائر في ألف ليلة وليلة، وكان مالك يعتمد على الصندوق الطائر في تنقلاته إلى أن احترق فعاد فقيراً كما كان، ومثل قصة الزاهد السعيد الذي يكون لديه ما يجعله حزيناً، وكذلك قصة حاكم إستراخان الملقب بـ «الذي لا يعرف الحزن». وهنا نرى الملك لولو ووزيره الكئيب يذهبان إلى إستراخان لمقابلة حاكمها، وتكون قصة هرمز ملك إستراخان، حيث تكون له زوجة نسبب له التعاسة، مع أنها جميلة جداً، لكنها تفقد جمالها بمجرد اقتراب زوجها منها، وإذا ابتعد عنها يعود إليها جمالها ونضارتها. ويحكي لهما قصة فيها الكثير من العجائب حيث يعمل مع بستاني في قصر السلطان، وتتوالى المصائب عليه إلى أن يقابل ابن سينا، وهنا نرى ابن سينا ساحراً يتحكم في الجان، ويبعث الحياة في أربعين من أغصان الشجر لتصبح أربعين شاباً!

كما يحضر ابن سينا راضية التي تزوجها الملك هرمز، ولكن يقع ابن سينا في حبها فيسحرها كما رأينا في أول حكاية الملك هرمز.

وهنا يصرح الملك بدر الدين لولو بأن له حكاية مثل الحكايات التي مرت عن حبه لامرأة لم يتزوجها!

الوفاء

أما القصة السادسة «الوفاء» فهي قصة ناصر الدولة أمير الموصل والتاجر البغدادي عبدالرحمن والفاتنة زينب، وفيها أن التاجر عبدالرحمن يقابل في بغداد أمير الموصل - وهو لا يعرفه - فيكرمه، ثم يذهب عبدالرحمن إلى الموصل ويلتقي بالأمير، ويصبحان صديقين، ويدعوه أمير الموصل ناصر الدولة للعيش معه في القصر، فمكث سنة ثم عاد إلى بغداد وأصبح ثرياً له من الجواري الكثير، وذات يوم زاره ناصر الدولة وأعجب بإحدى جواريه، وهي التي يحبها عبدالرحمن نفسه، وإذ علم عبدالرحمن بحب أمير الموصل لجاريته يرسلها إليه إكراماً للصداقة، وبعد معاناة عبدالرحمن وسجنه يتوصل إلى لقاء ناصر الدولة الذي يكرمه ويعيد إليه جاريته زينب حيث عاشا في سعادة.

أما القصة السابعة «العفة» ففيها نجد الأخ يراود زوجة أخيه المسافر عن نفسها، وعندما تصده يتهمها في شرفها، ويحضر شهوداً على ما يزعم، ويقضى عليها بأن تدفن إلى رأسها لتموت، ولكن أحد قطاع الطرق يراها، فيقرر إنقاذها رجاء أن يغفر الله له ذنوبه، ويأخذها إلى خيمته، فتعيش مع زوجته إلى أن يلفق لها خادمهما تهمة تتشرد بسببها، وبسبب صنعها معروفاً كوفئت بضده نجدها تصبح جارية لقبطان، يأخذها في سفينته التي تحطمها الأمواج وتنجو هي من الموت لتجد نفسها في جزيرة تحكمها امرأة، تحبها وتقربها إليها، فترث عرشها بعد موتها، وكانت في حكمها حامية وراعية، وصارت تساعد الجميع، فذاع صيتها خارج الجزيرة، وأصبح الناس يأتون إليها للمساعدة في حل مشكلاتهم، وجاء ذات يوم ستة أشخاص يعانون من أمراض مختلفة، كان أحدهم زوجها الذي جاءها لتعالج أخاه الأعمى، والثالث كان قاطع الطريق جاء ليعالج خادمه المشلول، والخامس القبطان والسادس الشاب الذي عملت معه معروفاً فباعها للقبطان، وكان يعاني من الصرع، ويعترف الأخ الخائن بفعلته، وكذلك الخادم والشاب، فدعت الله أن يشفي هؤلاء المرضى فشفاهم الله، ثم إنها أظهرت نفسها لزوجها، بعد أن علمت وفاءه وحبه لها.

لا شك أن هذه الحكايات ماتعة وجميلة، إلا أن التكرار واضح بينها، إذ نرى رجلاً يعمل في القصر، فيرى ابنة الملك، فيحبها، ويتشرد من أجلها في البلاد، ثم يلتقيان بعد ذلك، أما التشابه مع وقائع ألف ليلة وليلة، فلعله قد وضح الآن، لكن مما يؤخذ على هذا الكتاب أن فيه شططاً أكثر مما جاء في ألف ليلة وليلة، كما أن الانتقال من حكاية إلى أخرى داخل القصة الواحدة هو أسلوب قد لا يروق للقارئ دائماً.

اليهود والأدب الأمريكي المعاصر

مراجعة: **فرج مجاهد عبدالوهاب**
القاهرة - مصر

لا شك أن يهود أمريكا في يومنا الراهن يحتلون مكانة بارزة في الأدب الأمريكي الحديث، وهم يملكون مراكز أبحاث خاصة بهم تعمل على ترسيخ اقتناع اليهودي الأمريكي بأنه جزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع الأمريكي. وفي هذا الكتاب «اليهود والأدب الأمريكي المعاصر» للدكتور رمسيس عوض الصادر عن مؤسسة دار الهلال بالقاهرة، والذي يستقي مادته من كتابات اليهود الأمريكان ومباحثهم التي تنشرها مراكز الدراسات اليهودية في الولايات المتحدة، يؤكد أن القوة اليهودية المسيطرة على فكر الأمريكان ليست وليدة اليوم، فقد بدأ التغلغل اليهودي في الأدب الأمريكي منذ الأربعينيات، ومازال مستمرًا، أما إرهاصات ذلك فقد بدأت مع بداية القرن تقريبًا عندما تم عام ١٩٠٦م إنشاء جمعية في جامعة هارفارد تسعى إلى اندماج اليهود في المجتمع الأمريكي، وأسست عام ١٩١٦م مجلة علمانية خطيرة الأثر تعرف بمجلة «مينورا» أدت دورًا بارزًا في التحام اليهود بالأمريكان، والتحام الأمريكان باليهود، وبفضلها أيضًا استطاع يهود أمريكا النفاذ إلى قلب الأدب الأمريكي والثقافة الأمريكية. وبمضي الزمن انبعثت بذرة الأمركة التي وضعها ألبرت كوهين رئيس التحرير في المثقفين اليهود.

صورة جديدة لأمريكا



اليهود والأدب الأمريكي المعاصر
د. رمسيس عوض
القاهرة: دار الهلال، كتاب الهلال،
العدد ٥٧٥، نوفمبر ١٩٩٨م.

ونتيجة لجهود جماعة مينورا ومجلة بارتيزان ريفيو التي أسست عام ١٩٣٤م بزغت صورة جديدة لأمريكا من رسم اليهود، وبلغ تحمس هؤلاء اليهود لأمريكا مبلغًا جعل مجلة البارتيزان ريفيو تقول في افتتاحيتها: «إن معظم الكتاب، يهودًا كانوا أم غير يهود، لم يعودوا يقبلون فكرة الاغتراب عن أمريكا».

وتزايد عدد المثقفين اليهود الذين نبذوا تمردهم وغربتهم عن المجتمع الأمريكي، واستطاعوا أن يلتحموا التحامًا كاملاً مع هذا المجتمع.

ويتقدم عقد الخمسينيات ليَظهر إنتاج روائي كبير لعدد من الروائيين اليهود على رأسهم نورمان مالر، وأدوين شو، وشاؤول بيلو، فضلاً عن إسهامات ليونيل تريلينج في مجال نقد الأدب الإنجليزي، وأيضًا الكتابات اليهودية المتنامية في

مجلتي «بارتيزان ريفيو» و«تعليق» إلى جانب إنتاج كلٍ من برنارد مالامود، وفيليب روث الروائيَّين البارزين، وبذلك أصبح الوجود اليهودي في الأدب الأمريكي والحياة الثقافية أمرًا مؤكدًا.

وتحت عنوان «الخمسينيات وذروة التغلغل اليهودي في الأدب الأمريكي» يستعرض المؤلف مظاهر هذا التغلغل الذي ظهر واضحًا في الرواية الأمريكية على وجه الخصوص حيث ظهرت أولى الروايات التي تعالج موضوعًا يهوديًا باسم «الحائط» تأليف جون هيرسي، وتناولت هذه الرواية بالتحديد رؤية من وجهة نظر غير يهودية للثورة التي أشعلها يهود الجيتو في وارسو ببولندا، كما احتلت الرواية اليهودية «تمرد كين» تأليف هرمان ووك مكانة مرموقة في قائمة المبيعات في عامي ١٩٥١ و١٩٥٢م. وفي العام التالي لفت الروائي اليهودي شاؤول بيلو الأنظار إليه بروايته «مغامرات أوجي مارتش» التي أهلته للفوز بجائزة الكتاب القومي.

وما لبث حجم التغلغل اليهودي وإشارات النقاد إليه أن تعاظم إلى درجة أن الملحق الأدبي لجريدة التايمز رصد هذه الظاهرة، وخصص لها عام ١٩٥٩م عددًا بعنوان «الخيال الأمريكي» اشتمل على مقال بعنوان «جماعة مسموعة الصوت» عن الدور اليهودي في الأدب الأمريكي، وقد ذكر في هذا المقال ما يلي: «منذ نحو عام ١٩٥٠م أصبحت الكتابة اليهودية قوة مسيطرة على الأدب الأمريكي». وأوضح المقال أبرز الكتاب اليهود الذين تركوا أثرًا حاسمًا في الأدب الأمريكي وهم: ليونيل تريلينج، وألفريد كازين، وفيليب راهف، وليسلي فيلدر، وإرفنج هاو في مجال النقد الأدبي، وشاؤول بيلو، ومالامود في مجال الرواية، وآرثر ميللر في مجال الدراما، وشوارتز، وهوارد نمروف، وستانلي كوينتز. فضلاً عن الأثر العميق الذي تركته بصفة عامة مجلة «البارتيزان ريفيو»، وظهور جيل جديد أصغر سنًا. والجدير بالذكر أن أحدًا لم يقف في سبيل انطلاق الأدب اليهودي الأمريكي، أو يضع العراقيل أمام ازدهاره.

ويرى المؤلف أن أمريكا في الآونة الأخيرة عرفت ما يمكن تسميته بالتعددية الثقافية بعد أن كان الخيال الأمريكي يتغذى على التقليد الإنجلو ساكسوني وحده؛ وذلك لأن أمريكا أصبحت ملتقى الثقافات نتيجة للهجرات الآسيوية والإفريقية، وتجدد هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتي (سابقا) وإسرائيل إليها.

آرثر ميللر

أما النقاد اليهود في أمريكا فلم يظهر منهم قبل فترة الأربعينيات والخمسينيات اسم أي ناقد يهودي مرموق سوى لودفيج لويسون، ولكن هذا الاسم اللامع ما لبث أن انطفأ في عقد الثلاثينيات بسبب إفراطه في التركيز على يهوديته.

وقبل اندلاع ألسنة الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م ظهرت في أمريكا كوكبة من ألمع النقاد اليهود الذين أثّروا في مجال الدراسات الأدبية والنقدية تأثيرًا عظيمًا، على رأسهم ليونيل تريلينج، وفيليب راهف، والفريد كازين، وليسلي فيلدر، وأرفنج هاو الذين أثبتوا بما لا يدع مجالاً للشك قدرة العقل اليهودي على استيعاب التجربة الأمريكية وتمثلها.

ولم يقتصر نفوذ هؤلاء النقاد اليهود على تشكيل الذوق الأدبي الأمريكي، بل تعداه إلى تشكيل الوجدان الثقافي، ومعالجة الأدب من منظور تاريخي.

إحياء ديني

ثم يفرد الكتاب بعض صفحاته، التي تعدت ٢٥٠ صفحة من القطع الصغير، للحديث عن كل شخصية من الشخصيات السالفة الذكر متتبعاً حياتها وأعمالها وتأثيرها في الأدب الأمريكي، ليتوقف بعد ذلك عند الصحوة الدينية اليهودية في الأدب الأمريكي.

فبعد انحسار فرحة انتصار الحلفاء على قوات المحور في الحرب العالمية الثانية بات من الواضح أن الحضارة الغربية تواجه محنة، مما حفز الكثيرين من الأدباء على الالتجاء إلى الدين كي يخلصهم مما يكتوون به من بلاء. ولا غرو أن يدب الإعياء الروحي في أوصال المجتمعات لعدة أسباب، منها: مثول خطر الحرب الباردة، واحتمالات الفناء الذري. وفي عام ١٩٥٧م نشر الناقد تشارلس أي جليكسبرج مقالا بعنوان «الإحياء الديني في الأدب المعاصر» يبين فيه كيف أن إفلاس الماركسية، وعدم استقرار العالم، واختراع القنبلة الذرية، والثورة العلمية، حدت بالناس إلى الارتماء في أحضان الدين.

وقد انتشرت في الخمسينيات أيضاً عدوى الأفكار العدمية نتيجة القلق والتعب الروحي، والعذاب واليأس والحزن الوجودي المخيم على الغرب. وبطبيعة الحال تأثر الأدب بهذا الجو العام الذي يشيع فيه الإحباط، فأصبح هذا الأدب يتحدث عن اغتراب الإنسان. ولم يجد أدباء أمريكا صورة للاغتراب أفضل من صورة اليهودي الذي تعرض للاضطهاد عبر القرون، ثم جاءت النازية لتسحق اليهود تحت أقدامها. وقد تنوعت ردود فعل الكتاب والمثقفين إزاء هذه المحنة، فآثر بعض الناس العودة إلى حظيرة الدين التقليدي المتمثل في اليهودية والمسيحية التقليدية، ولجأ الكثيرون في الغرب إلى أديان الشرق مثل البوذية وغيرها، ولجأ بعضهم إلى المسلك الوجودي.

ولكن من الخطل أن نعتقد أن كل المثقفين اليهود اتجهوا شطر الديانات الشرقية، فقد أدت الإبادة الجماعية لليهود على أيدي النازيين إلى إيمان الكثيرين منهم بالدين اليهودي فضلاً عن مناصرتهم وتأييدهم لدولة إسرائيل التي كان الهولوكست النازي أكبر حافز إلى إنشائها، ولم يكتف هؤلاء المثقفون اليهود بالاستمساك بالديانة اليهودية بل جاءت مساندتهم لدولة إسرائيل من باب تأكيد الهوية اليهودية.

> لم يقتصر نفوذ هؤلاء النقاد اليهود على تشكيل الذوق الأدبي الأمريكي، بل تعداه إلى تشكيل الوجدان الثقافي، ومعالجة الأدب من منظور تاريخي

ومن الأسماء التي اتجهت للدين اليهودي ميرون كوفمان، وهيونسنسون، وجان نورجبورن، ومارك ملبرين، ولكن أبرزهم جميعاً هم تشابك بوتوك، وآرثر كوهين، وسنثيا أوزيك، ويتميز هؤلاء الثلاثة بأن دفاعهم عن اليهودية يقوم على معرفة وثيقة بالتقاليد والمؤسسات الدينية اليهودية. ولا غرو فقد تلقّى كل من كوهين وبوتوك العلم في الخمسينيات في معهد الدراسات اللاهوتية اليهودية.

أما أوزيك العصامي فقد وجّه جهوده الخاصة لدراسة الكتابات اليهودية. ومع أن بعض رواياتهم تخلو من الإشارة إلى الدين فإنه يمكن عدّهم جميعاً كتّاباً دينيين.

ويخلص الدكتور رمسيس عوض في نهاية كتابه إلى أن الكاتب اليهودي صار جزءاً لا يتجزأ من النسيج الفكري والثقافي الأمريكي، ولُحمةَ هذا الفكر وسداه. وليس مجرد شيء وافد على الساحة الثقافية الأمريكية. ولم يتغلغل اليهود في الأدب الأمريكي الجاد فحسب، بل أسهموا بسخاء أيضاً في الكتابات الغثة، وعروض التسلية التي تروق لعامة الناس.



هذه المصطلحات النحوية

إحياء للتراث
أم إساءة له؟!

إبراهيم السامرائي

ردًا على إبراهيم السامرائي

ذكر د. إبراهيم السامرائي في كلمة له بمجلة الفيصل (العدد ٢٧٠، ص٢٨) أن التفسير مصطلح كوفي بمعنى التمييز، ثمّ أنكر أن يكون الخليل مما استعمله، فقال: وكيف يكون هذا من علم الخليل؟.

وهذا الكلام لا يخلو من مقالة. أمّا أنّ الخليل لم يستعمل مصطلح «التفسير»، وأنّ هذا المصطلح لم يكن من علمه، فكأنه كذلك، إلا أن يكون بعض ما ورد فيه هذا المصطلح في الكتاب مما حكاه سيبويه عن الخليل، أو أن يكون هذا المصطلح في كلام سيبويه، كما سيأتي، ثمرة من ثمرات علم شيخه الخليل. وهذا مما ينبغي تحققه في ضوء ما انتهى إلينا من كلام الخليل، وما وقع بين أيدينا من نصوصه. والقطع به نفيًا أو إثباتًا يحتاج ممن ينهض له إلى ما ينبغي من حصر واستقراء واستقصاء.

وأمّا أنّ «التفسير» مصطلح كوفي ـ كما قال د. السامرائي، وهو في ذلك متّبِع وليس مبتدعًا؛ لأنّ ذلك هو المتداول في كتب الباحثين المحدثين(١) ـ ففيه نظرٌ وتوقّف؛ لأنّ المقصود من عبارة «مصطلح كوفي»، وهو ما يتبادر إلى ذهن الناس، أنّ أول من ابتدأه ووضعه واستعمله هم النحاة الكوفيون؛ إلا أن يكون في الكلام ما يقيّد العبارة، ويفيد استعمال غير الكوفيين له على قلة أو على نحو من الأنحاء، ومن ذلك مثلاً قول رضي الدين الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ): «وإذا أُطلق الضمّ والفتح والكسر في عبارات البصرية فهي لا تقع إلا على حركات غير إعرابية، بنائية كانت كضمة حيثُ، أو لا كضمة قاف قُفْل؛ ومع القرينة تُطلق على حركات الإعراب أيضًا كقول المصنّف ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) صاحب الكافية في النحو: بالضمة رفعًا؛ والكوفيون يطلقون ألقاب أحد النوعين على الآخر مطلقًا»(٢).

ليس كوفيًا

وإذا صحَّ ذلك فإنّ مما يدلّ على أن «التفسير» ليس مصطلحًا كوفيًا = أن سيبويه، وهو رأس البصريين، سمّى التمييز بذلك قبل الكوفيين في غير موضع من كتابه، من ذلك مثلاً قوله في باب «كم»: «وإذا قلت: كم عبدُ الله ماكثٌ، فكم أيامٌ، وعبدالله فاعلٌ. وإذا قلت: كم عبدُالله عندك، فكم ظرفٌ من الأيام، وليس يكون عبدالله تفسيرًا للأيام لأنه ليس منها. والتفسير: كم يومًا عبدُالله ماكثٌ، أو كم شهرًا عبدُالله عندك...»(٣).

وقوله في باب «ما يُنصب نصبَ كم إذا كانت منوّنةً في الخبر والاستفهام»: «وإن شئت قلت: لي ملءُ الدار رجُلاً، وأنت تريد جميعًا، فيجوز ذلك، ويكون كمنزلته في «كم» و«عشرين». وإن شئت قلت: «رجالا»، فجاز عنده كما جاز عنده في «كم» حين دخل فيها معنى «رُبَّ»، لأن المقدار معناه مخالف لمعنى «كم» في الاستفهام، فجاز في تفسيره الواحدُ والجميع كما جاز في «كَمْ» إذ دخلها معنى «رُبَّ»، كما تقول: ثلاثةٌ أثوابًا، أي من ذا الجنس، يجعله بمنزلة التنوين»(٤).

ومنه قوله في هذا الباب: «ما لا يعمل في المعروف إلاّ مضمرًا»: «وسألته عن قوله، وهو الراعي:

فأومأتُ إيماءً خفيًا لحَبْتَرٍ
ولله عينا حَبْتَرٍ أيّما فتى(٥)

فقال: أيّما تكون صفة لنكرة، وحالاً للمعرفة، وتكون استفهاماً مبنيًا عليها، ومبنية على غيرها، ولا تكون لتبيين العدد، ولا في الاستثناء نحو قولك: أتوني إلا زيدًا. ألا ترى أنك لا تقول: له عشرون أيّما رجلاً، ولا أتوني إلا أيّما رجل، فالنصب في: «لي مثله رجلاً»، كالنصب في «عشرين رجلاً». فأيّما لا تكون في الاستثناء، ولا يختصُّ

بها نوع من الأنواع، ولا يُفسَّر بها عدد»(٦).

وعبارة «لا يُفسَّر بها عدد» التي يُقصد بها: لا يُميِّز ولا يُبيِّن بها عدد = يمكن أن تكون مما حكاه سيبويه من كلام شيخه الخليل، وهو المعنيّ بـ «سألته» و«قال»، في جوابه عن سؤاله.

ثمّ إنّ ثمة بصريين آخرين استعملوا مصطلح «التفسير» في كلامهم ومصنفاتهم دونما إشارة إلى أنه ليس من مصطلحهم (أي من مصطلح البصريين)، من ذلك - مثلاً - قول الزجاج، وهو نحويّ بصري عند التحقيق، في «قريناً» من قوله تعالى: *وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا*. النساء: ٣٨. «منصوب على التفسير، كما تقول: زيدٌ نعم رجلاً، وكما قال: *سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا*. الأعراف:١٧٧».(٧).

وخلاصة القول أنّ «التفسير»، ومثله «المفسِّر»، ليس من المصطلحات الكوفية؛ لكنّ الظاهر أنّ البصريين هجروهما، أو قل: تخففوا من استعمالهما، ولزموا غيرهما، بينما أكثر الكوفيون من تداولهما، حتى شاعا في مصنَّفاتهم، فخُيِّل إلى الناس أنهما مصطلحان كوفيان.

ويشهد لذلك مثلاً كثرة ماتراهما في كتاب الفرّاء (معاني القرآن)، وقلّتها في مثيله كتاب الزجّاج(٨).

والتمييز يقال له أيضاً المميِّز والبيان والمبيِّن والتبيين(٩). وما ذهب إليه مكي بن أبي طالب (ت:٤٣٧هـ) من وقف مصطلح التمييز على الأعداد، إذ قال: «وقولنا: النصب على التفسير، وعلى البيان، وعلى التمييز سواء، إلا أنّ التمييز يُستعمل في الأعداد»(١٠) - ليس له دليل من كلام المتقدمين فيما أعلم.

مصطلحات أخرى

وليس «التفسير» هو المصطلح الوحيد الذي نسبه المحدثون خطأً إلى الكوفيين، فثمة مصطلحات نحوية أخرى دأب المصنفون والباحثون النحويون واللغويون، المحدثون والمتأخرون، على نسبتها مخطئين إلى البصريين أو الكوفيين، مبتدئين أو متّبعين؛ فضلاً عمّا يعتور كلامهم أحياناً عن بعض المصطلحات النحوية من خطأ وافتقار إلى الدقة. ومن تلك المصطلحات يمكن ذكر هذين المثالين:

الإجراء وترك الإجراء:

يُلاحظ في كتب النحو وما يمتّ إليها بسبب أنّ عبارات الصرف والمنع من الصرف، وما ينصرف وما لا ينصرف، وما يؤخذ منها - تكثر في كتب البصريين(١١)؛ وأنّ عبارات الإجراء وترك الإجراء، وما يُجرى، والمُجرى وغير المُجرى، وما يجري وما لا يجري - تكثر في كتب الكوفيين(١٢). ولعلّ ذلك كان وراء ما فعله المصنفون والباحثون من نسبة العبارات الأولى «الصرف وما يؤخذ منه» إلى الأوّلين «البصريين»، ونسبة العبارات الأخرى «الإجراء وما يؤخذ منه» إلى الآخرين «الكوفيين»(١٣). ولا تخرج نسبة من نسب العبارات الأخيرة إلى البغداديين(١٤) عن نسبة من نسبها إلى الكوفيين؛ لأنّ عبارة (البغداديين) تعني عند التحقيق الكوفيين أو متأخريهم؛ وذلك لأنهم عُرفوا في بغداد(١٥). على أنّ في كلام بعض أولئك المصنفين والباحثين ما يدلّ نصاً أو إشارة أو مفهوماً على أن الفرّاء هو مبتدئ مصطلح الإجراء وما يؤخذ منه، وأنه أول من وضعه و استعمله(١٦)، خلافاً لما نصّ عليه السهيلي (ت ٥٨١هـ) منفرداً من أنّ «ما يُجرى وما لا يُجرى» من مصطلح سيبويه(١٧). فما القول المحقَّق في ذلك؟ وأي هذين القولين هو الصحيح؟

إذا قلّبت كتاب سيبويه، وهو أقدم ما ثبت وصحّت نسبته من كتب النحو، مفتشاً عن مصطلح الإجراء وترك الإجراء، أو ما يؤخذ منهما، لم تعدم له أثراً؛ فقد قال سيبويه في «باب ما ينصرف من الأمثلة وما لا ينصرف»: «تقول: كلُّ أَفْعَل يكون وصفاً لا تصرفه في معرفة ولا نكرة، وكلُّ أَفْعَل يكون اسماً تصرفه في النكرة. قلت: فكيف تصرفه، وقد قلت: لا تصرفه. قال: لأنّ هذا مثالٌ يمثَّلُ به، فزعمتَ أنّ هذا المثال ما كان عليه من الوصف لم يجر، فإن كان اسماً وليس بوصف جرى»(١٨).

وكلام سيبويه ها هنا كما ترى مما يُحتَجّ به لقول السهيلي، ويدفع عنه ما رماه به بعض الباحثين من التوهّم(١٩)، إلا أن يكون المقصود بـ «قال» في كلام سيبويه شيخه الخليل، فيكون ذلك حينئذ من مصطلح الخليل.

على أن القطع في نسبة المصطلح «لم يجرِ، جرى» إلى الشيخ أو تلميذه أو عدمه - لا يؤثر فيما يفيده النص من أن هذا المصطلح من مصطلحات البصريين، وأنهم أول من استعملوه. ولعلّ مما يؤيد ذلك أن نجد بعض البصريين يستخدمه على قلّة فيما يستخدم من مصطلحات وعبارات. فمن ذلك - مثلاً - أن الخليل استعمله في معجمه في مادة «قزّ»، فقال: «وأما بابل فإنّ اسمٌ خاصٌ لا يجري مجرى الأسماء العوامّ»(٢٠)، وأن المبرّد ترجم لباب ما ينصرف وما لا ينصرف بقوله «باب ما يجري وما لا يجري»(٢١)، دون أدنى إشارة منه إلى أن ذلك من مصطلح الكوفيين، وهو الذي كان يشير أحياناً إلى مصطلح الكوفيين في بعض مؤلفاته(٢٢).

والظاهر، وقد ثبت أنّ الإجراء وتركه وما يؤخذ منهما، والصرف ومنعه وما إليهما، مصطلحات بصرية وضعاً وابتداءً - أن الكوفيين آثروا العبارات الأولى، فاستقرّت بين أيديهم، و كثرت في مصنفاتهم وكلامهم، دون أن ينصرفوا كليّةً عن العبارات الأخرى، ومما يدل عليه استعمال الفرّاء - مثلاً - لها في مواضع كثيرة من كلامه(٢٣)؛ بينما آثر البصريون مصطلح الصرف ومنعه، وما إليهما، في مصنفاتهم إيثاراً دعا كثيراً منهم إلى إهمال العبارات الأخرى؛ حتى إذا جاء الناس ونظروا إلى الكثرة دونما تحقيق قالوا ما قالوا. والله تعالى أعلم.

النعت:

قال السيوطي: «قال أبو حيّان: والتعبير به - أي بالنعت - اصطلاح الكوفيين، وربما قاله البصريون، والأكثر عندهم الوصف والصفة»(٢٤).

وقول أبي حيان: «والتعبير به اصطلاح الكوفيين» إن أريد به أنّ أول من ابتدأه ووضعه واستعمله هم النحاة الكوفيون، ففيه من النظر ما كان في مصطلح «التفسير»؛ إلاّ أن يكون أبو حيّان شكّ من بعدُ في ذلك، فاستدرك بقوله: «وربما قاله البصريون»، وهو يعني أنه ربما كان البصريون أول من ابتدأه واستعمله، وإن كان الأكثر عندهم التعبير عنه بالوصف والصفة، وحينئذ يكون قد شكّ فيما كان - وما يزال - عند المصنفين والباحثين شائعاً، من أن «النعت» مصطلح كوفي، خلافاً لما يقتضيه التحقيق والاستقراء.

صحيح أن الكوفيين استعملوا مصطلح «النعت» للصفة في مصنفاتهم وكلامهم أكثر مما استعمله البصريون، يؤيده فيما يؤيده مثلاً كثرة وروده في كلام الفرّاء(٢٥)؛ لكن البصريين كانوا أسبق في استعماله من الكوفيين. ومما يدل على ذلك وروده في معجم الخليل عشرات المرّات، من ذلك - مثلاً - قول الخليل في مادة (سجف): «قال الفرزدق:(٢٦)

....

رَقَدْنَ عليهنَّ الحجالُ المسجَّفُ

نعتَ الحجال بنعْت الذكر المفرد على تذكير اللفظ، لأنّ الحجال على لفظ الحِمار، فكل جماعة يُشبهُ لفظُها لفظ الواحد يجوز أن تنعتَها بنعت الواحد، كما تقول: جيشٌ مُقبلٌ، ولم تقل: مُقبلون؛ لأنّ لفظَ «جيشٌ» لفظٌ واحدٌ كما تقول: غيْر ونحوه...»(٢٧).

وما قاله بعض الباحثين من أنّ الفرّاء هو أول من اصطلح على تسمية النعت باسمه، وأن سيبويه والبصريين كانوا يسمونه صفة، وأن سيبويه أراد بالنعت عطف البيان«٢٨»، ليس جميعه بمسلّم؛ لأنّ ثمة من سبق الفرّاء إلى ذلك من البصريين كالخليل وسيبويه؛ ولأنّ سيبويه سمّى الصفة نعتاً في غير موضع من كتابه، وليس في تلك المواضع وجه لعطف البيان؛ ومن ذلك - مثلاً - قوله: «و إنّما كان الفصلُ في «أظنُّ» ونحوها؛ لأنّه موضع يلزم فيه الخبر، وهو ألزم من التوكيد؛ لأنه لا يجد منه بداً. وإنّما فَصلَ لأنّك إذا قلت: كان زيدٌ الظريف، فقد يجوز أن تريد بالظريف نعتاً لزيد، فإذا جئت بـ «هو» أعلمت أنّها متضمنة للخبر»(٢٩).

والذي أراه أن الكوفيين آثروا مصطلح «النعت»، فتداولوه، وأكثروا استعماله، فشاع في مصنفاتهم، وأن البصريين آثروا مصطلح «الصفة»، فكثر في مؤلفاتهم، حتى ظُنّ أن الأول للأوّلين، وأن الآخر للآخرين.

وما يُذكر من أن بعض النحويين واللغويين وغيرهم يفرّقون بين المصطلحين: النعت والصفة، ويرون أنّ أحدهما للعارض والآخر للثابت من الصفات، أو أن أحدهما لما يتغيّر، والآخر لما يتغيّر ولما لا يتغيّر منها، أو أنّ

أحدهما لا يكون إلا في محمود، أو أن الآخر قد يكون في المحمود وغيره، أو أنّ أحدهما يختصّ بالحلية، وأنّ الآخر يختص بالأفعال، ...إلخ ـ ليس ثابتًا ولا مؤكدًا؛ والتفريق بينهما لا يقوم على منطق علمي، أو علم يقيني، ولا يعتمد على أساس عقلي. وهذه الفروق المخترعة المتخيَّلة كما قال د. جميل علوش «ضرب من التخمين الذي لا تؤيده النصوص اللغوية ولا الاستعمال اللغوي»(٣٠).

وهذه الكلمة تدل، بما قامت عليه من نظر ومراجعة، على أن المصطلح اللغوي والنحوي في التراث اللغوي العربي مما ينبغي أن يُنهض له، لتحقيقه ومراجعته والنظر فيه، مع ما يقتضيه ذلك من استقراء واستقصاء(٣١)؛ على أن المصطلح النحوي اللغوي ليس هو وحده في التراث اللغوي العربي الذي يحتاج إلى ما ينبغي من مراجعة وتحقيق وتدقيق ونظر، فثمة مسائل وقضايا أخرى فيه تحتاج إلى مثل ذلك.

عبدالناصر إسماعيل عسّاف

درعا ـ سورية

المراجع والهوامش

١. المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٢، ص١٦٦ ـ ١٦٧، ونحو القرّاء الكوفيين، خديجة أحمد مفتي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٥م، ص٣٩، ٤٠٠.

٢. الكافية في النحو لابن الحاجب، مع شرح رضي الدين الأستراباذي عليها، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م، ١/١٢٤ وفي قول رضي الدين هذا وما كان نحوه عندي نظر وتوقف ليس هنا موضعه.

٣ و٤ ـ الكتاب، سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ٢/١٥٩ ـ ١٦٠، ١٧٣.

٥ ـ الشاهد في حماسة أبي تمام، تحقيق د. عبدالمنعم أحمد صالح، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٠م، ص٤٨٢. وحبْتر هو ابن أخت الشاعر.

٦. الكتاب ٢/١٨٠ ـ ١٨١. وانظر فيه أيضًا ٢/١٥٧، و١٦٨ ـ ١٦٩، و١٧٥ ـ ١٧٩.

٧. معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، تحقيق د. عبدالجليل شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م، ٢/٥٢.

٨. معاني القرآن للفراء، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي وعبدالفتاح شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٠، ١/٢٢٥، و٢/٣٣ ـ ٣٤، و٤٩، و١٣٦، و١٣٨، و١٤١... ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٣٨٦. على أن الفرّاء استعمل التفسير في غير موضع من كتابه (مثلاً ١/١٩٣، و٣٤٨، و٣/١٥٤) بمعنى البدل.

٩. همع الهوامع للسيوطي، دار المعرفة، بيروت ١/٢٥٠، والكتاب ١/٢٠٩، و٤١٧.

١٠. مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين السواس، دار المأمون للتراث، ط٢، ١/١٩٣.

١١. انظر مثلاً معجم «العين» للخليل بن أحمد، تحقيق د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، قم، ط٢، ١٤٠٥ ـ ١٤١٠هـ ٣/١١٣، و٥/١٨٦، و٢٨٥، والكتاب ٢/١٥٧، و٣/١٩٣ وما بعدهما، ومنع الصرف بين الاستعمال والتعقيد النحوي، د. فوزي حسن الشايب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٧١، الجزء ٤، ص٦٩٨ ـ ٦٩٩.

١٢. معاني القرآن للفراء ١/٣٢١، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٦٢، ٤٢٨، ٤٢٩، و٢/١٩، ٢٠، و٣/١٤،... ومنع الصرف... ص٦٩٨.

١٣. الأشباه والنظائر للسيوطي، دار الحديث، بيروت، ط٣، ١٩٨٤م، ٢/٢٨، وأبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، د. أحمد مكي الأنصاري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ـ القاهرة ١٩٦٢م، ص٤٥٢، والمدارس النحوية ص١٦٧، ومنع الصرف... ص٦٩٨ ـ ٦٩٩.

١٤. شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب ـ بيروت، مكتبة المتنبي ـ القاهرة، ١/٥٧.

١٥. انظر في هذا الموضوع: ابن يعيش النحوي، د. عبدالإله نبهان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م، ص ٩٢ ـ ٩٤، ٦٧٤، والمدرسة البغدادية عند المعاصرين، د. محمد عطا موعد، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد ٦٤، ١٩٩٦م، ص٩٣ ـ ١١٠، والدرس النحوي في بغداد أم مدرسة بغداد النحوية؟ د. محمد قاسم، مجلة التراث العربي، العدد السابق، ص٦٩ ـ ٩٢.

١٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، ط بولاق، ٨/٤٨٤، وأبو زكريا الفراء ٤٥٢ ـ ٤٥٣.

١٧. أمالي السهيلي ص٣٩.

١٨. الكتاب ٣/٢٠٣.

١٩. ابن يعيش النحوي، ص٦٧٤، حاشية٣.

٢٠. العين (قز) ٥/١٣.

٢١. المقتضب، المبرد، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ٣/٣٠٩.

٢٢. الكامل، المبرد، تحقيق د. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، ص٣٠٦.

٢٣. معاني القرآن للفراء مثلاً ١/٤٢٨، ٢/١٧٥، ١٧٦، ٣٠٤.

٢٤. الهمع للسيوطي ٢/١١٦.

٢٥. معاني القرآن مثلاً ١/١٩٨، ٢٧٧، ٣١٣، ٣٢٤، ٣٦٥، ٣٧٥... على أنه استعمل مصطلح الصفة أيضًا في غير موضع من كتابه ١/٣٢٨، ٣٣٠. ٤٦٣، و٢/١٤، ٥٨، ١٠٧، ومصطلح الإتباع قليلاً ١/٣٨٠.

٢٦. وصدره: إذا القُنْبُضاتُ السُّودُ طوّفْنَ بالضُّحى

٢٧. العين (سجف) ٦/٥٧، وانظر فيه أيضًا ٢/٧٣، ٣/٩٥، ٢٢٩، ٥/١٨، ٦/١١، ٢١٨... ولعل في كلمة «غير» في كلام الخليل تصحيفًا صوابه عير بعين مهملة.

٢٨. المدارس النحوية ١٦٧، ٢٠٢، ومدرسة الكوفة، مهدي المخزومي، للبابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٧هـ ص٣١٤.

٢٩. الكتاب ٢/٣٨٧ ـ ٣٨٨، وانظر فيه أيضًا ١/٤٣٢، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٣٦، و٢/٢٣، ١٨٩.

٣٠. انظر في تلك الفروق وتحقيق القول فيها: المصطلح النحوي بين الصفة والنعت، د. جميل علوش، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٦٢، ج٤، ١٩٩٧م، ص ٦٨٣ ـ ٦٨٦، ٦٩٣ ـ ٦٩٤.

٣١. وقد قُيِّض لي بحمد الله تعالى وفضله أن أنظر في مصطلحات أخرى مراجعة وتحقيقًا في رسالتي لنيل درجة الدكتوراه: جهود ابن عطية الأندلسي النحوية والصرفية ـ دمشق، ١٩٩٦م، وفي أوراق أخرى مخطوطة لم تنشر.

الملف الثقافي

معرض مشترك للأمير خالد الفيصل والأمير تشارلز في لندن

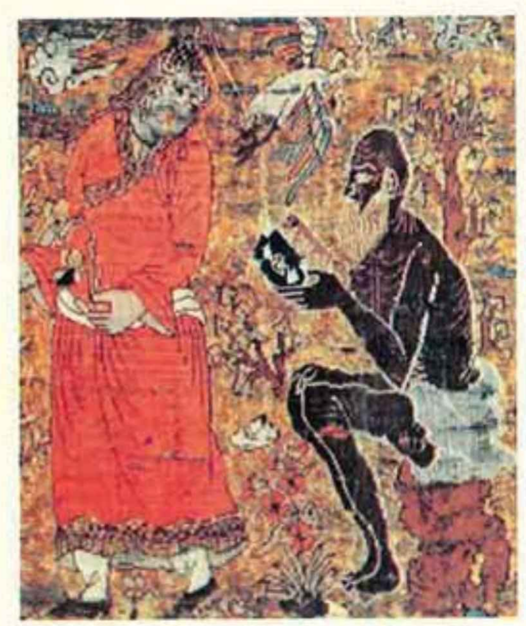
تقليص شكسبير

ألعوبة ماركيز

كتّاب العالم يدينون روسيا

حصين البحر وسعدالله ونوس

أمبرتو إيكو يفوز بجائزة إسبانية



خاتمة المطاف :

فيما مضى وتكرر إيابه!

الأمير خالد الفيصل يدعو إلى قيام مؤسسة فكرية عربية

أطلق صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير في مؤتمره الصحفي الذي عقده في إحدى قاعات فندق الفينيسيا في بيروت والذي حضره جمع غفير من الإعلاميين اللبنانيين يتقدمهم نقيب الصحافة اللبنانية محمد بعلبكي، فكرة مشروع إنشاء مؤسسة فكرية عربية تعنى بمختلف جوانب الفكر من علوم واقتصاد وإدارة وآداب وفنون وتعمل على بلورة الأفكار الموحدة للأمة، ونبذ دواعي الفرقة والاختلاف.



الأمير خالد الفيصل

وقال سموه: «إن المؤسسة التي ستتخذ من بيروت مقراً لها ستكون أهلية لا حكومية، وأنه لن يكون لها أي ارتباط بالأنظمة أو التوجهات الحزبية أو الطائفية».

وعدّ سمو الأمير خالد الفيصل أربعة أهداف للمؤسسة: أولها إيجاد مناخ من التلاؤم الفكري الذي يصب في المصلحة العليا للأمة لتوحيد اتجاهاتها وغاياتها، وثانيها خدمة الثقافة العربية بصفتها ثقافة موحدة تنأى عن أسباب الفرقة والشتات، وثالثها تنمية الاعتزاز بالثوابت والقيم والأخلاق، والهدف الرابع هو تشجيع الإبداع في الثقافة والفكر والفنون وتكريم المبدعين الذين يتوجهون بإبداعهم إلى خدمة فكرة التضامن العربي ولمّ شتات الأمة.

ونطرق سموه إلى نشاطات المؤسسة فقال: إنها ستتمثل في إيجاد جوائز تمنح للإبداعات المتميزة التي تنتظم في سياق أهداف المؤسسة، كما ستتمثل في تنظيم احتفالية سنوية في العواصم العربية بالتناوب، ويتخلل هذه التظاهرة بعض الفعاليات الثقافية المتنوعة، وكذلك تكريم بعض الشخصيات الفكرية الذين لهم دور واضح في تنمية الوعي بالتضامن العربي.

وقال سموه: إن تمويل المؤسسة سيتم عن طريق إسهامات الموسرين العرب المهتمين بأمور الفكر، وذلك برصد مبلغ محدد لاكتتاب يصرف من ريعه على نشاطات المؤسسة، وأضاف سموه أن البداية كانت مشجعة لأن عدداً من الموسرين المهتمين بقضايا الأمة ومستقبلها اتصلوا به، وأبدوا استعدادهم للإسهام في تكوين رأس مال المؤسسة المنوي إنشاؤها.

وعن تفاصيل المشروع ذكر سموه أنه صاحب الفكرة وحسب، وأنه يترك للقائمين على المؤسسة مستقبلا أمر وضع أنظمتها، وقوانينها وضوابطها، أما سبب اختيار بيروت مقراً للمؤسسة فلأنها أحد مراكز الثقافة العربية.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل في زيارة لبيروت حضر خلالها المؤتمر الثقافي الذي عقد في قصر الأونيسكو في الفترة من ٢٩ إلى ٣١ مايو/آيار الماضي حول موضوع «تطلعات الثقافة والفنون لما بعد العام ٢٠٠٠ - العولمة والتكنولوجيا» وشارك فيه بإحياء أمسية شعرية، ومعرض تشكيلي.

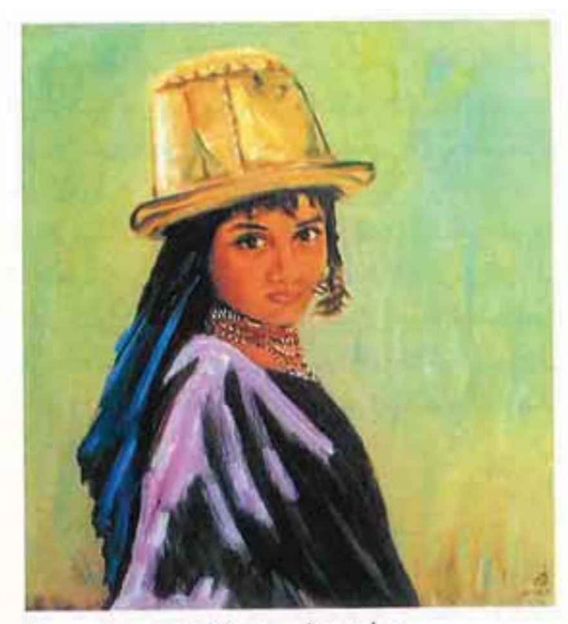
معرض مشترك للأمير خالد الفيصل والأمير تشارلز في لندن

افتتح رسمياً في القاعة الكبرى في قصر بانكويتنغ هاوس في منطقة وايتهول في وسط لندن يوم الخميس ١٣ من شهر ربيع الأول سنة ١٤٢١هـ الموافق ١٥يونيو/حزيران - الماضي، المعرض المشترك لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير، وصاحب السمو الملكي الأمير تشارلز ولي العهد البريطاني الذي ضم إنتاجهما من اللوحات والرسومات الفنية التي رسماها عن مشاهداتهما للنواحي الجمالية في الطبيعة الخلابة في منطقة عسير وغيرها.

وقد تم فتح المعرض أمام الجمهور في الفترة من الجمعة ١٤ ربيع الأول إلى يوم الأربعاء ١٩ ربيع الأول (١٦ - ٢١يونيو/حزيران الماضي).

وضم المعرض ٢٦ لوحة زيتية فريدة من رسم الأمير خالد الفيصل، و ٣٠ لوحة فنية بالألوان المائية رسمها الأمير تشارلز عن مشاهداته في مناطق مختلفة من العالم من بينها منطقة عسير الغنية بالتراث والحضارة وجمال الطبيعة.

وكانت الملكة إليزابيث الثانية ملكة بريطانيا قد قامت بزيارة خاصة للمعرض برفقة أعضاء من الأسرة المالكة في بريطانيا واطلعت على اللوحات المعروضة وعلى



من أعمال الأمير خالد الفيصل

مقتنيات قرية عسير الشعبية المقامة في إطار المعرض.

وأشار الأمير خالد الفيصل إلى أن زيارة جلالة الملكة إليزابيث الثانية للمعرض دفعة ثقافية لمستوى العلاقات بين البلدين التي يرجع تاريخها إلى عهد الملك عبدالعزيز يرحمه الله، وأوضح سموه أن هذا المعرض محاولة جادة لتقديم الثقافة السعودية على المستوى الدولي، وأنه من حسن الطالع أن يتزامن مع اختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م.

واهتمت الصحف البريطانية بإبراز هذا الحدث الفني فقامت صحيفة التايمز البريطانية بتغطية ضافية للمعرض الذي حمل اسم «الرسم والرعاية»، وفي لقائها مع الأمير خالد الفيصل علق سموه على لوحات الأمير تشارلز بقوله: «أعتقد أن زميلي الفنان استطاع أن ينقل بنجاح دفقات الضوء في المنطقة»، بينما قال الأمير تشارلز: «إن مشهد الضوء والمناظر الطبيعية في منطقة عسير تخلب الألباب وإنه حاول في لوحاته نقل دفقات الضوء الباهر فوق قمم الجبال».

وقد قام بتصميم المعرض المصمم البريطاني تشارلز مارسن سيمدلي الذي وضع رسومات الفنان الأمير خالد الفيصل في خيمة عربية بحيث تظهر للمشاهدين أن هناك ترابطاً وثيقاً بين الثقافة العربية والبريطانية.

وكانت إدارة المراسم في اللجنة البريطانية المنظمة للزيارة قد أعدت برنامجاً حافلاً للأمير خالد الفيصل خلال زيارته لبريطانيا التي استغرقت ١٣ يوماً تضمنت زيارة عدد من المعالم المهمة في العاصمة البريطانية ذات التراث العريق.

وكان من ضمن الزيارات التي قام بها سموه زيارة جامعة لندن وقد ألقى محاضرة بقاعة بروناي عن عسير وتجربة التنمية، ضمن النهضة الشاملة التي تشهدها المملكة العربية السعودية، باللغة الإنجليزية حضرها أكاديميون من جامعات بريطانية إلى جانب حضور دبلوماسي وإعلامي مكثف.

مخطوطات جديدة لمركز الملك فيصل

اقتنى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مؤخراً مجموعة من المخطوطات في موضوعات علمية متنوعة، من بينها مخطوط «كشف اللثام عن أسئلة الأنام» أو «الفروع في الفقه» للإمام حسين بن محمد المحلي الشافعي (ت ١١٧٠هـ) كتب بخط النسخ على ورق أوربي تبدو عليه الخطوط المتوازية والعلامات المائية على يد علي بن مصطفى الطهراوي سنة ١٢٧٥هـ في ٣٦١ ورقة وعليه تصحيحات، كتبت رؤوس الفقرات بالحبر الأحمر ووضعت خطوط التنبيه أيضاً بالحبر الأحمر. ومخطوطة «التحفة الشريفة والطرفة المنيفة» لمحمد بن الحسن الجواني (ت ٥٨٨هـ) يوجد منه نسخة مصورة بالمركز من مكتبة باريس الوطنية، ومخطوطة «الشجرة النبوية الشريفة» للعلامة عبدالسلام بن إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني المالكي (ت ١٠٧٨هـ) كتبت بخط المؤلف. يوجد فيها جداول ومشجرات استخدمت فيها الألوان الأحمر والأخضر والأسود، ومخطوطة «مناقب الإمام أبي حنيفة وأصحابه» كتبت بخط النسخ، وكتبت رؤوس الفقرات والفصول بالحبر الأحمر، ومخطوطة «نصيحة الإخوان لاجتناب الدخان» للعلامة إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني المالكي (ت:١٠٤١هـ) بخط ابن المصنف: العلامة عبدالسلام بن إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني سنة ١٠٣٦هـ (أي في حياة المصنف) (والده)، و«الاقتراح في أصول علم النحو»، للسيوطي (ت: ٩١١هـ) تقع في ٣٢ ورقة، ناقصة من الأخر، كتبت بخط مغربي في القرن الثاني عشر الهجري تقريباً، على ورق أوربي تظهر فيه الخطوط المتوازية والعلامات المائية، كتبت رؤوس الفقرات وعناوين الأبواب بالحبر الأحمر، وأحياناً بألوان أخرى كالأزرق والأخضر والأصفر، والنسخة مصححة، وعليها حواش وتعليقات، وغير ذلك من المخطوطات القيمة.

كلينتون يشيد بالعرب الأمريكيين



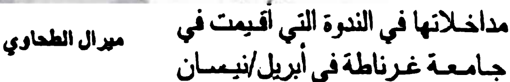
جبران خليل جبران

أقامت مؤسسة المعهد العربي الأمريكي في واشنطن، في الثالث عشر من يونيو/حزيران الماضي، حفلا ثقافيًا عربيًا بمناسبة منح جائزة الأديب العربي اللبناني جبران خليل جبران المعروفة باسم «روح الإنسانية» لخمس مؤسسات تكريمًا للإنجازات التي حققتها في مجال خدماتها ونشاطاتها العامة، والمؤسسات هي: مؤسسات أغافان، واتحاد الجمعيات الخيرية السورية واللبنانية في أمريكا، ومركز روبرت كنيدي لحقوق الإنسان، ومؤسسة فاني ماي، وجمعية فوكس هوب.

وقد حضر الحفل الرئيس الأمريكي بيل كلينتون وعدد من الشخصيات الأمريكية البارزة من ذوي الأصول العربية، ونوّه الرئيس الأمريكي في الكلمة التي ألقاها في الحفل بدور الثقافة في توثيق العلاقات بين الشعوب، كما أثنى على إسهام العرب الأمريكيين ومنظماتهم المدنية في الحياة الأمريكية.

ميرال الطحاوي تقاضي البساطي

أقامت الأديبة المصرية ميرال الطحاوي وعدد من أفراد أسرتها دعوة قضائية ضد الأديب المصري محمد البساطي الذي كان قد حمل بعنف على الكاتبة، في حوار نشرته صحيفة المساء القاهرية، وانتقد مداخلاتها في الندوة التي أقيمت في جامعة غرناطة في أبريل/نيسان الماضي عن «الرواية بعد نجيب محفوظ» ونسب إليها قولها: «أنا بدوية وعشت في الخباء طوال حياتي وأسرتي خانت عرابي».



ميرال الطحاوي

وفي ردها على الاتهامات التي ساقها البساطي، صرحت ميرال لمجلة الوسط الصادرة بتاريخ ٥ يونيو/حزيران الماضي أنها لم تقل هذا الكلام مطلقًا، وأكدت أن الورقة التي قدمتها في الندوة موجودة، وكذلك وقائع الجلسة نفسها مسجلة، وأوردت ميرال الفقرات التي اجتزأ منها البساطي استشهاداته.

وأضافت الكاتبة: «البساطي صوّر للرأي العام أني أقدّم طرحًا ضد العرب كما أوحى بأن سلوى بكر تقدم طرحًا ضد الإسلام، مما جعل الغرب يترجم لنا نحن الاثنتين!»، لهذا قررت هي وأسرتها اللجوء إلى القضاء؛ «لأن البساطي بهذا يحرض العامة عليّ وسط أجواء سوء فهم الأدب المستشرية هذه الأيام».

وقد قوبلت ميرال بحفاوة بالغة في إسبانيا بمناسبة صدور الترجمة الإسبانية لروايتها «الخباء»، كما انتشرت أخبار في القاهرة تقول: إن لجنة التحكيم في جوائز الدولة التشجيعية التي ستعلن في مصر خلال الأيام القادمة قد اختارت ميرال الطحاوي لجائزة الدولة في الرواية عن روايتها «الباذنجانة الزرقاء».

المصادفة تقود إلى مقبرة

اكتشفت في العاصمة اليمنية صنعاء مقبرة أثرية بالمصادفة تضم ١٣ قبرًا حجريًا بينها ثلاثة مبنية بالطين، وبداخل بعضها بقايا جثث بشرية، بينما تضم المقابر الأخرى جثثًا أقرب إلى السليمة.

وقال خبراء آثار: إن الموقع المكتشف في حي شعوب - شمال صنعاء القديمة - هو قبر حميري يراوح عمره بين ٢٠٠٠ و٢٥٠٠ عام.

وقصة هذا الاكتشاف أن مواطنًا يمنيًا وهو القاضي فضل الأكوع يملك أرضًا، وأراد أن يبني عليها بيتًا، وقام بحفرها بالجرافة (الشيول)، وفي أثناء العمل، وجدت أحجار مرصوفة على شكل قبور، فأوقف العمل، وأبلغ الهيئة العامة للآثار التي شكلت فريقًا يضم علماء آثار من ألمانيا للكشف عن الموقع، وكانت المفاجأة كبيرة وجاءت لتضيف جديدًا إلى الاكتشافات السابقة في أنحاء أخرى.

منحتان دراسيتان من مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية

يعلن مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية عن تخصيص منحتين دراسيتين خلال السنة الدراسية ٢٠٠١ - ٢٠٠٢م لطلاب مرحلة ما بعد الدكتوراه أو ما يعادل ذلك من بلدان آسيا وإفريقية.

وتحمل المنحتان اسمي الإمام البخاري والإمام الترمذي تكريمًا لهما، وتأتيان بهدف دعم الدراسات في مجالات الفنون والإنسانيات، أو العلوم الاجتماعية ذات الصلة بدراسة

الإسلام أو العالم الإسلامي، ويفضل أن تكون البحوث المقدمة في أحد هذه العلوم: علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، أو الاقتصاد، أو الجغرافيا، أو التاريخ، أو العلاقات الدولية، أو القانون، أو الأدب، أو الفلسفة، أو السياسة، أو الدين، أو علم الاجتماع، أوالعلوم الإسلامية.

وسيعتمد الاختيار على مدى أصالة البحث المقدم، ويشترط في المتقدم للحصول على إحدى هاتين المنحتين الدراسيتين ألا يقل عمره عن ٣٥ سنة. كما ينبغي إرفاق السيرة الذاتية مع الطلب، إلى جانب خطابات توصية من مرجعين على علم تام بالمتقدم، مع وصف موجز لمشروع البحث المقترح.

ويحصل من يقع عليه الاختيار على منحة مالية قدرها ٢٠٠٠ جنيه إسترليني كمصاريف مدة ثلاثة أشهر على الأقل في أكسفورد، إلى جانب منح أخرى كرواتب أيام إجازات السبت والأحد.

والمركز، إذ يعلن عن هاتين المنحتين، يثق بالعلماء من المختصين بدراسة الإمامين البخاري والترمذي، وأنهم لن يألوا جهداً في البحث والمشاركة في النشاطات الأكاديمية المتعلقة بهذا الموضوع.

الجدير بالذكر أن مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية معهد تابع لجامعة أكسفورد، وله علاقات واسعة بالجامعات ومراكز البحوث في جميع أنحاء العالم، وهدفه ترسيخ فهم حقيقي للإسلام وللعالم الإسلامي عن طريق البحوث والدراسات العلمية، فالمركز يشجع الدراسات في مختلف فروع المعرفة، كما لا يقتصر هذا الجهد العلمي على منطقة بعينها.

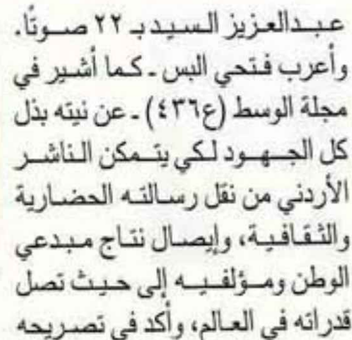
ويمكن الحصول على استمارات الطلبات من العنوان التالي:

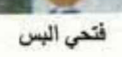
The Awards Secretary,IB/It Scholarships, Oxford Centre for Islamic Studies, George street, Oxford Oxi 2AR, U.K. Tel: 44 1865 278730, Fax: 44 1865 248942.

وآخر يوم لتقديم الطلبات هو: ١٥ نوفمبر/تشرين الثاني من عام ٢٠٠٠م.

البس رئيساً لاتحاد الناشرين الأردنيين

اختير فتحي البس رئيساً لاتحاد الناشرين الأردنيين إذ حصل على ٢٨ صوتاً من الهيئة العامة للاتحاد، وجاء بعده عبدالعزيز السيد بـ ٢٢ صوتاً.

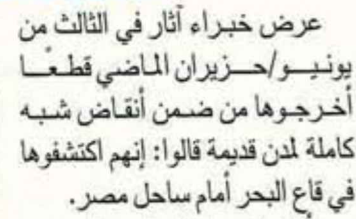




فتحي البس

وأعرب فتحي البس - كما أشير في مجلة الوسط (ع٤٣٦) - عن نيته بذل كل الجهود لكي يتمكن الناشر الأردني من نقل رسالته الحضارية والثقافية، وإيصال نتاج مبدعي الوطن ومؤلفيه إلى حيث تصل قدراته في العالم، وأكد في تصريحه للوسط موقف الاتحاد المناهض للاحتلال والتطبيع مع العدو الصهيوني.

مينوتيس وهيراكليوم




تمثال إيزيس

عرض خبراء آثار في الثالث من يونيو/حزيران الماضي قطعاً أخرجوها من ضمن أنقاض شبه كاملة لمدن قديمة قالوا: إنهم اكتشفوها في قاع البحر أمام ساحل مصر.

وأفاد الفريق الفرنسي المصري المشترك أن مدينتي مينوتيس وهيراكليوم اللتين غرقتا قبل أكثر من ألف عام ترقدان على عمق ما بين خمسة إلى عشرة أمتار تحت الماء على مسافة ستة كيلومترات من مدينة الإسكندرية المطلة على البحر المتوسط.

وعُرض على الصحفيين تمثال لإيزيس طوله متر ونصف المتر نحت بمهارة من الجرانيت الأسود، وكان ضمن القطع التي رفعت من قاع البحر.

واكتشف أيضاً خلال عامين من أعمال الاستكشاف تحت الماء رأس لتمثال أبي الهول ومجوهرات وعملات ذهبية ترجع إلى العصور الإسلامية والبيزنطية، وأفاد علماء الآثار أن بعض العملات يعود إلى العهد الأموي مما يشير إلى استمرار الحياة بالمنطقة قبل غرقها حتى القرن الثامن الميلادي.

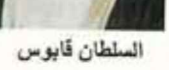
ويرجع أثاريون سبب غرق هذه المدن إلى أسباب زلزالية.

جامعات خاصة في عمان

وافق مجلس التعليم العالي العماني على إنشاء جامعة خاصة في ولاية صحار بمنطقة الباطنة وفق القانون والإجراءات المنظمة لذلك في سياق مشاركة القطاع

الخاص في مجال التعليم العالي.

وكان السلطان قابوس قد أصدر عام ١٩٩٩م مرسوماً بفتح جامعات خاصة للإسهام في رفع مستوى التعليم العالي والبحث العلمي، وتوفير التخصصات العلمية الحديثة لإعداد المتخصصين والفنيين والخبراء في شتى المجالات، وكانت جهات كثيرة قد طلبت التصديق لها بفتح جامعات خاصة، ولكنها لم تبدأ فعلياً حتى الآن، مع العلم أن جامعة قابوس هي الجامعة الوحيدة في السلطنة إضافة إلى بعض الكليات المتخصصة.



السلطان قابوس

وثائق عثمانية في مقالب القمامة

أورد يوسف الشريف من أنقرة خبراً نشرته جريدة الحياة في العدد (١٣٦١٤) جاء فيه أن بعض المواطنين الأتراك عثروا على وثائق من الأرشيف العثماني في مقالب للقمامة في مدينة أزجيرا التركية، وهو ما جدد اللغط الدائر حول إهمال هذا الأرشيف وضياع قسم كبير منه، وأوضح أن معظم الوثائق التي تم العثور عليها، هي مستندات ملكية لبعض الأوقاف التي أنشأها السلاطين العثمانيون، ومنها وقف الحرمين الذي أنشأه السلطان بايزيد الثاني.

أوربا وفلسطين



بشارة خضر

صدر حديثاً كتاب «أوربا وفلسطين» لبشارة خضر مدير مركز دراسات العالم العربي المعاصر في جامعة لوفان في بلجيكا، استعرض فيه فترة ٩٠٠ سنة من العلاقات بين أوربا وفلسطين ابتداء من الحروب الصليبية مروراً بحملة نابليون وإلى تأسيس دولة إسرائيل.

وقال خضر في حوار أجراه معه كامل شياع - مراسل الوسط في بروكسل - نشر في العدد (٤٣٦) مجيباً عن سؤال طرحه عليه شياع نصه: لماذا تعتبر الكتاب الأخير من أهم نتاجاتك العلمية؟

«ثمة أسباب عدة ذات طبيعة موضوعية وشخصية: أولها أن البحث يعالج فترة زمنية تمتد بين سنة ١٠٩٩م. (دخول الصليبيين القدس الشريف) إلى نهاية سنة ١٩٩٩م. ثانياً، يمكنني اعتبار هذه الدراسة التاريخية رائدة في أسلوب الكتابة الذي استبعد العاطفية والانتقائية و«تدجين» التاريخ ليتناسب مع رؤية مسبقة، وفي منهجية البحث التي لم تكتف بسرد الوقائع، وإنما وضعتها ضمن إطارها العام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وفي طرق أبواب لم تطرق سابقاً. أشير، على سبيل المثال، إلى أنه نادراً ما يروي المؤرخون الفلسطينيون والعرب قصة مشروع انتداب بلجيكي لفلسطين تم طرحه في سنة ١٩١٥م، بمباركة فرنسا ودعم الفاتيكان، وكلاهما حبذ آنذاك اختيار بلجيكا كدولة انتداب بعد الحرب العالمية الأولى؛ لأنها كاثوليكية؛ ولأنها ليست ذات ماض استعماري في منطقة الشرق الأوسط.

أخيراً، أود الإشارة إلى سبب شخصي، وهو بحكم كوني باحثاً فلسطينياً مرتبطاً بعلاقات مع الكثير من الجامعات الأوربية، أردت أن أضع بين يدي طلابي كتاباً يتيح لهم الولوج إلى لب القضية الفلسطينية، ويوضح كيف أن غرس دولة إسرائيل الأرض العربية كان - أصلاً - مشروعاً أوربياً استعمارياً منذ نهاية القرن الثامن عشر. والدليل الذي أقدمه على ذلك اقتراح الأمير البلجيكي دي لينيه بدعم إنشاء دولة يهودية في فلسطين في عام ١٧٩٧م، أي قبل مئة سنة بالضبط من المؤتمر الصهيوني الأول في بازل».

الحقيل يهدي مؤلفاته لمركز الملك فيصل

أهدى الأستاذ عبدالكريم بن إبراهيم الحقيل لمكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ٤٦٧ نسخة من ستة من مؤلفاته هي: «شعراء العصر الحديث»، و«من مشاهير الجزيرة العربية»، و«معين الباحث في البيت الشعبي وقائله»، و«أسر تحضرت في الجزيرة العربية»، و«زاد المستفيد من القول المفيد»، و«منهل المستفيد من الشعر المفيد».

وثائق دارة الملك عبدالعزيز

أوضح الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز الدكتور فهد بن عبدالله السماري الجهود التي تبذلها الدولة في سبيل جمع الوثائق ذات الصلة بالمملكة وحفظها وبين أن الدارة تملك أكثر من مليوني وثيقة بعضها وثائق محلية، والأخرى مصورة من

أرشيفات عالمية في ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وتركيا وهولندا وإيطاليا وروسيا، وفيما يخص أنماط هذه الوثائق ذكر أنها عبارة عن مراسلات تاريخية وصكوك ووقفيات وخطابات رسمية وقرارات وبيانات وتقارير ونصائح، ووجه الأمين العام للدارة الدعوة إلى الباحثين والباحثات للاستفادة من هذه الوثائق ومن أوعية معلومات أخرى تتعلق بالمملكة.

إهداءات لمكتبة الإسكندرية

احتفلت مكتبة الإسكندرية مؤخراً بتسلّم مكتبة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر الميلادي تتكون من ٤٥٠ كتاباً في شتى حقول المعرفة، هدية من إحدى الأسر الإيطالية، وهي أسرة الكونت فيدريكو سانجرار دي فردال، وأقيم الاحتفال، الذي حضره محسن زهران مدير مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية، في قاعة المؤتمرات المجاورة للمكتبة.

الجدير بالذكر أن هذا هو ثالث إهداء تتلقاه المكتبة خلال شهر واحد، فقد أهدتها حكومة الصين مجموعة كبيرة من الكتب، وشاركت فرنسا بتزويد المكتبة بالحاسب الآلي، كما أهدتها جمعية أصدقاء قناة السويس مجموعة من الكتب.

ومن المقرر أن تفتتح المكتبة بصورة رسمية في نهاية هذا العام في احتفال يتوقع أن يحضره ٦٠ ملكاً ورئيس دولة من مختلف أرجاء العالم.

فوز أمبرتو إيكو بجائزة إسبانية

أعلن مؤخراً عن فوز الفيلسوف والكاتب الإيطالي أمبرتو إيكو بجائزة أمير أستورياس للاتصالات والإنسانيات، وتعد هذه الجائزة من أبرز جوائز إسبانيا وأرقاها، وهي تمنح كل عام في مجالات مختلفة تشمل الاتصالات، والإنسانيات، والعلوم الاجتماعية، والفنون، والآداب، والعلوم، والتعاون العالمي، والرياضة، حيث يتلقى الفائزون بها خمسة ملايين بيزيتا وتمثالاً تكريمياً صممه الفنان خوان ميرو خصوصاً لهذه الجائزة.

ويعد إيكو البالغ من العمر ٦٨ عاماً أشهر كتّاب إيطاليا، وهو أستاذ كرسي في جامعة بولونيا، وكاتب بحوث أدبية حول ثقافة الجماهير ووسائل الاتصالات.

وجاء في قرار اللجنة التي اختارته بالإجماع «أن إيكو ساهم عالمياً وأعماله أصبحت كلاسيكية في المعرفة المعاصرة».

وفازت بهذه الجائزة هذا العام أيضاً الصحافية الأرجنتينية سلمى حينرالي، والمعهد العالمي للإعلام، ومقره فيينا، والصحفي البلقاني آدم ميشنيك، وقد تم اختيار هؤلاء من بين ٤٥ مرشحاً.

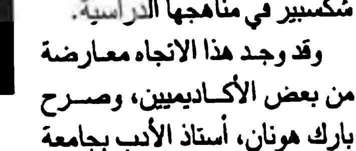
اكتشاف معبد سومري

عثرت إحدى فرق التنقيب عن الآثار مؤخراً على بناية أثرية يعود تاريخها إلى الألف الثالثة قبل الميلاد في موقع جوخة في محافظة ذي قار جنوب العراق.

وذكرت نوال المتولي رئيسة الفريق أنها تعتقد أن البناية كانت معبداً في العهود السومرية الأولى مشيرة إلى أنه تم العثور على قطع أثرية مختلفة في الموقع من بينها فخاريات ومعادن ولوحات طينية مكتوبة تعود إلى فترات زمنية مختلفة.

وكانت دائرة الآثار العراقية قد بدأت في الأشهر الأخيرة حملة تنقيب واسعة في أنحاء العراق أسفرت عن العثور على آثار مهمة تعود إلى العصور السومرية والآشورية وبدايات العصر الإسلامي.

تقليص شكسبير


شكسبير

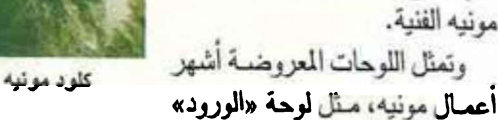
أشارت بعض التقارير الصحفية مؤخراً أن جامعة كمبردج البريطانية الشهيرة بصدد تقليص حجم المادة التي يُدرَّس شكسبير في مناهجها الدراسية.

وقد وجد هذا الاتجاه معارضة من بعض الأكاديميين، وصرح بارك هونان، أستاذ الأدب بجامعة ليدز، لصحيفة ديلي تليجراف بقوله: «أعتقد أن ثمة شيئاً فاسداً في كمبردج»، مضيفاً أن تقليص شكسبير إلى جزء من منهج عام سوف «يعصره» ويجعله «قزماً».

ويأتي هذا الاقتراح ضمن اتجاه عام لمراجعة منهج اللغة الإنجليزية في جامعة كمبردج التي درجت على تدريس طلابها في مرحلة ما قبل التخرج مادة دراسية تتناول الفترة بين عام ١٥٥٠ و١٧٠٠م، ثم مادة أخرى تتركز بالكامل على شكسبير، إضافة إلى خمس مواد أخرى لابد من اجتيازها.

واقترح بعض الخبراء أن يدرس شكسبير جنباً إلى جنب مع توماس كيد، وجون لايلي، وتوماس ميدلتون، وجون درايدن.

لوحة لمونيه بـ ٢١ مليون دولار



كلود مونيه

شهد متحف مارمتون في باريس مؤخراً معرضاً فنياً للرسام الانطباعي كلود مونيه (١٨٤٠ - ١٩٢٦م) ضم عشرات اللوحات التي تؤرخ لحقب مختلفة من رحلة مونيه الفنية.

وتمثل اللوحات المعروضة أشهر أعمال مونيه، مثل لوحة «الورود» ١٩٢٥م - ١٩٢٦م، و«نزهة قرب ارنجتاي» ١٨٧٣م، و«القارب» ١٨٨٧م، و«جبل ايترينا» ١٨٨٥م، و«لافنبورت... انعكاسات على الماء» ١٨٨٥م، و«نيلوفر» ١٩١٦م - ١٩١٩م.

ومن جهة أخرى شهد اليوم الأول من موسم الربيع للمزادات العلنية في نيويورك لدار «كريستيز» بيع لوحة من مجموعة هذا الفنان بمبلغ ٢٠ مليوناً و٩٠٦ آلاف دولار، وقد اشترى اللوحة بالهاتف شخص لم يذكر اسمه، وكانت لوحة أخرى من هذه المجموعة قد سجلت عام ١٩٩٩م رقماً قياسياً عالمياً حين بلغ سعرها ٢٢.٥ مليون دولار.

إهداءات لمكتبة الملك فهد الوطنية

تلقت مكتبة الملك فهد الوطنية مؤخراً مجموعة كبيرة من إهداءات الكتب في عدد من الموضوعات والتخصصات؛ ولاسيما ما له علاقة بالإنتاج الفكري السعودي فقد تجاوز عدد الكتب والمطبوعات المهداة أربعين ألف كتاب. إذ تلقت المكتبة من بعض الهيئات والأفراد ما مجموعه (٢٣٥٠٠) كتاب. كما تلقت من علي محمد العيسى خمسة عشر عنواناً من مؤلفاته بلغت ستة عشر ألف نسخة. ومن عبدالكريم حمد الحقيل أحد عشر عنواناً من مؤلفاته بلغت خمسمئة وسبع عشرة نسخة، وخمسة عناوين من كتاب الرياض بلغت (٢٥٠) نسخة.

وقد أصدرت إدارة تنمية المجموعات - قسم الإهداء والتبادل - في المكتبة قائمة الإهداء والتبادل الجديدة رقم (١) لعام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

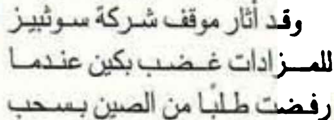
وتضم القائمة ٣٣٨ عنواناً من الكتب السعودية باللغة العربية وغيرها من اللغات، ومعظمها من إصدارات المكتبة المتخصصة في علوم المكتبات والمعلومات والتوثيق والآثار وتاريخ المملكة؛ إلى جانب مجموعة من العناوين المنتقاة من الإنتاج الفكري السعودي، إذ تتولى المكتبة إرسال قوائم الإهداء والتبادل إلى من يطلبها من المكتبات المتعاونة في مجال تبادل المطبوعات مع المكتبة في جميع أنحاء العالم.

وقد قامت المكتبة عن طريق قسم الإهداء والتبادل وإدارة النشر بإهداء ١٨.٥٠٠ كتاب للمؤسسات الثقافية المحلية والخارجية، واستفاد من برنامج الإهداء والتبادل الذي تُديره المكتبة مئات المكتبات على اختلاف أنواعها، سواء أكانت مكتبات صغيرة أم كبيرة، داخل المملكة وخارجها، إذ دعمت المكتبة هذا العام عدداً من المكتبات في الدول العربية والإسلامية.

الصين تسترد كنوزها



مزهرية الإمبراطور كيانلونغ



لجأت الحكومة الصينية إلى دخول بعض المزادات لشراء كنوزها الأثرية التي نهبت من قصر بكين الصيفي قبل ١٤٠ عاماً بأيدي الجنود الفرنسيين والبريطانيين.

وقد أثار موقف شركة سوثبيز للمزادات غضب بكين عندما رفضت طلباً من الصين بسحب مزهرية مسدسة الشكل من الخزف الصيني تعدها بكين من أملاك الدولة الصينية من أحد مزاداتها، ودفعت الصين مبلغ مليون جنيه إسترليني ونصف المليون ثمناً لهذه المزهرية التي صنعت للإمبراطور كيانلونغ في عام ١٧٤٣م.

وصرح أحد خبراء الآثار والتحف الصينية بقوله: «إن إنفاق الملايين هو الطريقة الوحيدة كي لا تضيع هذه الكنوز إلى لأبد، كانت تلك المزهرية ستنتهي إلى قبو مظلم ضمن مجموعة خاصة. ومن العار والذل على الصين أن تضطر إلى دفع المال حتى تستعيد ممتلكاتها».

وتقوم الحكومة الصينية بمجهودات كبيرة في سبيل استعادة هذه الآثار من ضمنها عملية الشراء من المزادات والتعاون مع منظمة اليونسكو لتصيد المهربين الذين يغيرون على القبور ويمدون السوق بهذه الآثار المسروقة.

صدور شمس العلوم

احتفلت الأوساط العلمية في اليمن بصدور كتاب «شمس

العلوم، ودواء كلام العرب من الكلوم» للعلامة نشوان بن سعيد الحميري الذي أنجزه قبل أكثر من ٨٠٠عام، ويعد أهم كتاب صدر في اليمن هذا العام.


غلاف المجموعة

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب ثلاثة باحثين هم الدكتور حسين عبدالله العمري، سفير اليمن في لندن، والدكتور يوسف محمد عبدالله، رئيس الهيئة العامة للآثار، والاستاذ مطهر بن علي الإرياني الباحث المتفرغ، وقد صدر في ١٢ مجلداً فاخراً عن دار الفكر بدمشق على نفقة رئاسة الجمهورية اليمنية.

ويعد كتاب «شمس العلوم» موسوعة علمية لشتى فنون المعارف منها: اللغة وعلومها، وعلوم القرآن من تفسير وقراءات، وعلوم الحديث والأصول والفروع، والفرق والنحل والملل، والمعاني والبيان، والعروض والقوافي، وعلم الفلك والنبات، والطب، وغيرها.

الشمري والأرقام العربية


هزاع الشمري

أصدر الكاتب والمؤرخ هزاع بن عيد الشمري كتاباً عنوانه: «الأرقام العربية أصل من أصول الخط العربي» نشرته دار أجا بالرياض (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م). في إطار دفاعه عن الرقم العربي (المستخدم في بلاد المشرق العربي)، والعمل على توضيح الحقائق المتعلقة به، ودحض ما انتشر بين الناس من مزاعم توحي أن الرقم الأجنبي المستخدم في الغرب هو الرقم العربي.

احتوى الكتاب على معلومات وثائقية تؤكد أصالة الرقم العربي، والتصاقه بتاريخ الثقافة العربية منذ القدم، وهذا الكتاب هو ثالث أعمال الشمري في مجال دفاعه عن الرقم العربي، إذ صدر له من قبل كتاب بعنوان «الأرقام العربية والأرقام الإفرنجية» نشرته دار أجا في سنة ١٤١٨هـ، كما نشرت له مجلة عالم الكتب دراسة مطولة بالعنوان نفسه في العددين (٥، ٦) من المجلد، وفي عالم المخطوطات والنوادر العدد الأول من المجلد الرابع نشرت له دراسة بعنوان «الأرقام العربية أصل من أصول الخط العربي» هي أصل هذا الكتاب الجديد الذي قدمه أيضاً إلى المؤتمر السنوي لتعريب العلوم المنعقد في القاهرة في الفترة من (١٠ إلى ١٢) صفر سنة ١٤٢٠هـ/ الموافق (٢٥ ـ ٢٧) مايو/آيار ١٩٩٩م.

ويتابع الشمري دراسة هذا الموضوع واستقصاء جوانبه بصفة دائمة كاتباً ومشاركاً في ندوات ومؤتمرات، رغبة منه في إظهار الحقائق لغير العارفين بها. وتعد أعماله من أهم ما كتب في هذا الموضوع وأشمله، ومما جاء في خاتمة كتابه «الأرقام العربية أصل من أصول الخط العربي»: «وأعود لأكرر أنه ليس في المصلحة التضحية بتراث قديم متواصل مع الأزمان عبر آلاف السنين ومرتبط بعضه ببعض من حيث الخط والطريقة والألفة والصلاح في حروفه الهجائية وحروف أرقامه، وفي هذه التضحية قطع لصلة التراث، وفساد في الخط، ولهاث إلى ما عند الآخرين، وإن كان غير صالح».

تحويل قصر السلطان إلى متحف


صورة القصر

بمساهمة من الحكومة الهولندية، وإشراف معهد الدراسات الأمريكية بصنعاء، شرعت الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات في اليمن عبر فرعها في حضرموت، في أعمال الصيانة والترميم في قصر سيئون التاريخي والمعروف أيضاً باسم «قصر السلطان الكثيري» نسبة إلى بانيه السلطان غالب بن محسن الكثيري.

وتبلغ تكلفة أعمال الترميم نحو ٦ ملايين ريال، ويتضمن إصلاح ما لحق القصر من تشويه بسبب ترميمات سابقة.

وسيتم إعداده داراً للثقافة تضم إلى جانب مكتبي الثقافة والآثار متحفين يختص الأول بالآثار، ويجسد الآخر منظومة القيم والعادات التقليدية والممارسات الشعبية في وادي حضرموت.

ويعد قصر سيئون أحد أبرز معالم مدينة سيئون الواقعة على مسافة ١٢٠٠ كم جنوب شرق صنعاء، وتبلغ مساحته ٥٤٦٠ متراً مربعاً، ويتكون من ستة طوابق: يستخدم الطابق الأول مستودعاً، وفيه ٦٩ غرفة لحفظ الحبوب والمواد الغذائية وإيواء الحيوانات، وخصص الثاني والثالث والرابع التي يبلغ

عدد غرفها ٤١ غرفة مختلفة الأحجام، لإقامة السلطان وحاشيته، بينما استخدم الطابقان الأخيران صالات كبيرة ودواوين للاجتماعات في مختلف المناسبات، ويدل هذا القصر على تفرّد عمارة حضرموت وتميزها؛ إذ سبقت العالم في بناء ناطحات السحاب بـ ٥٨٠ سنة.

وكان هذا القصر قد استخدم في عدد من المهام بعد استقلال جنوب اليمن عن بريطانيا، إذ كان مقراً لإدارة الشرطة وإدارة الجوازات والهجرة، ثم داراً للإذاعة المحلية بالمدينة، وأخيراً داراً للثقافة.

بيع سجادة لويس الرابع عشر

بيعت سجادة فرنسية نادرة من القرن السابع عشر الميلادي تنتمي إلى مجموعة سجاجيد أوصى بها الملك لويس الرابع عشر لتزيين القاعة الرئيسة في قصر اللوفر، بمبلغ يزيد على ١.٣ مليون دولار في دار كريستيز للمزادات في نيويورك مؤخراً.

واشترى هذه القطعة الأثرية - وهي إحدى القطع النادرة التي لا تزال بأيدي الخاصة من جامعي التحف - شخص مجهول بواسطة الهاتف، ودفع مبلغ ١.٣٢٦ مليون دولار سعراً لها خلال بيع بالمزاد لقطع أثرية فرنسية وأوربية.

وقدرت كريستيز ثمن هذه السجادة التي نسجت في نحو عام ١٦٨٠م لدى مؤسسة «سافونري» في شايو بما بين ١.٢ و١.٨ مليون دولار.

وأخرجت السجادات بعد عهد لويس الرابع عشر الذي لقب بـ «الملك الشمس»، خلال المناسبات الكبيرة ثم توزعت، وتعرض بعضها للقص وبعضها للتلف مع مرور الوقت.

وتعرض بعض النماذج حالياً في متاحف مثل متحف «متروبوليتان» في نيويورك، و«هانتينغتون آرت غاليري» في لوس أنجلوس، و«ويدسدون مانور» في بريطانيا، ويعد عرض مثل هذه السجادة للبيع إلى الخاصة أمراً استثنائياً.

حصين البحر وسعد الله ونوس

احتفلت قرية حصين البحر في محافظة طرطوس الساحلية في سورية خلال يومي السبت والأحد (٣ و٤) يونيو/حزيران الماضي بإحياء الذكرى السنوية الثالثة لرحيل الكاتب المسرحي وابن البلدة سعدالله ونوس.

وشملت الاحتفالات عدداً من الأنشطة الثقافية والفنية شارك فيها عدد كبير من الفنانين والمثقفين العرب، وكان من ضمن هذه الأنشطة عرض مسرحي بعنوان «حكايا النساء» للمخرج محمد إسماعيل بصل، جمع فيها المخرج جوانب من المسرحيات التي كتبها سعدالله ونوس في آخر أيام حياته، وهي مسرحيات «الأيام المخمورة»، و«منمنمات تاريخية»، و«طقوس الإشارات والتحولات».


محمد بصل



التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية


غلاف الكتاب

عن مكتبة الملك فهد الوطنية صدر في سنة ١٤٢٠هـ للدكتورة نورة بنت عبدالله النعيم كتاب بعنوان: «التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير» جاء في ٨١٣ صفحة من القطع المتوسط، واحتوى على مقدمة وتوطئة واستعراض للشرائع القديمة، ثم خمسة فصول هي: الأول: «أحوال المجتمع في جنوب غرب الجزيرة العربية»، والثاني: «مراحل التشريع»، والثالث: «التشريعات والوثائق»، والرابع: «تطبيع التشريعات»، والخامس والأخير: «التأثيرات الخارجية في تشريعات جنوب الجزيرة»، ثم خاتمة وملاحق وكان من أهم ما اعتمدت عليه الباحثة في إعداد هذه الدراسة النقوش التي دونها سكان المنطقة خلال الألف الأول قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي والمكتوبة بخط المسند الجنوبي والتي دونت بعدة لهجات سميت بأسماء الشعوب التي تحدثت بها وهي السبئية، والقتبانية، والحضرمية، والمعينية.

كتّاب العالم يدينون روسيا

دان عدد من الكتّاب، من بينهم الكاتب الألماني جونتر جراس الحائز على جائزة نوبل للآداب، خلال خطابهم أمام المؤتمر السنوي لاتحاد الأدباء الدولي، الذي يطالب بحقوق المؤلفين وحرية التعبير، والذي عقد مؤخراً في روسيا، الحملة العسكرية التي تشنها موسكو في الشيشان، كما حذروا من


جونتر جراس

تأكل الحريات والديموقراطية في روسيا.

وقال جراس بهذا الصدد: «علينا أن نطالب بوضع حد للحرب ضد الشعب الشيشاني، وإجراء تحقيق بالمثل تحت إشراف الأمم المتحدة بجميع الجرائم التي ارتكبت من أي من الجانبين».

ألعوبة ماركيز


ماركيز

أثارت قصيدة نشرت في عدد من صحف أمريكا اللاتينية مؤخراً استهجان قطاعات واسعة من المبدعين ومتذوقي الفن الروائي المرموق على نطاق العالم، ووصفت بأنها «مرثية وداع» للكاتب الكولومبي الذائع الصيت غابرييل جارسيا ماركيز.

وقد ظهرت القصيدة البكائية التي حملت عنوان «الألعوبة» في صحيفة الجمهورية البيروفية ممهورة بتوقيع ماركيز، وأعيد نشرها في عدد من صحف المنطقة، لكن اتضح في وقت لاحق أنها من نظم شاعر هاو مغمور.

وجاء في معنى القصيدة المشبعة بشحنة عاطفة كثيفة: «إلهي، إذا كان لي متسع من الوقت، لن أدع برهة تمضي دون أن أذيع في الناس أنني أحب كوني أحبهم».

وكان ماركيز الحائز على جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٨٢م أبلغ مجلة نيويوركية في أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٩٩م أنه يتلقى العلاج من سرطان الغدد الليمفاوية.

نشاطات أثرية في السودان

يشهد السودان حالياً نشاطاً مكثفاً في مجال التنقيب عن الآثار، إذ تجوب أرجاءه الآن أكثر من ثلاثين بعثة أجنبية تعمل في مجال التنقيب عن الآثار، إضافة إلى كليات الآثار في الجامعات السودانية.

وقد صرح أمين أمانة المتاحف بالهيئة القومية للآثار والمتاحف أن هناك تعاوناً بين الهيئة وبعثات من متاحف وجامعات عالمية مثل المتحف البريطاني، ومتحف اللوفر، ومتحف برلين، ومن الجامعات جامعة روما، وهامبورج، وكولون، وأكسفورد، وكولومبيا.

آثار من حضارة مروي

وتم الإعلان عن بعض الكشوفات الأثرية المهمة في منطقة النقعة والمصورات الصفراء، كما أن هناك بعض الاكتشافات الأثرية الأخرى في منطقة جبل البركل، ومنطقة دنقلا العجوز، والكوة، وجزيرة صاي وغيرها من المناطق في الولاية الشمالية.

وتعرض أمين أمانة المتاحف بالهيئة لتجربة معرض حضارة السودان الذي أقيم في عدد من الدول الأوروبية تحت عنوان «ممالك على النيل»، وقال: إن هذا المعرض الذي استمر أكثر من سنتين، في أكثر من خمس مدن في ثلاث دول أوربية، كان له أثر واضح في ازدياد عدد السياح الذين قدموا إلى السودان بهدف السياحة الثقافية المرتبطة بالمواقع الأثرية والمتاحف، إضافة إلى إسهامه في التعريف بماضي السودان العريق.



مذكرات أبي العباس


أبو العباس

اتفق الأمين العام لجبهة التحرير الفلسطينية محمد عباس «أبوالعباس» مع دار نشر أمريكية لكتابة مذكراته السياسية التي ترتبط بكثير من العمليات التي قامت بها الجبهة، وشارك فيها أبوالعباس، أو خطط لها.

وصرح أبوالعباس أن هذه المذكرات تحمل الكثير من الأسرار، خاصة وهي تؤرخ لفترة مهمة من فترات الصراع العربي الإسرائيلي، وخروج رجال المقاومة الفلسطينية من عدد من المعسكرات في الدول العربية، ويأمل أبوالعباس أن يتمكن من الاتفاق النهائي مع دار النشر الأمريكية، التي لم يسمها، بحلول أغسطس/آب القادم.

المسابقة الثقافية لنادي أبها الأدبي

أعلن نادي أبها الأدبي عن المسابقة الثقافية رقم (٣٢)، وهي مفتوحة للسعوديين والعرب المقيمين من الجنسين،

وتتكون موضوعات الجائزة من : ثلاث قصائد جديدة، وثلاث قصص قصيرة جديدة، ترسل، أو تسلم، منها ثلاث نسخ لإدارة النادي (ص.ب: ٤٧٨ ـ أبها)، في موعد أقصاه نهاية شهر رجب سنة ١٤٢١هـ.

ويجوز للقادرين المشاركة في الشعر والقصة معاً.

أساليب الكتابة الروائية المغربية



عبد الحميد عقار

نظمت مجموعة البحث في البلاغة والأسلوبية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك بالدار البيضاء، في إطار أنشطتها العلمية، ندوة حول موضوع «أساليب الكتابة الروائية بالمغرب»، شارك فيها عدد من الأدباء والنقاد منهم أحمد المديني، وعبدالحميد عقار، وعبدالفتاح الحجمري، وآخرون.

وناقشت الندوة عدداً من القضايا كان أبرزها مداخلة عبدالحميد عقار حول الخصوصية البنوية لرواية «الفريق» للكاتب عبدالله العروي، كما تناولت الباحثة فتحية بناني موضوع «الرواية أو اللارواية في الأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية» متطرقة إلى نص «الذاكرة الموشومة» للأديب المغربي عبدالكبير الخطيبي كنموذج سردي ساهم بدوره في تطوير سيرورة الكتابة الروائية بالمغرب، وغير ذلك من القضايا والمداخلات.

فوز «ألوان العار»

نال الأديب المصري ألبير قصيري «جائزة المتوسط، ٢٠٠٠م»، التي تمنح كل عام لكاتب أو مبدع ينتمي إلى حوض المتوسط، وكان ألبير قد فاز بهذه الجائزة بتسعة أصوات ضد اثنين عن روايته «ألوان العار».

ولد ألبير قصيري عام ١٩١٣م في مدينة القاهرة لأسرة يهودية مصرية، وقام برحلته الأولى إلى باريس وعمره ١٧ عاماً، وأصدر أولى مجموعاته القصصية التي قدم لها ونشرها في أمريكا باللغة الإنجليزية هنري ميلر.

ويعيش ألبير منذ خمسين عاماً في الغرفة رقم (٥٨) في فندق لويزيان في حي السان جيرمان «المقاطعة السادسة»، وقد أصيب مؤخراً بمرض سرطان الحنجرة الذي منعه من الكلام، ولم يمنعه من متابعة الحياة ولا الكتابة، وستصدر قريباً طبعة جديدة من روايته «طموح في الصحراء».

وكانت «جائزة المتوسط»، التي سبق أن فاز بها عدد من الأدباء منهم الإسباني خوان غويتيسولو، والجزائري رشيد ميموني، هي الجائزة الثالثة التي يفوز بها ألبير، فقد سبق له الفوز بجائزة الفرانكوفونية عام ١٩٩٥م، وجائزة أوديبرتي الكبرى.

إسرائيل تسرق روسيا

استطاع رجال الجمارك في مطار موسكو من إحباط أكبر عملية تهريب لأيقونات روسية نادرة صنعت قبل عدة قرون كانت في طريقها إلى إسرائيل، وألقت السلطات القبض على عدد من الإسرائيليين.

وقد وصف أحد ضباط الجمارك الروس هذه العملية، التي تم اكتشافها في ثلاثة صناديق كبيرة، بأنها أكبر عملية تهريب يتم اكتشافها منذ عشر سنوات.

وأضاف الضابط أن عملية تهريب التحف النادرة والمجوهرات قد نشطت أخيراً عن طريق يهود روسيا ومواطنين إسرائيليين، كما أن عملياتهم امتدت لتهريب العملة الحرة من روسيا وبكميات كبيرة عبر دبلوماسيي إسرائيل وسفارات دول أخرى.

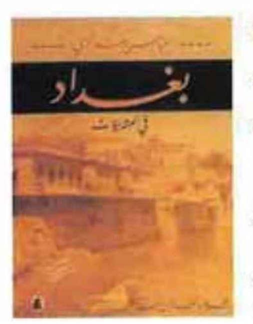
وكانت محاولة تهريب لوحة «الإمام شامل» إمام داغستان إلى إسرائيل، هي آخر المحاولات الخائبة.

النيوزويك باللغة العربية

صدرت في الكويت في الخامس من يونيو/حزيران الماضي النسخة العربية الأولى من مجلة «نيوزويك» الأسبوعية الأمريكية، وحمل غلاف العدد صورة ملكة الأردن رانيا العبد الله التي عاشت في الكويت مع عنوان «الوجه الجديد للمرأة العربية».

وتصدر النسخة العربية من المجلة عن دار الوطن الكويتية. وكان رئيس التحرير محمد عبدالقادر الجاسم قد حذّر من أن المجلة الجديدة قد تثير جدلا في العالم العربي؛ لأنها تتضمن موضوعات وآراء قد تعد «غير مناسبة للثقافة العربية أو معادية للانتماءات الفكرية والسياسية للقارئ العربي».

وتصدر «نيوزويك» عن «واشنطن بوست» وتترجم إلى اليابانية والكورية والإسبانية وقريباً إلى الروسية.



بغدادي، عباس/ لئلا ننسى؛ بغداد في العشرينات.- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م، ٣٨٣ص.

يتحدث الكتاب عن مدينة بغداد التي تعني الكثير في الذاكرة والواقع؛ لارتباطها بالكثير من الأحداث الجسام، وتزيد أهمية الكتاب أن الفترة التي يتناولها لها أهمية استثنائية: فترة سقوط الإمبراطورية العثمانية، والاحتلال الإنجليزي، ثم قيام الدولة العراقية الحديثة.

أسهب الكاتب في وصف الحياة في تلك الفترة، وأفرد فصولا لدور التمثيل والملاهي والشخصيات العامة والطب والمهن والصنايع والتجارة والأسواق، كما تعرض لوصف تفاصيل صناعات يصعب على الأجيال الحديثة تخيل وجودها، مثل: خياطي الصحون، وقاطعي الطوب، وصانعي الحصر، والطماسين، ومبيضي القدور، مع ذكر تفاصيل طريفة متعلقة بكل مهنة ولاسيما الحرف التي اندثرت كإضاءة فوانيس الشوارع أو ملئها بالنفط.

الكتاب إعادة رسم مدينة خلال مرحلة محددة بحيث يمكن على ضوء المعلومات الواردة فيه استعادة ملامحها، وقد وصف الروائي عبدالرحمن منيف ـ الذي قدّم للكتاب ـ طريقة كتابته بأنها أقرب إلى الشهادة خالية من أي دوافع؛ سياسية كانت أو شخصية.

ابن بطال، علي بن خلف بن عبدالملك/ شرح صحيح البخاري، ضبط وتعليق: أبوتميم ياسر بن إبراهيم.- الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ١٠مج.

يعد كتاب صحيح البخاري من أهم كتب السنة، وأحسنها تصنيفًا، وأجودها تأليفًا، وأصحها حديثًا، وقد قال عنه مصنفه الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، رحمه الله: «أخرجته من نحو ستمئة ألف حديث، وصنفته في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله سبحانه وتعالى، وما أدخلت فيه إلا صحيحًا، وما أدخلت فيه حديثًا حتى استخرت الله تعالى، وصليت ركعتين، وتيقنت صحته».

وقد حظي هذا الكتاب باهتمام العلماء الذين أولوه عناية فائقة في البحث والدراسة والشرح. ولكن شرح ابن بطال الذي يقع في ١٠ مجلدات، والذي جاءت في المجلد الأول منه سيرة مختصرة للشارح شملت: اسمه، ونسبه، وكنيته، وشيوخه، وتلاميذه، ومصنفاته، وعقيدته، ومنهجه في التصنيف، امتاز من بقية الشروح الأخرى بعدة مزايا: منها أنه أقدم الشروح للجامع الصحيح، وأنه أيضًا أقدم شرح يطبع له، ثم أنه يعد نافذة يطل منها القارئ على الميراث الضخم الذي خلّفه بعض أكابر أهل العلم، بالإضافة إلى إيراد الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين ومن دونهم في تفسير الآيات والأحكام، وعنايته بنقل مذاهب السلف في المسائل الخلافية مع التوجيه والترجيح، وكثرة نقولاته عن الإمام مالك رحمه الله، حتى صار من المصادر العالية في توثيق نصوص مالك والرواة عنه.



غليون، برهان/ العرب ومعركة السلام.- بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩م، ٢٥٦ص.

الكتاب مجموعة من المقالات الصحفية التي رافقت عملية السلام الشرق أوسطية يومًا بيوم وشهرًا بشهر، ونشرت في عدد من الصحف اليومية كالحياة، والشرق الأوسط، والمستقلة وغيرها، وقد نشرها المؤلف في هذا الكتاب

ليتيح لأكبر عدد من القراء الاطلاع عليها؛ لكون مسألة الشرق الأوسط تشغل الرأي العام العربي، وأن مصير المشرق العربي - كما يرى المؤلف - يكاد يكون كله مرتهنًا بمسألة النزاع العربي الإسرائيلي.

يعارض الكاتب المقولة التي تنسب جمود مفاوضات السلام إلى وصول رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وحزبه إلى السلطة، بل يرى أن مسؤولية الحكومات العربية لا تقل عن مسؤولية إسرائيل في الوصول إلى هذه النتيجة، ويعزو ذلك إلى الأداء الهزيل للدبلوماسية العربية، وتشتت الصف العربي، وفقدان الصدقية، والتخلي عن أي خيارات عسكرية، والتفرغ للجبهات الداخلية، والتنافس بين الدول العربية في قطف ثمار السلام قبل أن تنضج أو يتحقق السلام وغير ذلك من الأسباب.

قسم الكاتب مقالات الكتاب إلى ثلاث مراحل: أولاها «عصر التسوية»، وثانيتها «عصر الردة»، وثالثتها «عصر المراجعة».

أبوالنور، عبدالوهاب عبدالسلام/ تنظيم المعرفة: مدخل عام وقضايا رئيسية في التنظيم والتصنيف.- القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ٢٣٩ص (المكتبة العربية في تنظيم المعرفة؛ الكتاب الأول).

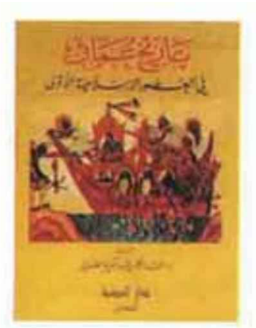
الكتاب هو أول إصدارات سلسلة كتاب «المكتبة العربية في تنظيم المعرفة» التي يريد منها المؤلف أن تكون سلسلة شاملة تعكس حالة الفن State of the art بالنسبة إلى تكامل طرائق الوصول إلى المعلومات، أي أن تكون سلسلة في تنظيم المعرفة، وليس في التصنيف فحسب.

يقع الكتاب في ستة فصول ومقدمة، جاء فصله الأول تمهيدًا شرح فيه المؤلف جهوده ونشاطاته في مجال التصنيف والببليوجرافيات واستعرض بعض مؤلفاته في هذا المجال، والثاني عن «تنظيم المعرفة» ويعد هذا الفصل مدخلا عامًا للموضوع بتمامه، وناقش في الثالث «قضية الركائز والعمليات الفنية في المكتبات العربية»، والرابع عن «قضية المصطلحات بين الترجمة والتعريب والتأصيل والتوحيد»، وجاء الخامس عن «تدريس التصنيف في أقسام المكتبات في الوطن العربي»، أما الفصل السادس والأخير فكان عن «التصنيف: المفاهيم والمصطلحات والتعريفات».

درج المؤلف على إيراد مراجع وهوامش كل فصل في نهايته.

ينوي المؤلف إصدار هذه السلسلة في ١٣ كتابًا، أورد أسماءها، ودعا كل المهتمين بموضوعات تنظيم المعرفة من فهرسة وصفية وتصنيف، ورؤوس موضوعات وتكشيف وببليوجرافيا إلى الإسهام في هذه السلسلة لتكوين مكتبة عربية تسهم في تنظيم المعرفة، واشترط الكاتب أن تكون الإضافات بعد الكتاب رقم ١٣ حتى لا يقطع التسلسل الذي وضعه.

العاني، عبدالرحمن عبدالكريم/ تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الإسلامية.- لندن: دار الحكمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٢٦٨ص.



هذا الكتاب محاولة لدراسة تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى والدور الذي قام به أهلها في الملاحة التجارية، كما أن انتشارهم في الأراضي الواقعة شرق الخليج - بهذا العدد الكبير - وهو من الأدلة التي تثبت صحة تسمية الخليج الذي يسكن

العـرب شـواطئـه «بالخليج العـربي»، ويعـد هذا الكتـاب «أول دراسـة شـاملة جـمـعـت أشـتـات المعلومات المتناثرة، وكونت منها صورة متماسكة توضح الأحوال، وتنير السبيل للباحثين في هذا الميدان، وتوفر عليهم الجهد» كما يقول الدكتور صالح أحمد العلي الذي قدّم الكتاب.

يقع الكتاب في تسعة فصول، جاء فصله الأول عن «جـغـرافـيـة عـمـان ومـوقـعـهـا وحـدودها وتضاريسها ومنتوجاتها»، وخصص الفصل الثاني للحديث عن «السكان» ولاسيما قبائلها العربية مثل الأزد، وسامة بن لؤي، وعشائر من جرم، وعبدالقيس، وبكر بن وائل، وتميم، وتحدث في الفصل الثالث عن «المراكز الحضرية» التي كانت قائمة عند ظهور الإسلام في عمان، سواء في الساحل أو الداخل، ثم جاء الفصل الرابع عن «إسلام عمان» ودخوله وانتشاره سلمًا بها وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمان، ووفادة أزد عمان على النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، والخامس عن «إدارة عمان في العـهـود الإسـلامـيـة»، وأفـرد السـادس للحـديث عن «استيطان العمانيين في الساحل الشرقي من الخليج العربي ودورهم في تلك المنطقة».

ولأهمية التجارة في تاريخ هذه المنطقة أفرد لها المؤلف الفصول الثلاثة الأخيرة السابع والثامن والتاسع، وهي على التوالي «السلع التجارية»، و«طرق التجارة - مساهمة العمانيين في الملاحة - السفن التجارية»، و«دور أهل عمان في التجارة».

أورد الكاتب في نهاية الدراسة ملحقين: الأول: عن رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أهل عمان وحكامها، والثاني: عن ولاة عمان خلال عهد الراشدين والعهدين الأموي والعباسي.

وختم الكتاب بثبت للمراجع والمصادر وبعض الخرائط وخلاصة مختصرة Abstract باللغتين العربية والإنجليزية لموضوعات الكتاب.

بيادر

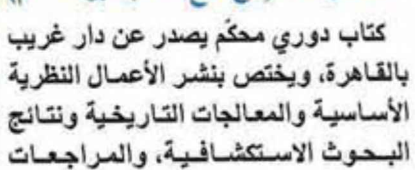
(ع٢٩، محرم ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)

ملف ثقافي إبداعي يصدر عن نادي أبها الأدبي.

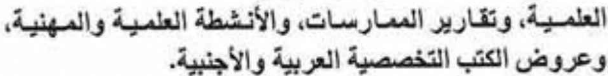
جاء الملف، والنادي يحتفل بمناسبة مرور عشرين عامًا على افتتاحه الذي تم سنة ١٤٠٠هـ، وعددت هيئة التحرير منجزات النادي خلال مسيرته التي مضت، كما استطلعت آراء المهتمين من ذوي الخبرة والتجربة، واستمعت إلى آرائهم وإجابتهم عن بعض الأسئلة مثل: مامدى الرضا عن ذلكم الإصدار، وما عوائقه؟ وهل من الممكن أن يتحول إلى مجلة ثقافية؟ بالإضافة إلى عدد من البحوث والدراسات والقصائد والقصص التي حواها العدد.

دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات (مج٤، ع٣، سبتمبر ١٩٩٩م)





كتاب دوري محكّم يصدر عن دار غريب بالقاهرة، ويختص بنشر الأعمال النظرية الأساسية والمعالجات التاريخية ونتائج البحوث الاستكشافية، والمراجعات العلمية، وتقارير الممارسات، والأنشطة العلمية والمهنية، وعروض الكتب التخصصية العربية والأجنبية.



جاء في هذا العدد مجموعة من المقالات والبحوث المتعلقة بعلم المكتبات بأقلام عدد من المختصين في هذا المجال، إضافة إلى التقارير وملخصات للأطروحات ومراجعات بعض الكتب.

نوافذ (ع١١، ذوالقعدة ١٤٢٠هـ/ مارس ٢٠٠٠م)



إصدار دوري يعنى بترجمة الأدب العالمي. يصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة.

صدر العدد الجديد من «نوافذ» وهو يحوي عددًا من المقالات والقصائد والقصص القصيرة، ففي باب المقالات كتب كليمان موازان عن «التاريخ الأدبي باعتباره خطابًا عامًا»، وجوناثان كولر عن «الكفاءة الأدبية»، وجورج هيبيان عن «جدال الأب والابن»، وغير ذلك من المقالات.

كما حوى العدد عددًا من القصائد لشعراء من إسبانيا والمكسيك، بالإضافة إلى عدد من القصص القصيرة لكتاب من أستراليا وروسيا والصين وألمانيا.



أسد، محمود محمد/ نزيف الأرصفة المتعبة (شعر).ـ حلب: دار الثريا للنشر، ١٩٩٩م، ٩٦ص.



باروم، محسن أحمد/ مطالعات نقدية في ألوان من الكتب.ـ جدة: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٢٣٤ص.



باشا، حسان شمسي/ هكذا كانوا... يوم كنا: الطب في أوربا وعند المسلمين.ـ جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ١٣١ص.



بريمكاند، أ/ المحاسبة الحكومية الفعالة، ترجمة: حسن بن عبدالرحمن باحص.ـ الرياض: معهد الإدارة العامة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٢٧٨ص.



التطيلي، عيسى بن موسى بن أحمد (ت: ٣٨٦هـ)/ القضاء بالمرفق في المباني ونفي الضرر، تحقيق: محمد النميرنج.ـ الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٢٥٣ص.

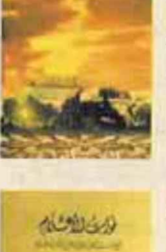


الثنيان، محمد بن عبدالرحمن راشد/ دراسة أثرية لطريق الحج اليمني الأعلى الواصل بين صنعاء ومكة المكرمة.ـ الرياض: وكالة الآثار والمتاحف السعودية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٥٢٣ص (النص باللغة الإنجليزية).

الجديد، فهد بن ناصر بن إبراهيم/ أيام الرشيد ولياليه.ـ الرياض: ف.ن. الجديد، ١٤٢٠هـ/١٣١.

جلال، شوقي/ العقل الأمريكي يفكر (من الحرية الفردية إلى مسخ الكائنات).ـ القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠م، ٢٥٢ص.

الخراشي، ناهد عبدالعال/ مكان في الجنة: رسالة حب إلى كل أب وأم نابعة من حب الله تبرز أسمى معاني الرحمة والحنان والبر بهما في الحياة وبعد الممات.ـ القاهرة: دار الكتاب الحديث، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ١٨٤ص.



الدوسري، حفيظ بن عجب آل حفيظ/ الأقصى والشرف.ـ الدار البيضاء: دار النشر الأحمدية، ١٤٢٠هـ، ٥٨ص.



الرفاعي، عبدالعزيز أحمد/ فوات الأعلام مع الاستدراكات والإسهام في إتمام الأعلام، أعده للنشر: بهاء الدين عبدالرحمن عبدالوهاب.ـ الرياض: دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ١٣١ص.



زمل، ناصر بن محمد/ العيون في ديوان العرب.ـ جازان: نادي جازان الأدبي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٢٦١ص.



شرف، عبدالعزيز/ **العربية لغة الإعلام. ط٢**.ـ الرياض: دار الرفاعي للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ١١١ص (كتب في الإعلام؛ ١).



الشمري، هزّاع بن عيد/ **الأرقام العربية أصل من أصول الخط العربي**.ـ الرياض: دار أجا للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، ٥٦ص.

صبيح، إبراهيم وآخرون/ **في رحاب اللغة العربية**.ـ عمان: دار الحامد للنشر، ٢٠٠٠م، ٣٠٥ص.

الصحيّح، جاسم محمد/ **رقْصةٌ عِرْفانيّة (شعر)**.ـ الأحساء: دار الكنوز الأدبية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ١٥٢ص.



ضاهر، مسعود/ **النهضة العربية والنهضة اليابانية: تشابه المقدمات واختلاف النتائج**.ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٣٩٩ص (سلسلة عالم المعرفة؛ ٢٥٢).



العبادي، سمير عزيز ونظام موسى سويدان/ **التسويق الصناعي: مفاهيم وإستراتيجيات**.ـ عمان: دار الحامد للنشر، ١٩٩٩م، ٣٣١ص.



فضل إلهي، عبدالغفور شيخ/ **من أمريكا إلى مكة: رحلة الحج الجوية، ترجمة: غالب أحمد المصري**.ـ الرياض: دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٩٢ص.

قبطني، فريد/ **طلوع الشمس من مغربها علم للساعة. ط٣، ترجمة: أحمد أمين حجاج أول**.ـ بيروت: دار البرق، ٢٠٠٠م، ٤١٧ص.

قطنة، أشرف عبدالرزاق/ **رسم المصحف والإعجاز العددي: دراسة نقدية في كتب الإعجاز العددي في القرآن الكريم**.ـ دمشق: منار للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٢٠٨ص.

محمد، الأمين أبومنقة/ **صوتيات لغات الشعوب الإسلامية في أفريقيا (الهوسا والفولاني والسواحيلي)**.ـ الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ١٠٣ص.



مشاقبة، أمين عواد مهنا/ **النظام السياسي الأردني والمسيرة الديموقراطية. ط٤**.ـ عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ٣٦٣ص.



ناجي، رجاء/ **الأطفال المهمشون: قضاياهم وحقوقهم**.ـ الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ١١٩ص.

فيما مضى وتكرر إيابه!

فارس الغزي
الرياض - السعودية

راج في الماضي عدد من المفاهيم الفكرية الهدامة من قبيل الإسرائيليات، ومؤامرات بني يهود، والملل والنحل الفاسدة، وشعوبية العجم، والحروب الصليبية، لتتبلور تلك المفاهيم بعد ذلك في صيغ لغوية حديثة كالاستشراق، والاستعمار، والصهيونية العالمية، والماسونية، والغزو الفكري، ولتنصهر في عصرنا هذا في بوتقة واحدة نسميها بـ (العولمة). فما القاسم المشترك (تاريخياً) بين تلك المفاهيم التاريخية/الفكرية؟ ولماذا أخذت وما زالت تأخذ مساراً جغرافياً ذا اتجاه أحادي، أو فلنقل سهماً مسموماً منطلقاً من الغرب إلى الشرق؟ ولماذا نجد أن الشرق هو المتلقي دائماً، بينما الغرب هو (الملقّن) والمرسل دائماً وأبداً؟!...، هل لظاهرتي تغير الزمان وعدم (تزحزح) المكان أهمية فاعلة من شأنها إحداث تغيير جذري بمعادلة (الصراع الحضاري) مادام التغيير لم يطل فكراً وأفكاراً، ومن ثم سلوكيات الإنسان. ولم لا؟! أليس التاريخ امتحاناً لا يجتازه إلا من يرعوي لشروطه قراءةً واستقراءً وتطبيقاً؟

لقد أثبت التاريخ أن نجاح الإنسان في (امتحان التاريخ) منوط بقدرته وشجاعته الفكرية على (اقتحام الداخل)، وإزالة ما تكدس به من شوائب لا يزيلها سوى غربلة الأفكار، وتجديد السلوكيات وصياغتها بما يتناسب مع ما تفرضه مستجدات الزمان والمكان. ولذا، لو أمعنت النظر في تضاعيف تراثنا العربي الإسلامي لما عدمت أن تستشف وتشم روائح عذل وتوبيخ على (السقوط) في امتحان التاريخ. خذ، مثلاً، تلك الصرخة التاريخية المأثورة التي أطلقتها مدوية أم عبدالله الصغير تأنيباً لابنها على التفريط في ملكه:

ابكِ مثل النساء ملكاً مضاعاً
لم تحافظ عليه مثل الرجال!!

بل ماذا تحس في الأروقة النفسية والقرائن التاريخية للبيت القائل:

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

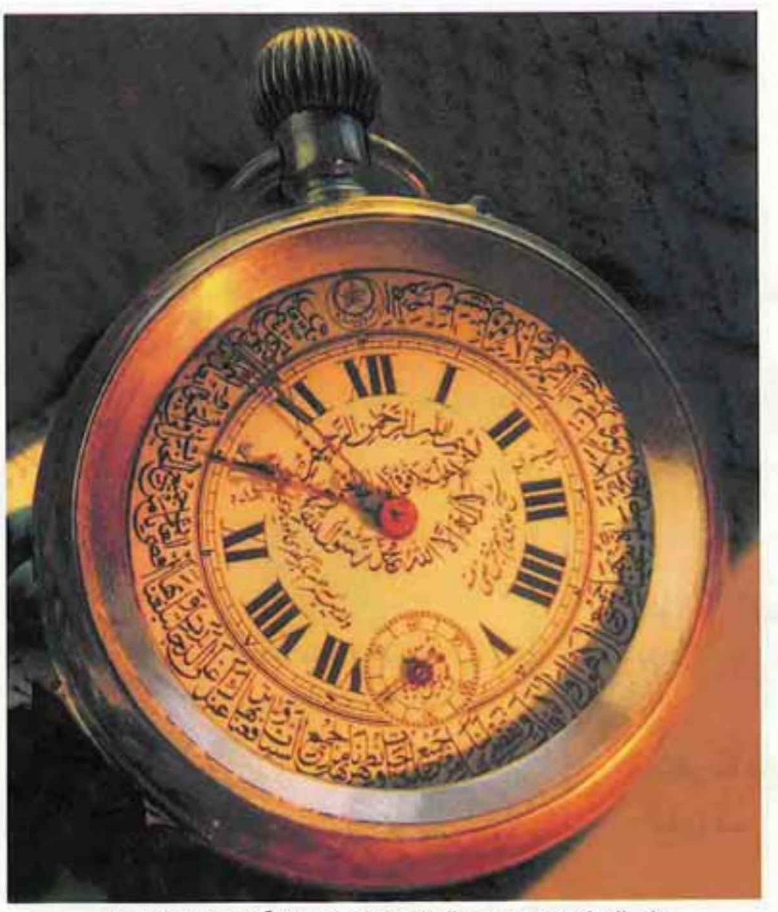


النجاح في امتحان التاريخ منوط بقدرة الإنسان على اقتحام الداخل!!

أقول ألا يشعرك هذا البيت بنبرة احتجاج من قبل قائله على ظاهرة تواصل (رسوب) قومه في امتحان التاريخ السابق ذكره؟!

حسنًا، هنا تنتهي تساؤلاتي وبانتهائها ألج في صلب المقالة الذي يتمثل بنص يدور حول قضية (الغزو الفكري)، وقد كتب هذا النص منذ ما يقارب السبعمئة والخمسين سنة، ولذا آمل منك، أخي القارئ، التفكير مليًا بحيثيات الزمن الذي كتب به هذا النص وقرائنه، ومن ثم تطبيقه على ما يروج في عصرنا هذا فيما يختص بعلاقة الشرق بالغرب.

يقول صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المتوفى سنة ٧٦٤هـ ما نصه: «حدثني من أثق به أن (عالمًا من العلماء) كان يقول: ما أظن أن الله يغفل عن المأمون، ولابد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الأمة من إدخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها. قلت (والكلام للصفدي): إن المأمون لم يبتكر النقل والتعريب، بل نقله قبله كثير، فإن يحيى بن خالد البرمكي عرب من كتب الفرس كثيرًا، مثل: «كليلة ودمنة» وعرب لأجله كتاب «المجسطي» من كتب اليونان. والمشهور أن أول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما أولع بكتب الكيمياء»(١) انتهى.



تغير الزمان وعدم تزحزح المكان هل يغيران معادلة الصراع الحضاري؟

مرة أخرى أستميحك عذرًا، أخي القارئ، بالعودة إلى مزيد من التساؤلات: هل بدأت ظواهر الخلاف، والضعف، والانشقاق، والتشرذم، وتسلط الآخر، بل الخنوع لهذا الآخر، تنخر في كيان هذه الأمة مع دخول كتب الآخرين وتراثهم الفكري، كما حدث في فترة حكم المأمون وما ترجم في عهده من علوم أجنبية متمثلة بالفكرين الفارسي واليوناني؟ هل هناك شواهد ووقائع ودلائل تاريخية من شأنها إثبات ملاءمة تساؤل كهذا أو نفيها؟ بل ـ وكما ذكرت آنفًا ـ ألا تجد أن هناك وجه شبه بين ما شاع آنذاك من تنظير لأسباب تمزق الأمة (فكريًا) وعدم التردد في نسبتها إلى أسباب خارجية، وما يروج الآن من اجتهادات تشخيصية لداء هذه الأمة ـ فكرًا وسلوكًا ـ الذي دائمًا ما تتم نسبته ـ تعللًا وتسويغًا ـ إلى عوامل خارجية من قبيل الغزو الفكري، والتآمر الغربي، وأخيرًا العولمة؟ لماذا نجد دائمًا أن السبب (تاريخيًا، آنذاك، الآن، غدًا..!) يكمن في (الخطر الخارجي؟!) وما الثمن الباهظ لنهج فكري كهذا؟ أليس فيه استمرار للضعف والخنوع، واستفحال لليأس والقنوط من إصلاح الحال، مما قاد وما زال يقود إلى إغفال أثر العوامل الذاتية التي في استقرائها حكمة وعلاج رباني ناجع؟! وحسبنا قول أعظم من قال *«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»*. الرعد: ١١.

المراجع

١. الغيث المسجم في شرح لامية العجم، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ ص٧٩.

مجلة الدراسات اللغوية

فصلية محكمة تعنى بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض



مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية

المجلد الثاني ـ العدد الأول

المحرم ـ ربيع الأول ١٤٢١ هـ
(أبريل ـ يونيه ٢٠٠٠م)

- الدلالة الإيحائية لطائفة من ألفاظ الزمان في القرآن الكريم.
- منظومة فتح الرؤوف في أحكام الحروف.
- اتجاهات معاصرة في الدراسات الصوتية.
- التركيب المزجي في العربية المعاصرة.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه.
- شرح اللمع للواسطي الضرير.
- مراجعة لموضوع الاستصحاب.